8
اصـدارات
رابـطـة التدريسيين
الجامعيين في نينوى

الإعجاز القرآني
في الخلق الإنساني



تاليف
الدكتور حيدر محمد الجدي

تقديم
الدكتور محمد جميل الحبال

ماشكي
للطباعة والنشر والتوزيع

الإعجاز القرآني

في الخلق الإنساني

عنوان الكتاب: الإعجاز القرآني في الخلق الإنساني
اسم المؤلف: الجدي، الدكتور حيدر محمد الجدي
نوع الكتاب: دراسة
عدد الصفحات: ٢٦٥
حجم الكتاب: ١٤.٨ × ٢١ سم
البلد: العراق
الطبعة: الاولى

International Standard Book Number (I.S.B.N)
978-9922-9596-1-0

دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع
العراق – الموصل – المجموعة الثقافية
هاتف: ٩٦٤٧٧٠١٦٦٤٣٣٥+
البريد الالكتروني: mashky2019@gmail.com
ص.ب: ١١٠١٩

تصميم الغلاف: م. علي صميم
التنضيد: علي عبدالمنعم

من اصدارات رابطة التدريسيين الجامعيين في نينوى

الإعجاز القرآني في الخلق الإنساني

دراسة

الدكتور

حيدر محمد الجدي

ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

٢٠٢١

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

فقد طلب مني أخي الفاضل الدكتور حيدر محمد الجدي وفقه الله مراجعة كتابه الموسوم (الإعجاز القرآني في الخلق الإنساني)

وكتابة تقديما له ليكون وساما على مؤلفه المبارك هذا الذي وجدته متميزا ومفصلا بدقة متناهية في بيان خلق الجنين ومطابقة ذلك فيما ورد في كتاب الله العزيز من آيات كريمة وفي سنة رسوله الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم من أحاديث نبوية شريفة التي سبقت ما توصل إليه علم الأجنة الحديث والمعاصر منذ أكثر من أربعة عشر قرناً مما يثبت أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي خلق الإنسان فجاء كلامه مطابقا لخلقه!!

قال تعالى ((أولا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) سورة تبارك آية رقم

وأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول يوحى إليه، قال تعالى: ((وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى)) علما أن علم الأجنة هو من أهم العلوم الطبية وأكثرها تعقيدا.

ويسمى الجنين جنينا لاختفائه وعدم معرفته إلا بعد ولادته فهو لغة من الجن أي الشيء الخفي الذي لا يرى، وتصدر القرآن الكريم سبر أغوار الجنين وفصل خلق مراحله من النطفة فالعلقة فالمضغة التي فيها تتخلق العظام ويحصل الكساء لها إلى مرحلة النشأة (المرحلة الحميلية) وغيرها من التفاصيل التي شرحها الدكتور الجدي موثقا ذلك بالصور التوضيحية والمصادر العلمية المعتمدة ومن أهمها كتاب عالم الأجنة الشهير البروفيسور كيث مور في كتابه المنهجي The developing Human clinically oriented Embryo علم الأجنة السريري (الطبعة الثالثة) عام ١٩٨٣ م

مصرحا أن كل ما ورد في القرآن الكريم في مراحل خلق الجنين جاء متطابقا وبدقة متناهية إلى ما توصل إليه علم الأجنة المعاصر في وقت لم تكن العلوم تعرف ذلك وأن محمدا كان أمياً مما ثبت أنه رسول يوحى إليه.

وتفصيل كلامه أعلاه وباللغة الإنكليزية موثق في أرشيف المؤتمرات الطبية العالمية التي شارك فيها رحمه الله.

ومن الجدير بالذكر أن أخي الدكتور حيدر الجدي له باع طويل وخبرة كبيرة في موضوعات الإعجاز والتفسير العلمي في القرآن والسنة وسبق أن نشر عشرات لا بل المئات من الأبحاث والمقالات في وسائل الإعلام والمؤتمرات التي تصلح بحد ذاتها أن تكون كتابا مستقلاً فضلاً عن موضوعاته الطبية خاصة في علم الأجنة الذي يسري في دمه.

ودائماً ما يستشيرني في بعض جوانبه فوجدت فيه حماسة شديدة وعلماً تدبريا عميقا فيه؛ نتج عنه هذا المؤلف الجديد الذي أقول فيه وبدون مبالغة أنه أفضل ما تم تأليفه في هذا المجال الشائك إلى حد الآن فقد فصل في المراحل ووضع النقاط على الحروف فجاءت كلماته ولغته العربية المعبرة بصورة علمية واضحة مما يدل على أن اللغة العربية هي لغة العلوم والمعارف.

علماً أن الدكتور الجدي سبق أن ألف كتابا في علم الأجنة سماه ((تحقيق الاربعينيات في علم الاجنة بين الطب والقرآن)). (وكان كتابا مختصرا ولكنه مفيد جداً)

والذي أهداني نسخاً منه فجاء كتابه المفصل الجديد الذي بن يدي القارئ الكريم متوجاً للكتاب السابق حيث ضمنه كل ما توصل إليه في علم الأجنة في القرآن والسنة ومطابقة لما توصل إليه الطب الحديث، والقرآن هو السابق والعلم هو اللاحق.

وفي الختام نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا الكتاب في رصيد أعماله يوم القيامة خالصاً لوجهه الكريم وينفع به طلبة العلم الطبي والشرعي خاصة والمسلمين عامة والله ولي التوفيق.

أ.د.محمد جميل حبال
عضو مؤسس في الهيئة العالمية
في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
استشاري الطب الباطني
باحث في الاعجاز العلمي في القرآن والسنة.
حرر في ٢٣/رجب /١٤٤٢ الموافق ٢٠٢١/٣/٧ م.

مقدمة المؤلف

قال تعالى: **((الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير))**[١] صدق الله العظيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وأحسن الخلق وخاتم الرسل والنبيين حبيبنا المصطفى العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ولا حول ولا قوة إلا بالله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

هذه بعض التأملات العلمية في علم الأجنة والتي قمت بإسقاطها على الحقائق القرآنية بحسب ما أوردها الله سبحانه في القرآن الكريم مما ارتأيته أثناء دراستي لعلم الجنين الطبي وهي مما أثبته العلم الحديث على وجه القطع لا التأويل ولا الفرض والتي وافقت ما أنبأنا به الله سبحانه على لسان حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم من أمور كثيرة ومنها موضوع خلق الإنسان وتكوينه الجنيني في شتى مراحله.

وإنك لتقف مذهولا بل إنك لتقف بنظرة إجلال لهذا القرآن الذي هو كلام ربنا وليس مستغرب عليه ما فيه فانه وحي من عند الله **((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))** [٢]وذلك كله لشدة الدقة المتناهية التي يصف فيها الإنسان وتشكله وكيفية مراحله التي يتنقل بينها ليصبح بأحسن تقويم كما قال ربنا وهذا ما سنتابعه معا مرحلة بمرحلة حتى نصل لآخر التخلق البديع الذي وصفه ربنا فسبحان من سجد له كل من في السماوات والأرض وكل آتيه قانتين.

---

(١) سورة الروم آية ٥٤ .

[٢] سورة الملك آية ١٤.

ولعل أهم ما أذهلني هو الإعجاز العظيم وما يبديه البيان الإلهي من دقة متناهية في المعنى والتفصيل متذكرا قوله تعالى((**وكل شيء فصلناه تفصيلا**))[٣] والدقة العلمية والمقاصد اللغوية التي أراد الله أن يوضحها لنا سبحانه وتعالى عما يشركون.

وقد أردت من خلال هذا أن أؤكد حقيقة الإعجاز العلمي الرائع والموجود في اللفظ القرآني الذي حفظه الله ورعاه ((**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**))[٤] وأن أؤكد وهو مؤكد ثابت أن القرآن هو كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان كل من يحاول أن يهاجم ويتبجح عليه ويفتري عليه بالباطل والأقاويل غير المبرهن عليها فهو سفيه وظالم لنفسه ولا يجلب لها إلا الخزي والعذاب بإذنه تعالى في الدنيا والآخرة ولعل في قوله تعالى: ((**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**))[٥] البيان العظيم لهذا الأمر.

وقد ذكرت في بحثي هذا الكثير من الأدلة العلمية وحاولت أن أسقطها على القرآن وابدي الإعجاز الكبير فيها وان أؤكد للعلماء الذين ينظرون لهذا الكون كطبيعة مادية فقط ويهاجمون بين الحين والآخر النظرة الدينية بشكل خاص ولكل ذوي نظرة مماثلة من الأديان الأخرى والتي نصبغها بالصبغة الإلهية ويحتجون بالعلم الحديث الذي لم يكن فيما اثبت منه إلا دليلا وإثباتا لما لدينا في قرآننا الكريم ونفيا قاطعا لما يدعونه..فهم وبما اكتشفوه لم يوضحوا ويثبوا إلا ما توافق مع ما جاء به القرآن العظيم من آيات إن دلت على شيء فإنها تدل على الحكمة التي جاء بها القرآن وهنا نذكر قوله تعالى ((**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد**))[٢] ونحن فعلاً نلمس ونرى الكثير من الآيات والتي تثبت الرسالة وتصادق القرآن العظيم وتكذب الكفرة الملحدين .

---

(٣) سورة الإسراء آية ١٢.

(٤)سورة الحجر آية ٩.

(٥) سورة الذاريات آية ٢١.

(٢) سورة فصلت آية ٥٣

واتبعت أسلوبا تأصيليا وهو أن نأتي بحقيقة القرآن وعلى ترتيبها مما نؤمن به ثم نتكلم بحقائق العلم ونسقطه عليها وهو أسلوب مهم بحيث أننا نتبع تفصيل القرآن ثم نضع ما يتوافق معه أي أننا لم نسقط القرآن على العلم لان العلم قد يتغير أما إسقاط العلم على القرآن فهو أمر مطلوب لأنه يثبت الحقيقة الواردة بأدلة تجريبية حسية حقيقية تزيد من تثبيت المؤمن وتقويه على طريق الحق.

وقد اتبع هذا الأسلوب العلماء الأقدمون الكرام رحمهم الله أمثال ابن القيم وابن الجوزي وابن كثير في الكثير من كتبهم مما يمكن الرجوع إليها.

يقول ابن القيم في كتابه الرائد تحفة المودود في أحكام المولود:

(قلت في هذا الفصل حديثان صحيحان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكرهما ونذكر تصديق أحدهما للآخر ثم نتعقب كلام أبقراط ونبين ما فيه بحول الله وقوته وتوفيقه وتعليمه وإرشاده.)[١]

لاحظ انه يتحدث عن موضوع خلق الإنسان والأحاديث فهو يعود لرأي الطبيب الذي كان على زمانه لينقحه لحسب الكتاب والسنة فهو يذكر الحديثين ثم رأي ابقراط وينقحه بحسبها وهذا سنراه في أمثلة لاحقا بشكل أكثر تفصيلا ولنلاحظ كيف يتبع رحمه الله التفصيل القرآني للموضوع فيقول:

في أطوار ابن آدم من وقت كونه نطفة إلى استقراره في الجنة أو النار صفحة ٢٦١ من كتابه تحفة المودود: (قال الله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)[٢].

فاستوعب سبحانه ذكر أحوال ابن آدم قبل كونه نطفة بل ترابا وماء إلى حين بعثه يوم القيامة

---

(٢) كتاب تحفة المودود في آثار المودود صفحة ٢٦١

(٢) سورة المؤمنون آيات من ١٢-١٦

فأول مراتب خلقه أنه سلالة من طين

ثم بعد ذلك سلالة من ماء مهين وهي النطفة التي استلت من جميع البدن فتمكث كذلك أربعين يوما

ثم يقلب الله سبحانه تلك النطفة علقة وهي قطعة سوداء من دم فتمكث كذلك أربعين يوما أخرى [1]

ثم يصيرها سبحانه مضغة وهي قطعة لحم أربعين يوما **وفي هذا الطور تقدر أعضاؤه وصورته وشكله وهيئته**

واختلف في أول ما يتشكل ويخلق من أعضائه..)

انتهى كلامه رحمه الله.

لذلك اتبعت في كتابي هذا نفس الأسلوب فبدأت كل إعجاز من الاعجازات الملحوظة في القرآن العظيم بالآية القرآنية التي يوجد فيها المعنى الاعجازي في موضعها مسايرا المعنى التفسيري وموضحا آراء الصحابة الكرام وكبار المفسرين ثم موضحا للحقيقة العلمية فيها حسب ما أثبته العلم بما ليس فيه شك من علم الأجنة مما رأيناه تحت المجاهر أو تيقن منه علماء الطب من أساتذتنا الكرام.

وقد قسمت هذه المجموعة لثمانية أبواب وفي كل منها عدد من الفصول الخاصة بموضوعها مع شرح مفصل من الناحية الاعجازية ومبسط نسبيا من الناحية العلمية حتى أؤكد صدق الرواية علميا وأبرهن على موضع الإعجاز بالتفصيل اللازم موضحا دقة اللفظ ساعة ودقة المعنى التفسيري ساعة أخرى مما يجعلنا نسبح الله في كل حين ونذكر قوله سبحانه **((وفي أنفسكم أفلا تبصرون))**[2].

وحسب ما أسلفت وحيث أنني مع فكرة إسقاط العلم على الحقائق القرآنية أي نتكلم بنظرة القرآن التي هي ممن خلق الأرض والسماوات والإنسان

---

(1) كتاب تحفة المودود صفحة ٢٦١

(2) سورة الذاريات آية ٢١

وممن هو اعلم بهن **((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))**[1] ولذا اعتمدت تقسيم الأبواب التي سأذكرها على ما قسمه ربنا عز وجل في القرآن وبما في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك وفق قوله تعالى **((أولم يرى الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا))**[2]

وقوله في سورة الحج**((يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً))**[3]

وهي كالتالي:

الباب الأول خلق الإنسان من لاشيء

الباب الثاني خلق الإنسان من التراب

الباب الثالث خلق الإنسان من النطفة

الباب الرابع خلق الإنسان من العلقة

الباب الخامس خلق الإنسان من المضغة

الباب السادس الاعجازات في الأعضاء الحسية

الباب السابع ثم أنشأناه خلقا آخر

الباب الثامن مناقشات مفتوحة

وبذلك لا أكون إن شاء الله قد أضعت العلم الذي فضل الله به علي وجمعته بما يفيد القارئ الكريم وفقا لأشياء ليست ضمن الفرضيات أو النظريات وإنما هي حقائق مثبتة وموضحا ذلك بالصور اللازمة المناسبة وهذا كله تحقيقا لغرض التفكر الذي أمرنا الله ورسوله به ففي معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله

---

(1) سورة الملك آية ١٤

(2) سورة مريم آية ٦٧

(3) سورة الحج آية ٥

عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله)[1]

وقال *تعالى* **((الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار))**[2]

أدعو الله أن يكون هذا سبباً في زيادة إيمان من آمن وفي الأخذ بيد من أراد الله له الهدى وكل ذلك كي ننجو بأنفسنا وأهلينا من هذه الدنيا وما فيها من ابتلاء والشر ونفوز بالامتحان الذي يفضي بنا بالفوز برضا الله وصحبة نبيه الكريم في الدنيا والآخرة وندخل جنة النعيم مع الداخلين إن شاء الله.

([1]) معجم الطبراني

([2]) سورة آل عمران آية ١٩١

الباب الأول

خلق الإنسان من لاشيء

قال تعالى :(**(أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا))**[1]

وقال أيضا :(**(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا))**[2]



ولنوضح معاً معنى اللاشيء حسب العلم الحديث وما جاء في التفاسير..

فصل ما هو معنى اللاشيء كما جاء به القرآن الكريم

إن الله تعالى خلق السماوات والأرض وبدأه كما وضح هذا العلماء ومنهم ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في فصل الخلق من سحابة من غاز هذه السحابة شكلت بعد ذلك التراب

وهنا نقول **ما هو معنى اللاشيء كما جاء به القرآن الكريم ...؟**

---

[1] سورة مريم آية ٦٧

[2] سورة الإنسان آية ١

أو ما هو المعنى الحقيقي والمقصود بـ**(لم يك شيئا)** ؟

أو **(لم يكن شيئا مذكوراً..)** ؟

وهنا لنستعرض بدء تطور الإنسان منذ البداية فهو أولا لم يكن شيئا مذكوراً في اللوح المحفوظ كنوع وكجنس وكشخص وذكره في اللوح المحفوظ كان أول ذكر له من قبل الباري عز وجل ولكنه ليس إيجاداً فعلياً وإنما على سبيل التقرير والكتابة لوجوده فقط ثم انه بعد ذلك الذكر بدأ تخلقه بإذنه تعالى .

ونستشف من خطابه عز وجل للإنسان التصغير له أي أنت أيها الإنسان لم تكن شيئا مذكورا في يوم ما إلا عندما ذكرك ربك وهذا من فضله تعالى علينا في إيجادنا من اللاشيء ثم نأتي ونخالف أمره وهو الخالق الكريم الذي أوجدنا من غير حول منا ولا قوة ولو أنه لم يذكرنا لما كنا ولما تخلقنا أصلا، وهذا بالفعل محقق فلكل إنسان ترابه الذي خصصه الله له وهذا التراب مكتوب له في اللوح الكريم وليس لغيره ما هو له،

وبالتالي فان الإنسان قبل خلق أمه وأبيه لم يكن يوجد ثم جمع خلقه بسبب أبيه وأمه وبتقدير من الله :**((إنا كل شيء خلقناه بقدر *وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر))**[1] وبدأ خلق الإنسان من التراب الذي يمثل غذاء أبويه والذي هو أصل واحد ((التراب)) ولكن بأشكاله المختلفة (الأغذية من فواكه وخضروات ولحوم وغيرها.)

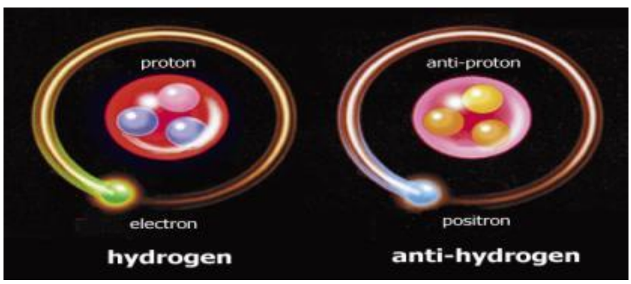
وقبل كل شيء كان الله ولم يكن شيء معه وكان في عماء كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن هناك وجود لمادة أصلا ثم اوجد الله سبحانه المادة ..

وهنا نذكرمن الأمور التي كشفتها الفيزياء الحديثة هي نقض نظرية لافوازيه الذي يقول **أن المادة لا تنشأ من العدم** ولعل هذه النظرية من أهم النظريات الحديثة في هذا الأمر حيث تم الكشف عن هذا الأمر في علم الفيزياء الكمومية والتي أصبحت تقول بإمكانية إيجاد المادة من العدم وأن هناك مادة

[1] سورة القمر ٤٩-٥٠

ومادة مضادة وأن من الممكن تخيل وتوقع نشوء مادة من لاشيء وان الكون بعد الانفجار الأعظم نشأ منه كتلتين مادة ومادة مضادة وأنهما متعاكستين بالشحنة وعند التقائهما تعدم إحداهما الأخرى وهي من مكتشفات علماء الفيزياء البديعة **فالمادة المعروفة** تتكون من بروتونات موجبة الشحنة والكترونات سالبة الشحنة أما **المادة المضادة** فهي معكوس المادة المعروفة لنا حيث أنها تتكون من بروتونات سالبة و الكترونات موجبة!!!

يوضح الشكل التالي ذرة الهيدروجين وذرة الهيدروجين المضادة حسب معنى المادة والمادة المضادة



وهنا بيت القصيد فقبل المادة كان هناك لا مادة ولذا من ادعى بان كون عرش الله على الماء في ذلك الوقت أي قبل خلق السماوات والارض وقالوا بان هذا عند المسلمين معاكس لنظرية الانفجار الأعظم وهذا من خلطهم للأمور فالواضح والمعلوم عند أهل العلم أن الماء مادة وان عرش الله مخلوق فهو من مادة وكذلك الكرسي ولكن ماهيتها بالنسبة لنا غير موصوفة بدقة كما في الأخبار وكذلك القلم واللوح المحفوظ إلى الملائكة وغيرها من المخلوقات مما بثه ربنا على الأرض ومما في السماوات من خلق كله مادي ولذا بحسب القرآن نفسه فان الانفجار العظيم الذي ورد كحقيقة في القرآن كان قبل خلق كل شيء ولذا كان قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل:

روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر. قال: كان

الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السنوات والأرض.

وفي رواية :لم يكن شيء قبله .قال ابن حجر: وفي رواية غير البخاري: ولم يكن شيء معه.[1]

وروى أحمد عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء)

قال أحمد بن منيع قال يزيد بن هارون العماء:

أي ليس معه شيء وأبو رزين اسمه لقيط بن عامر قال وهذا حديث حسن.[2]

أي فراغ ثم عندما خلق المادة وأوجدها كانت الماء التي كان عليها عرشه وهذا مما ليس فيه تناقض ثم أوجدها ربنا ومن أول خلقه للمادة خلق الأشياء التي وردت فيها روايات متعددة ومنها أن القلم أولها وغير ذلك ومنها أن اللوح المحفوظ أولها وهكذا ولكن المجتمع عليه أن أصل التراب من ماء وذلك لان عرش ربنا عز وجل كان على الماء عندما أراد خلق السماوات والأرض حيث قال تعالى**((وكان عرشه على الماء))**[3] وهذا من المثبتات أي الترتيب هو الذي حصل ولا تناقض في هذا حتما ومنطقا

ووجود الماء كمادة ليس بالضرورة أن يعني انه كان سائلا وإنما مجرد تواجد الماء كمركب حتى ولو كان غازا فهذا يعني انه ماء وهذا من عجائب الأمور التي دلت على أن أول العناصر المادية التي أوجدها ربنا هي الهيدروجين وهو ابسط ذرة متكونة من إلكترون واحد وبروتون واحد ونيترون واحد ولهذا تفصيل أيضا في مكان آخر.

---

[1] فتح الباري في شرح صحيح البخاري كتاب بدء الخلق

[2] تحفة الأحوذي صفحة ٤١٩

[3] سورة هود آية ٧

وعلى كل حال فقد كان أصل التراب غير موجودا ثم تواجد باذنه تعالى ولم يكن بشكله الحالي وإنما كان بشكل غازي أي ذري حيث يقول ربنا **((قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين))**[1] أي اوجد بداءة الأرض ويكون هذا بتحديد الذرات الخاصة بتكوينها أي بتحديد سحابة الغاز الخاصة بها ثم يتابع فيقول **((وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين* ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سماوات))** [2]

فأولا كان كل شيء من ارض وسماء ومادة كلاً واحدا مجتمعا ثم أخرجه ربنا سبحانه من بعضه وكان هذا الكل المجتمع هو أصل المادة الموجودة الآن ثم أمره ربنا بأن يخرج من بعضه أي أن يتباعد ويفترق ليتشكل بشكل سحب من غاز التي شكلت مادة خام للأرض وما عليها من تراب وللسماوات وما فيها.

قال تعالى:(**(أولم يرى الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي))**[3]

الشكل التالي يوضح السحب الغازية في الكون وهي أصل النشأة كما وضح العلم الحديث



[1] سورة فصلت آية ٩

[2] سورة فصلت آية ١١

[3] سورة الأنبياء آية ٣٠

وهي من أروع الآيات في هذا الباب وهو أصل النشأة للمادة التي كانت نواة لتشكل كل مادة خرجت منها ولهذا موضع آخر للتفصيل إن شاء الله في كتابنا عن خلق السماوات والأرض ما أريد أن أصل إليه انه من الممكن ألا تكون مادة أصلا وان الرب سبحانه أوجدها من لاشيء أو لا مادة.

ومن المسلم به عندنا أن كلمة **كن** كافية من ربنا ليفعل ما يشاء ولكن عندما يثبت العلم شيئا ما يزيدنا إيمانا بربنا عز وجل ونصبح في وضع أكبر لتصور ما جرى في بدأ الخلق وهذا حق لا مشكلة في تصوره أو وضع تصور لما جرى وقتها

ولذلك قال تعالى **((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة))**[1] وهي دعوة لمعرفة علمية حول هذا الأمر الذي بذلك لا يكون ممنوعا عنا والله اعلم.

لقد كان التراب قبل تشكله على الأرض سحابة من الغاز وهذا مما ورد في العديد من الآيات الكريمة ثم كان تشكل السماوات والأرض التي لبنتها الأساسية التراب وهذا ثابت علميا وكان تشكل الإنسان منه حيث تخلق سيدنا آدم صلى الله عليه وسلم أول الأمر منه بإذنه تعالى:

((وبدأ خلق الإنسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين))[2]

((ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين))[3]

ثم كانت السلالات الترابية المتمثلة بأنواع الأغذية والتي يخرج منها نطاف الذكر ونطاف الأنثى ثم الإنسان الذي يكون بذلك قد بدأ من شيء لا يذكر ثم أضيف هذا الشيء الذي هو مجموعة صغيرة من الذرات إلى بعضها وأضيف وتكاثف وتصور بإذنه تعالى فشكل هذا الإنسان وهذا يتضح بالترتيب فالخلق يأتي أولا ثم يلحقه التصوير الذي ينجزه الخالق بأمره سبحانه وتعالى.

---

[1] سورة العنكبوت آية ٢٠

[2] سورة السجدة آيات ٧-٨

[3] سورة المؤمنون آية ١٢

والمعنى الآخر: هو انه فعلا لم يكن موجودا أصلا أي لم يكن أصله موجود **((لم يك شيئا))**[1] لان المخصص له لم يكن موجودا فأصله كان غائبا غير موجودا بشكل مادي بعد وهو الأصح فالإنسان وهو الفرع من التراب حكما غير موجود فلا وجود لفرع أصله مفقود

وهذا ما يحصل للإنسان بالفعل فالتراب فيه قسمان تراب مؤقت وآخر دائم فالدائم هو ما يلازم الإنسان طوال عمره والمؤقت هو ما يتغير في الإنسان بمقتضى الظروف والقوانين الفيزيولوجية التي تحكم جسده فالمخزونات البروتينية الثابتة والموجودة في الدماغ والمسئولة مثلا عن الذاكرة ما هي إلا تراب دائم ومثلها خلايا المراكز العصبية الموجودة في فصوص الدماغ بينما خلايا بشرة الجلد والموجودة في الطبقة المتقرنة والتي تتبدل كل فترة من الزمن فيسقط بعضها وينضج الآخر ليقوم بوظيفته الموكلة إليه كلها ليست إلا نوع من التراب المؤقت وهذا مما أثبته العلم الحديث وبالتالي فان جسد الإنسان مقسم كترابه لجزأين متبدل وثابت والتي فعلا أتت من لاشيء فسبحان الله وتعالى عما يشركون..

---

[1] سورة مريم آية ٦٧

<u>فصل:</u> لنناقش الآن **المعنى الآخر لذلك من خلال بدأ خلق الإنسان من أبينا آدم عليه الصلاة والسلام**

إن الله تعالى وكما ورد في الآيات الكريمة في كثير من سور القرآن الكريم خلق الأرض في يومين وقدر أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم في اليومين الآخرين خلق السماء من الدخان أي الغاز وجعلها سبعا وهنا لم يكن للإنسان وجود وإنما كان تقديره على سبيل الذكر في اللوح المحفوظ وهذا كان قبل خمسين ألف سنة من بدا الخلق كما في الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قضى الله أنه سيخلق آدم عليه السلام وطلب من ملائكته أن تسجد له سجود تحية واحترام وليس سجود عبودية وكانت القصة المعروفة

حيث قال تعالى: **((وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون* فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين))**[١]

وعندها خلق ربنا عز وجل ادم عليه السلام من التراب الممزوج بالماء وهو الطين الذي سنوضحه في باب التراب فجعله صلصالا كالفخار ونفخ فيه الروح ثم اخرج ربنا سبحانه من ظهر مخلوقه ذريته الى يوم القيامة وأشهدهم على وجوده ووحدانيته وهو ما نجده في الفطرة التي تتواجد عند الإنسان مهما كان دينه فهو في داخله يؤمن برب في داخله الإيمان به ووجوده لا يفسر إلا بالإيمان به وهو دليل الآية التالية كما قال ربنا:**((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين))**[٢]

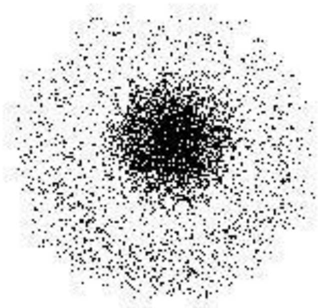
لنوضح ناحية ما يسمى بعالم الذر حيث نستدل من خلاله على أن الله قد خلقنا فعلا من شيء لا يذكر وهو الذرة اصغر مكون متمايز للمادة والتي تتكون مما هو اصغر منها وهو لا يذكر مع حجم الإنسان كمخلوق متكامل ومع ما وضعه الله فيه من ذكاء وسر للخالق الذي وضعه في تلك الذرة التي لم يكتشفها علماء

---

[١] سورة الحجر آيات ٢٨-٢٩

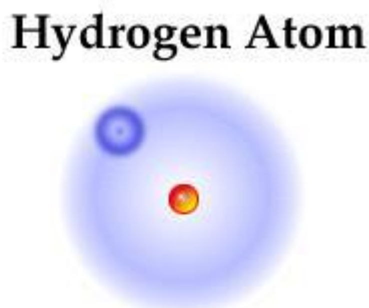
[٢] سورة الأعراف آية ١٧٢

الغرب حتى القرن التاسع عشر وتطورت دراستها حتى استخرج منها الطاقة في القرن العشرين.



هذا الشكل تمثيل لذرة الهيدروجين أصغر ذرة في الكون

الشكل التالي شكل ترسيمي لذرة الهيدروجين ابسط ذرة في الكون



فالذرة لا تذكر لحجمها الشديد وكل جسدنا مخلوق من مجموعات هائلة من هذه الذرات التي تجتمع مع بعضها لتشكل عناصر التراب الذي سيشكلنا والذي لم يكن موجودا ككل أو كعناصر أساسية مشكلة له حين وجدت الذرات في عالم الذر وهذا ما أتينا على ذكره في الفصل السابق.

إن إشهاد هذه الذرات على وجوده تعالى هو بالتأكيد دليل واضح على أن كل ما هو مادي وحتى إن لم يحوي الروح فهو مسبح لله وذلك بأداء وظيفته الموكلة له من جهة وبتسبيح لا نفهمه ماديا ولا يمكن أن نفقهه كما قال تعالى: **((وإن من شيء إلا سبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم))**[١]

وهذا بحد ذاته يدل على حقيقة رائعة تثير فينا الكثير من التأمل والاعتبار

[١] سورة الإسراء آية ٤٤

وبعدها كان خلق حواء من ادم وهو الإعجاز الرباني في خلق الأنثى من الذكر وقبلها الذكر من لاشيء وكما جاء في قصة سيدنا عيسى صلى الله عليهم وسلم حيث خلق الذكر من الأنثى وكله إعجاز يوضح لنا فيه قدرته سبحانه وجبروته فالله يتعامل معنا ومع خلقه بقوانين صارمة ودقيقة وضعها للكون بكامله ويستطيع أن يخرقها بإذنه متى يشاء وبأي شكل يشاء قال تعالى: **((وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ))**[1]

فصل:

وهنا أوضح **معنى اللاشيء للإنسان كفرد وليس كجنس كبير العدد من الكائنات** فكل واحد فينا لم يكن مذكورا ثم ذكر في اللوح المحفوظ ثم خلق من شيء صغير لا يذكر هو النطاف الأبوية وهذه حقيقة علمية بالغة حيث تتجمع العناصر المختلفة الآتية من غذاء الأبوين لتشكل النطاف الذكرية والأنثوية التي هي أصل تشكيل الإنسان ثم تجتمع هذه الأعراس التي تشكلت من البنية البدئية للإنسان من بروتين ودسم وسكر ومعادن وماء هذه البنية التي شكلت النطاف تجتمع معا كنطاف لتشكل البيضة الملقحة حسب التعبير العلمي وهي النطفة الأمشاج التي ستتابع بدورها التشكل من غذاء الأم الذي يوفر لها عوامل بنائها الأساسية عبر ما يحيط بها من نسج الأم أولا ثم ومع تطورها من خلال المشيمة **((ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن))**[2] فالوهن يتم من خلال كون غذاء الأم ينقسم عليها وعلى طفلها والذي هو من اللاشيء في بدء التشكل كما تحدثنا سلفا واصله من التراب الذي في الأرض وما يخرج منها

قال تعالى :**((سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون))**[3]

((كلا إنا خلقناهم مما يعلمون))[1]

---

[1] سورة القمر آية ٥٠

[2] سورة لقمان آية ١٤

[3] سورة ياسين آية ٣٦

وهنا نذكر قوله أيضا ((**أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه* بلى قادرين على أن نسوي بنانه))**[2]

فالجمع كان لكل شيء في جسدنا وضرب الله لنا مثله في العظام لأهميتها في رفع صلب الإنسان وإتمام تشكله في أحسن تقويم فانظر أخي القارئ وتذكر انك لم تكن شيئا فيسر لك ربك سبيل الوجود فأوجدك من لاشيء ثم جمع خلقك وشكلك في أحسن هيئة ثم يصدر منا من يخالف أمره بل ويدعو إلى مجابهة دينه ومحاربته فتيقظ لهذا فانه أمر جليل لا يفقهه إلا من كان ذا لب لبيب ((**إن بطش ربك لشديد *انه هو يبدئ ويعيد))**[3]

ولا يطول في قلبنا الأمل فان يوم القيامة قريب وان الله بالمرصاد لكل من يتجبر على خلقه ويخالف أمره. يقول **تعالى:((يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون))**[4] صدق الله العظيم.

---

[1] سورة المعارج آية ٣٩

[2] سورة القيامة آيات ٣-٤

[3] سورة البروج آيات ١٢-١٣

[4] سورة الدخان آية ١٦

الباب الثاني

خلق الإنسان من تراب

قال تعالى: **(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب)**[١]



يقول المفسرون: إن الله خلق الإنسان من تراب ثم أضاف إليه الماء فتشكل طين قال تعالى: **((وبدأ خلق الإنسان من طين))**[٢]

ثم هيأه وجمع خلقه ونفخ فيها الروح فشكل آدم عليه السلام ومنه جئنا نحن كذرية متتالية ...

وقد فصل الله سبحانه وتعالى كثيرا في معنى التراب وهذا ما نجده في الآيات التالية: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **(والله خلق كل دابة من ماء)**[٣]

(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)[٤]

---

[١] سورة الحج آية ٥

[٢] سورة السجدة آية ٧

[٣] سورة النور آية ٤٥

[٤] سورة الروم آية ٢٠

(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)[١]

(إنا خلقناكم من طين لازب)[٢]

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)[٣]

(ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون)[٤]

(خلق الإنسان من صلصال كالفخار)[٥]

ولنبدأ بمعنى الحمأ المسنون وهو التراب ذو الرائحة النتنة والممزوج بالماء حيث يشكل الطين اللازب ودائما نجد هذه الصلة بينهما في عملية الخلق؛ وما أوضحه العلم الحديث بهذا الشأن كبير جدا وعظيم حيث أن أهم شيء ثبت عمليا هو تركيب الإنسان وغذاؤه وحاله كما أن تحولات جسده كلها تنصب في بوتقة واحدة وهي التراب والماء أي الطين ٠

<u>فصل :</u> معنى قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء)[٦]



[١] سورة السجدة آيات ٧-٨

[٢] سورة الصافات آية ١١

[٣] سورة المؤمنون آية ١٢

[٤] سورة الحجر آية ٢٦

[٥] سورة الرحمن آية ١٤

[٦] سورة النور آية ٤٥

وهو على إطلاقه يعني الشيء الكثير فالماء هو أصل كل شيء وقد خلقه الله قبل خلق السماوات والأرض وهذا فيما ثبت عن رسوله الكريم في أحاديث كثير ناقشها ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)في فصل تحدث فيه عن أول المخلوقات التي خلقها الله تعالى ولعل الأهم هو أن الماء تشكل ثم تشكل بعده الغاز المختلط ثم تحول لتراب وهذا متساير مع ما أثبته العلم الحديث في مجال خلق السموات والأرض والكون بشكل عام وهذا له بحث خاص به في مكان آخر ولنعد لقوله تعالى إن أصل الخلق من الماء ففعلاً وكما اثبت العلم الحديث أن الماء يشكل النسبة العظمى في العناصر الداخلة في تركيب المادة الحية فنسبتها تتراوح بين حوالي ٦٠% وحتى ٨٠-٩٠%من الكتلة الحية كلها ولأي نوع من الأحياء وذلك بحسبه وعند الجنين الفقاري مثلا تصل إلى ٩٠-٩٢% من وزن الجسم وهي في النسج الحية عامة تتراوح بين ٦٠-٧٠% تقريبا أي أن الأساس الموجود هو الماء لو انعدم لتحولت نسج كل حي إلى كتلة صلبة ليس فيها حياة وهنا لنتنبه أن الحياة بهذا المعنى ليست إلا الفيزيولوجيا الحية وهذا سنأتي على مناقشته فيما بعد في الباب الثامن من هذا الكتاب وهوباب مناقشات مفتوحة.. كما أن الماء يشكل عنصرا أساسياً في عملية الاستقلاب في النسج الحية ولولاه لما كانت أي استقلابات حيوية بنائية أو هدميه يمكن أن تتم في الجسم وبالتالي فلا توجد أي حياة يمكن أن تتم بدونه وذلك لان الاستقلاب هو أساس الحياة وجوهر طاقتها... ولعل جريان الماء بحد ذاته في البدن وبأشكال متنوعة هو لب الحياة وجوهرها .

<u>**فصل:**</u>

لنتابع **دراسة أقسام الطين** ونعود للتراب ذاته فالله تعالى ذكر التراب على إطلاقه وكنى به عن كل ما يحويه من عناصر وفذات ومواد وبنسبتها المختلفة ولعل هذا أيضا مما اثبت علميا فقوله تعالى:**(فانا خلقناكم من تراب)**[1] **دليل** واضح على ذلك. والعلم الحديث اثبت ذلك فعناصر الإنسان تقسم كما يلي:

[1] سورة الحج آية ٥

١.العناصر الأساسية: هي الهيدروجين والأوكسجين والكربون٠٠وتشكل حوالي ٩٤%من الوزن الجاف للكائن الحي.

٢.العناصر الوافرة: ومنها الآزوت -الفسفور-الكبريت-البوتاسيوم -الصوديوم-المغنيزيوم٠ ونسبتها حوالي (١٠-١٥) /١٠٠ غرام من المادة الحية.

٣.العناصر النادرة: ومنها الحديد والنحاس الزنك والألمنيوم و٠٠الخ ونسبتها أقل من ١٠ /١٠٠ غرام من المادة الحية ٠

وهذه العناصر بدورها سوف تتجمع لتشكل المواد العضوية التي ستدخل في المادة الحية وتقوم بتشكيل سلسلة من المتعضيات الأساسية المشكلة للخلية الحية التي هي لبنة النسيج الحي الذي ستتشكل منه الأعضاء ومنها الأجهزة ومنها الجسم الكامل وفي بنية الخلية الحية نلمس هذا الترتيب بشكل واضح فهي مكونة من غشاء خلوي يحمي ما بداخلها من مادة خلوية ومتعضيات ثم نجد السيتوبلاسما الموجودة فيها وهي سائل تسبح فيه أعضاء الخلية والنواة التي هي المركز المبرمج الأساسي للخلية الحية وما فيها من مواد حية.

كما أن المتعضيات البلاسمية من متقدرات (عناصر الطاقة والاستقلاب) وجسيمات ريبية وشبكة بلاسمية وغيرها وكلها تتكون من تلك العناصر المذكورة سابقا وبنسب متفاوتة.

والجدول التالي يوضح بعض هذه النسب:

اسم المركب العضوي	النسبة من ١٠%من الوزن الكلي حيث يوجد ٩٠ %ماء
السكريات	٢٠ % من الوزن الكلي
الدسم	٣٠ % من الوزن الكلي
البروتين	٣٥ -٤٥% من الوزن الكلي
حموض نووية –ماء(سوائل من دم وبلغم)-معادن وغيرها	٥ -١٥% من الوزن الكلي

هذا الجدول من مقتبس من كتاب البيولوجيا الخلوية كلية الطب _جامعة دمشق_

((جدول رقم -١-))

الجدول التالي يوضح توضع المواد العضوية ونسبها في أقسام من الخلية الحية نفسها:

أعضاء الخلية الحية	البروتين	الدسم	السكر	الحموض النووية
الغشاء البلازمي	٦٠ %	٤٠ %	نسبة متداخلة في مركبات بروتينية ودسمة	نسب مختلفة
السيتوبلاسما الشفافة	قوالب بروتينية مؤقتة	مزيج لبيدي مع غليسيريدات ثلاثية	نسبة مختلفة لمركبات مشتركة بروتينية ودسمة	١٠ -٢٠ %
الليفات البلاسمية	الكراتين	نسبة مختلفة لمركبات مشتركة بروتينية ودسمة	نسبة مختلفة لمركبات مشتركة بروتينية ودسمة	ـــــــــ
الجسيمات الريبية	بروتين عالي	ـــــــــ	ـــــــــ	rna

جدول رقم -٢-أيضا من كتاب البيولوجيا الخلوية كلية الطب _جامعة دمشق_

وبهذا التصنيف الذي ثبت بيولوجيا على مستوى الخلية الحية التي أساس الجسد نجد انه يوافق التصنيف الذي في التراب الذي هو ذاته في الكون كله من كواكب ومجرات (وفقا للعلم الحديث) فالعناصر مثل الهيدروجين والاوكسجين والكربون تعتبر الأسس التي تنشأ منها النجوم وتتكاثف ثم تشكل بدورها من خلال عملية الاندماج النووي العناصر الوافرة الأخرى مثل الآزوت البوتاسيوم والصوديوم.

وهذه بدورها تشكل العناصر النادرة الثقيلة مثل الحديد والنحاس ...

وهي كلها وبنفس تصنيفها هذه تحقق التطابق بين بنية التراب وبنية الإنسان حتى أن دورة العناصر في الجسد تشبه دورتها في التراب وفي الكون فمثلا الحديد هو عنصر نادر لدرجة أن الإنسان يحتاج منه يوميا إلى ٢٠ ملغرام ولكن

تصور أن ١٩ ملغرام يأخذها مما خزن من الكريات الحمر المتخربة وفقط واحد ملغرام تقريبا يوفرها الغذاء وكأنه لا يريد من هذا الجزيئ النادر في الكون الا اليسير وبذلك يشارك في دورة الكون حتى في فيزيولوجيا بدنه وهي حقيقة واقعة ومثبتة. وقد يقول قائل كيف هذا والتراب الكوني يتميز بأن عناصره الاساسية حاليا هي السيلينيوم والكبريت؟

هنا نعود لاصل هذا الكون الذي يعيد نفسه في الإنسان وهو الذي يجمع مبادئ الكون كلها فيه من منشئه الى فناء جسده حيث كانت العناصر الاساسية هي فعلا المذكورة والتي كانت اثناء تشكل الارض والاندماج الحاصل بين الذرات والذي ادى لنشوء عناصر اثقل منها وهنا لو بقيت هذه العناصر كما كانت في الاصل لما وجدت الحياة على الارض أصلا ولكن الله يسر كل هذه التغيرات التي أصابت هذه العناصر لاتمام انشاء الكون وعندما نناقش تصنيف العناصر الكونية الترابية فنحن نناقشها حسب أهميتها في التشكيل المادي لاننا نناقش قضية الخلق الاولي أي ابتداء الخلق من تراب ومنشأ الانسان منه ولكن لا يمكن أن نقارن ناتج تطور المواد الترابية التي هي المادة الى اشكال من المواد المعقدة او ذات الاشكال الفيزيائية التي لا يوجد فعليا بشكلها الظاهر الذي تطورت له تشابه فيزيائي وانما التشابه في النشأة و مبدئها وما تطورت اليه من مواد تسبب التخلق بشكل دعاه ربنا **((أحسن تقويم))**[١].

<u>فصل:</u>

الإعجاز البديع في معنى قوله تعالى (إنا خلقناهم من طين لازب)[٢]

وهنا لنجمع القولين السابقين فيما فيما سبق وذلك لجمعه تعالى في قوله تعالى **(طين)** فالطين كما اخبرنا المفسرون هو الجبلة واللازب هو الملتصق بعضه ببعض ولنناقش هذا المعنى بخصوصياته المختلفة فالله سبحانه بدأ خلقنا من عهد سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام من طين وحول هذا الطين من شكله

---

[١] سورة التين آية ٤

[٢] سورة الصافات آية ١١

الترابي الى سلالة من ماء مهين أي انه جبل الماء والتراب وشكل الطين وكان هذا الاخير بدوره قد أخذ صفة الطين اللازب وطبعا كان الماء هو الغالب وفق ما شرحناه في الفصل السابق وعندما جعل لازباً كان يجب الارتباط بين عناصر ترابية مختلفة لتشكيل البروتين المخاطي الذي سيشكل مواد غروية محددة هي التي سببت التصاقه مع بعضه وجعلته لازبا على بعضه وهذا محقق في بنية الطين التي هي عناصر ترابية مع مواد لاصقة (غروية) وهو كذلك محقق في الإنسان الذي يتكون من مجموعة من العناصر والمواد التي تمتزج مع الماء وتتخللها المواد اللاصقة التي تجمعها مع بعضها وهذه المواد ليست الا مجموعة من المواد البروتينية المخاطية (الغلوكوز أمين غليكان- السكريات البروتينية – البروتينات السكرية)فالفرع الذي هو الإنسان حافظ على بنية الاصل الذي هو الطين وحتى في نسجه التي تتكون من خلايا متجاورة مع بعضها ومتجمعة بواسطة مواد خلالية لاصقة (المادة الاساسية بين الخليوية) والياف تشابك بينها مسببة تماسكها قد حافظ على البينة ذاتها بخصائصها دوما في تشكله فهو من عناصر ترابية وماء كأساس مادي يشكله وكمواد رابطة ومرتبطة مع بعضها مشبهة للطين تماما وهو طين لازب كما عبر عنه ربنا وهذا ما حصل والله اعلم عند خلق سيدنا ادم ايضا حيث تتابع التخلق من ماء وتراب فتشكل الطين اللازب أي الجسد الملتصق مع بعضه بعناصر خاصة أي الخلايا الملتصقة قرب بعضها والتي بقدرة ربنا تلاصقت وسببت تشكل الجسد البشري بما فيه من اعضاء مختلفة الوظيفة وهذا بحسب نوعية وتمايز كل منها والله اعلم..

<u>فصل:</u> معنى قوله تعالى (من سلالة من طين)[1]

يفسر هذا القول حديث النبي صلى الله عليه وسلم :(**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك) حديث صحيح في صحيح أبي داود.**[2]

فالله قبض قبضة من كل تربة على سطح الأرض وهذه التربة المعينة كانت ليشكل من كل منها أهل هذه الأرض أو تلك وهذا المعنى الحرفي للحديث الشريف ولكن لو تقصينا عمق المعنى لوجدنا ما يثير إعجابنا ويجعلنا مذهولين أمام هذا الإعجاز في كلامه صلى الله عليه وسلم فالنبي الكريم كان يشير إلى حقيقة مذهلة وهي أن الله تعالى عندما خلق الخلق حدد لكل منهم تربته ومكان نشأته ونموه وتطوره الأرضي وكان يعلم وهو العالم بكل شيء بان لكل شعب وعرق سيخلقه أرضه الخاصة به وذلك لان الذرات التي ستخلق منها بداءته وهي نطفتي أبويه ستكون هناك كما أن نشأته ووجوده ستكون هناك مبدئيا وربما موته أيضا إلا أن يشاء الله أن يذهب لمكان اخر وبالتالي فهو يعلم نوعية كل مكان على سطح الارض وما هي خصائصه وما مناخه التي قد تؤثر في هؤلاء الناس اثناء حياتهم على تلك الارض وبالتالي فعندما خصص لهم تربتهم وذراتهم الاصلية التي سيخلقهم منها أودع فيها من الاسرار والخصائص ما يناسبهم وقدر وتقديره الحق ما سيكون عليهم من امور فخلقهم على الهيئة واللون والخصائص المناسبة لهم وهذا فيه اعجاز كبير منه عز زجل فالابيض الذي يولد في القسم الشمالي من الارض مثل اماكن اوربا مثلا لو قدر له أن يعيش في مكان على خط الاستواء لكان مات من سرطان الجلد الذي ثبت علميا أن التعرض للشمس من أهم الأمور المسببة له وأنها تكون أكثر عندما يكون الشخص مثلاً من البشرة البيضاء ويتعرض لشمس شديدة كشمس الجزيرة العربية أو السودان مثلاً أما أهل تلك المناطق فنجد أن لون بشرتهم مثلا يتوافق مع الحياة في هذه الاجواء وحتى قدرتهم على تحمل الحر اكثر بكثير وكأن ربنا

---

[1] سورة المؤمنون آية ١٢

[2] صحيح أبي داود رقم ٤٦٩٣

عز وجل اعدهم لهذا الامر ثم لنأتي الى المناطق الشمالية من الارض تجد أن اهلها بيض اكثر بما يتناسب مع تحمل البرد اكثر من غيرهم حتى لتجد انهم يسبحون في أماكن قد تكون درجة حرارتها تحت الصفر وهكذا الكثير من الأمثلة وقد يقول قائل طيب نحن نرى الاسود يمكن أن يتأقلم للعيش في تلك الاماكن إذا اضطر لذلك وهنا أقول إنه إعجاز آخر في الخلق فربنا عز وجل خلق الخلق كأمر طبيعي ليعيش كل في بلده ولكن أودع فينا أسرار التأقلم بالمناخات ولكن بحيث يقي نفسه مما يضره فيها وإنك لتجد أن أهل المناطق العالية لديهم خضاب الدم وهو العنصر الحامل للأوكسجين في الكريات الحمراء أكثر بتعداده من غيرهم وهذا لكون مناطقهم المرتفعة يكون نسبة أوكسجين الهواء أقل نسبياً ما أريد قوله هو أن الأصل أن ينمو ويعيش كل منا في بيئته التي خلق لها ولكن ممكن أن يتكيف مع أي وضع جديد ولكن بحيث يقي نفسه مما قد يضره وعلى هذا فان الابيض الذي يعيش في المناطق الحارة في اول ذهابه لا بد أن يقي نفسه من الشمس والا فانه سيتعرض لحروق جلدية خطيرة ريثما تحمر او تسمر بشرته قليلا وهذا مجال تكيفي آخر حيث أن خلايا الميلانين في الجلد تتكاثر اكثر وتلون الجلد ليتأقلم نسبيا مع ما صار عليه من بيئة جديدة غير متناسبة في الاصل مع تربته التي خلق لها ومنها وهكذا وهنا نجد هذا في قوله تعالى((**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة**))[١]

وقد اختلف في تأويل المراغم، فقال مجاهد: المراغم المتزحزح وقال ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم: المراغم المتحول والمذهب وقال ابن زيد: والمراغم المهاجر وقاله أبو عبيدة: قال النحاس: فهذا الأقوال متفقة المعاني، فالمراغم المذهب والتحول في حال هجرة، وهو اسم الموضع الذي يراغم فيه، وهو مشتق من الرغام ورغم أنف فلان أي لصق بالتراب وراغمت فلاناً هجرته وعاديته، ولم أبال إن رغم أنفه. وقيل: إنما سمي مهاجراً مراغماً لأن الرجل كان إذا أسلم عادى قومه وهجرهم فسمي خروجه مراغماً وسمي مصيره إلى النبي صلى الله عليه وسلم هجرة فالمراغم هي آتية بالنتيجة ممن سيرغم انف عدوه وهي كما توضح كناية عن أن

---

[١] سورة النساء آية ١٠٠

من يهاجر في الأرض سيجد مصاعب فيها ستواجهه في هجرته ومنها هذا الأمر الجسدي والنفسي ولكن سيتبع ذلك سعة في الرزق والعمل والحياة وهو الغرض من الهجرة أصلا ولاسيما إذا كانت في سبيل الله وما لمسناه بعد السفر في البلاد ولا سيما بلاد الخليج هو إعجاز آخر في اختلاف الألوان والأعراق واللغات فكل يجلس مع الآخر ويتفاهمون مع بعضهم كل بقدر لغته وعندما تتجرد عن التفكير بلغتك وتتأمل كيف كل هؤلاء يتفاهمون ويتعاملون مع بعضهم ويدعون ربهم ويسجدون له على اختلاف لغاتهم وكلهم يريد الجنة وان يبعده ربه عن النار تقول بلسان من جرب هذا الشعور سبحان الله يا لها من آية مبهرة ومعجزة عظيمة يقول تعالى **((ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ..))**[١]

وهذا ما أردت توضيحه كمعنى أول لقوله **((من سلالة من طين))**[٢].

وقد يقول قائل إن الطين مكون من مكونات ثابتة هي التراب والماء فكيف يكون له سلالة...؟

هنا أقول إن هذا بحد ذاته هو إثبات لإعجازه تعالى فالله سبحانه ومن أصل واحد معلوم لدينا بتركيبه وخصائصه خلق فروعا متعددة ومختلفة بالأشكال والألوان كما انه خصص الطين ليكون ذا وظيفة وتتشكل منه خلايا وأودع أسرارا وبرمجة دقيقة في كل خلية لما ستكون عليه وما هي وظيفتها وعملها المنوط بها وبالتالي تشكلت منها أعضاء اجتمعت فشكلت كائنا بديعا يدل على إعجاز خالقه هو الإنسان وهذا من أدلة قدرته عز وجل على التحكم بكل شيء كما يشاء وكيف يشاء ليكون ما يشاء بإذنه سبحانه..وبقوله تعالى (من سلالة) دلالة واضحة على الوراثة والتوريث الحاصل في التخلق فيما بعد في الإنسان ما سيتبعه تحميل هذه الخلايا من الخصائص في بنيتها ومادتها الوراثية التي كما نعلم يمثلها جزيء الحمض النووي دي إن أي DNA فهو قد قام بتحويل هذا الطين من شكله التقليدي إلى عناصر تتجمع مشكلة مادة وراثية تتجمع في نواة

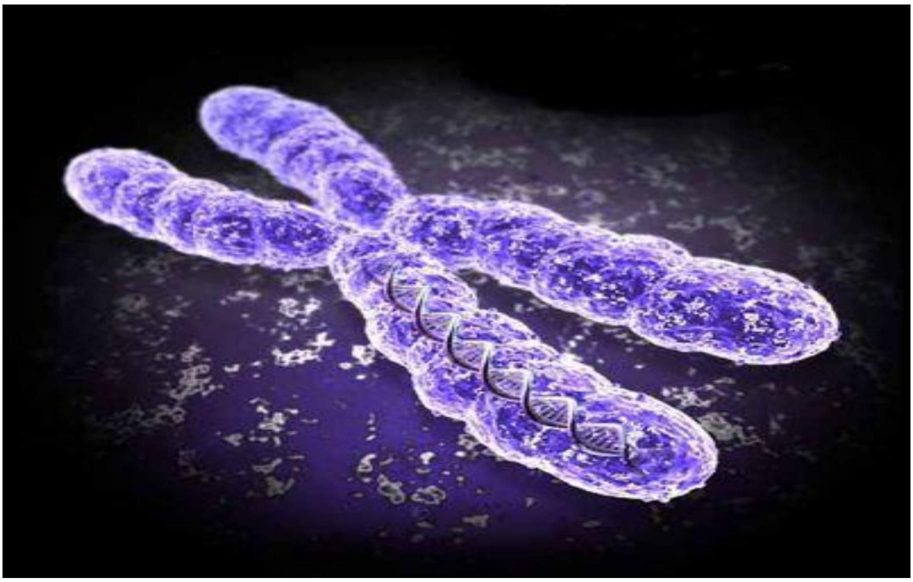
---

[١] سورة الروم آية ٢٢

[٢] سورة المؤنمنون آية ١٢

الخلية التي ستشكل الجسد بالتجمع مع مثيلاتها وهي ذاتها تتوضع في خلايا المواد المنتجة للغذاء من نباتات وأحياء يتغذى بها الإنسان..

الشكل التالي يوضح الكروموزوم وهو البنية الحاوية على مكونات المادة الوراثية في كل خلية حيث تتبرمج من منشأها إلى مماتها :



وقد تبين علميا أن فيها برمجة محكمة لكل خلية وحتى للكائن البشري ككل من حياة وممات وأمراض وأعراض تعرض له في حياته وغيرها وهي الثورة الحالية في علم الوراثة التي قد نتمكن فيها من توقع بعض ما يطرأ على الإنسان ولعل موضعها هذا هو مكان كتابة الملك عندما يرسله ربنا ويوكله بالنطفة من اول تشكلها لأنه مكتوب عنها أصلا قبل خمسين ألف سنة من الخلق الأولي فلا يكون معنى كتابة الملك إلا انه يوسم هذه النطفة بما سيكون فيها بموسمات معينة ولعلها في مورثاتها التي ستتجمع من الأبوين أوليا وهي متسلسلة من أول إنسان وجد وهو أبو البشر أي منذ سيدنا آدم عليه السلام ثم أصبحت متتالية في أجسادنا أبّاً عن جَد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولهذا كان كل منا يحمل صفة من صفات أبينا ادم كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم..

هذه المادة الوراثية في نواة الخلية الحية هي التي ستتحكم بكل شيء للكائن الكامل فيما بعد وكأنه برمج الخصائص المطلوبة للعرق المطلوب (الأسود

أو الأحمر أو الأبيض مثلا.) بواسطة هذه التحولات الوظيفية للمادة الترابية نحو البرنامج المطلوب وراثيا.

الذي سيحدد خصائص هذا العرق أو حتى النوع بالنسبة للأنواع الأخرى من الأحياء.وهذا نجده في قوله تعالى **((وما من دابة ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء))**[١] هذا المعنى الثاني للسلالة.

كما أن المعنى الثالث للسلالة هو أن الأنواع التي تحول إليها الطين وفقا لقوانين صارمة وبديعة من نباتات وكائنات مما يغتذي بها الإنسان ففي الأصل لا يستطيع أن يأكل التراب أو الطين ولكن ربنا حول هذا الطين لأشكال وأنواع مما يجعله سائغا لنا ومحببا إلينا لنتمكن من تناوله وان نتابع حياتنا ونعيش ونتكاثر ونحقق بقائنا وبالنتيجة عبوديتنا لربنا وقد يسر لنا ربنا هذا ضمن نظام بديع من التنويع والاختلاف الهائل في حجم وعدد هذه الأنواع فمثلا ما نأكله من نباتات كلها تتغذى من العناصر الترابية المختلطة بالماء أي الطين وهي من عناصر معدنية وعضوية وماء وكلها تتحول فيها إلى أنواع من المواد التي تفيدنا كعناصر غذائية وهي بدورها أي هذه النبتات تكون غذاء جاهزا للحيوانات النباتية التي سخرها ربنا سبحانه لنا لتعطينا من لحومها المكونة بالنتيجة من أصول طينية (معادن وماء وأملاح..) وهي بدورها ستشكل أجسادنا التي ستستقبلها وتحولها لمواد بنائية وأخرى وظيفية تقوم بأعمال ضرورية لحيلتنا وبقائنا وتنتشر في أنحاء جسمنا فنكون قد تشكلنا من هذه العناصر التي هي أنواع وأشكال وسلالات من الطين ستلعب دورا في تشكل النطاف الذكرية والأنثوية التي ستشكلنا في بطون أمهاتنا بمشيئة ربنا سبحانه.

ولو أخذنا البنية الداخلية لأي نمط من أنماط المركبات الداخلة في هذه الأغذية لوجدناها وبنفس المبدأ تتشكل من مواد مرتبة كما في الطين وهذا لو أردنا سرده من بنية كل عنصر غذائي من فواكه او لحوم او خضار او املاح وغيرها للزمنا مجلدات كثيرة وهي موسعة في أبحاث علم التغذية لمن أراد التوسع ودوماً نجد نفس المبدأ من ماء وعناصر ترابية معدنية وعضوية أساسها

---

[١] سورة الأنعام آية ٣٨

الكربوهيدرات المكونة من أوكسجين وكربون وهيدروجين او مواد دسمة وبروتينية قوامها أيضا من حموض دسمة للدسم فيها نفس العناصر السابقة أو حموض آمينية مكون للبروتين قوامها الأساسي هو الآزوت وكلها تتجمع مع أملاح ومعادن ومواد لاصقة في خلايا النباتات أو الحيوانات كما في جسمنا التي ترجع للبنية الطينية التي تحدثنا عنها والله اعلم.. وهنا لنتأمل قوله عز وجل **((والله أنبتكم من الأرض نباتاً))** [١]

<u>فصل:</u> إضاءة جديدة على معنى قوله تعالى ((من صلصال كالفخار)) [٢]

كثيرا ما تأملت هذه الآية ونظرت في بعض التفسيرات لها ولعل اغلبها من الإسرائيليات أو بعض الأحاديث المروية في هذا الباب على اختلاف درجة صحتها ومنها ما نقله ابن كثير رحمه الله عن الطبري بأن الشيطان قبل بث الروح في جسد ادم الطيني كان يطرق على جسده فيخرج صوت كصوت طرق الفخار وهنالك الكثير من الروايات عن هذا والتي تطابق هذه الفكرة ولعلها رأي في معنى هذه المرحلة من تخلق سيدنا آدم.

ولكن والله أعلم أني قد توصلت لتأويل أقرب إلى الصحة لهذه الآية الكريمة والتي أرى في مضمونها إعجازاً مذهلاً وحقيقة بديعة من إيجاد الخالق وهي بيان العنصر الثالث المكون للإنسان وهو الطاقة فهي تختصر كل المراحل بجسد مادي مع طاقة بطين صار فخارا بعد أن جف كالصلصال بعبارة أخرى ما يضاف على جسد الإنسان من مركب جديد يكون فيه هو الطاقة من حرارة وأشعة مكونة له والتي مصدرها الشمس حيث شبهنا بالفخار وهو الطين الذي تعرض للشمس ولم يقل الطين حيث انه لا يشبه الطين بخصائصه الفيزيائية وإنما أضيف إليه عنصر جديد هو الأشعة التي تملك من المميزات الجديدة الشيء الكثير فهو كبنية طين ولكنه محمل بطاقة ولعل هذا كان جائزا حتى بمعناه اللفظي عند الحديث عن سيدنا ادم الذي كان أبو البشر فالله قادر على كل شيء

---

[١] سورة نوح آية ١٧

[٢] سورة الرحمن آية ١٤

كما نعلم وإنما أردت مناقشة هذا بالنسبة لنا كبشر جعل نسلنا من سلالة من ماء مهين**((ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين))**[١]

هنا نجد أن الإشعاع الشمسي أو حتى الحرارة المنبعثة من أي جسد تحتوي على أشعة مختلفة فمنها الكهربائي وهو ما نعرفه بالأشعة الكهرطيسية أي كهربائية مغنطيسية ومنها الحراري الذي يمثل فوتونات (أي جسيمات طاقية) خاصة تتوضع في أمواج خاصة مشكلة إضاءة بأطوال أمواج محددة بحسب شدة الحرارة.

وجسد الإنسان مكون فعلاً من هذه الأجزاء الثلاثة (التراب والماء والطاقة) وقد أوضحنا معنى الطين (التراب والماء) أما العنصر الثالث من أشعة أو طاقة مشعة من جسد الإنسان فهي فعلا حقيقة واقعة في جسد الإنسان ولنوضحها بالتالي:

فالكهربائية نجدها في السيالات العصبية التي تشتعل في الكائن الحي بمجرد وجود الروح فيه وهي بطبيعتها كهرباء حقيقية تسير في الجسد وحتى آلية تشكلها ليست إلا حركة لشوارد كهربائية (الصوديوم –البوتاسيوم –الكلور.) وقد أورد أستاذنا الدكتور محمد علي البار في كتابه (خلق الانسان بين الطب والقرآن) صفحة ٣٣٠ أن أحد علماء تشريح الاعصاب وهو الدكتور كورين قد قاموا بتشريح الأجنة ووجدوا حقيقة مذهلة هي أن هذه الأعصاب موجودة في أثناء تشكلها ومهيأة للعمل ولكن لا تضيء فيها الكهربائية الواعية التي تدل على الكائن الحي إلا بعد نهاية الشهر الرابع وهي مرحلة بث الروح وهذه من الخفايا المذهلة لهذا الأمر التي يكشفها ربنا لنا لرأينا آياته في أنفسنا وفي الخلق.

أما الدراسة المغنطيسية للإنسان فقد أثبتت وجود مجال أو حقل مغنطيسي يحيط به ومنه ما اثبت بأنه إذا ما أحيط بمغانط أي مجالات مغنطيسية متعددة فانه سيعاني من اضطرابات عصبية ونفسية وذلك بسبب تعطل وتشوش عمل نظامه المغنطيسي وأخطاء أو ارتباك على وجه الدقة في اتجاهات السيالات العصبية العليا التي تتحكم بكل الجسد ومنها ما ثبت من

---

[١] سورة السجدة آية ٨

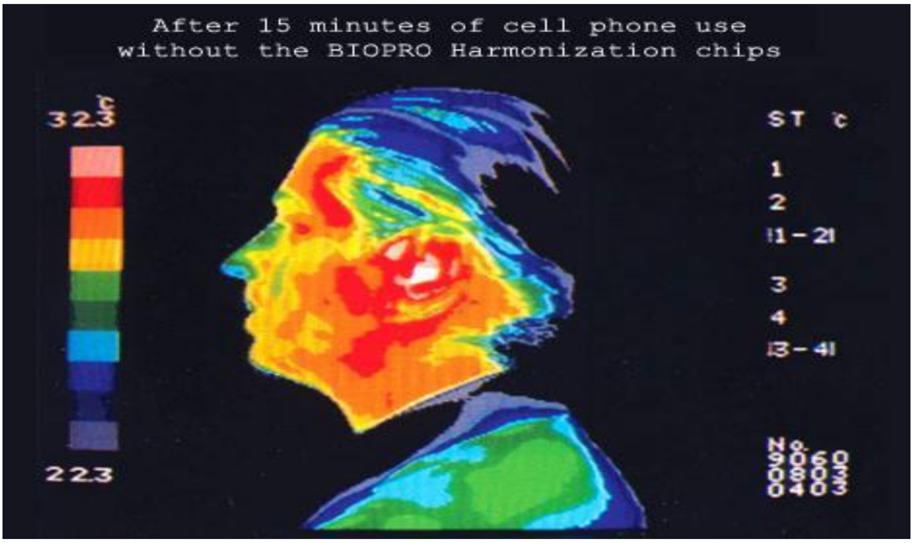
تعرض الإنسان لاضطرابات النوم عند وجود أجهزة الهواتف الجوالة قربه وهي تصدر مجال كهرطيسي واضح.

ومنها أن الإنسان إذا ما كان سائرا ويفكر بشيء ما ومر قربه أحد بحيث قطع مجاله المغنطيسي فانه سوف ينتبه له وان لم يحدث منه أي حدث يدل عليه مثل الصوت أو الحركة وهذا كله مثبت علميا ودلت عليه دراسات كثيرة قام بها علماء الفيزياء وهي من الحقائق المثبتة عندهم.

وفي الواقع إن هذا الأمر وارد وواقعي حيث أن الإنسان كتلة أي جسد وكل جسد له من الشحن الثابتة والمتحركة والتي حسب قانون الجاذبية (قانون نيوتن كما يسميه علماء الفيزياء) ((كل كتلة تولد حولها حقل جاذبية وهو بدوره يمتلك خصائص مغنطيسية)) فكيف إذا كان هناك كتل مشحونة وشوارد تسير وتتواجد في صلب الجسد الإنساني ولعل الانقطاع في خطوط هذا الحقل حول الإنسان يسبب حسب قوانين الفيزياء التي تشرح توليد التيار الكهربائي سيولد تيارا كهربائيا تحريضيا يسير في الجسم بشكل سيالة عصبية تسبب التنبيه الذي يبديه الإنسان.

وأما الحرارة أو الطاقة و الأشعة الحرارية فنحن كلنا ذوي إشعاع حراري ولعل ما يسبب هذا هو الحركة المستمرة للجزيئات في كل مكان ولا سيما الدم والبلغم وسوائل الجسم المختلفة الداخل خلوية والخارج خلوية..ودليل هذا واضح جلي ويمكن أن نراه بواسطة الكاميرا الحرارية التي نستطيع من خلالها أن نصور الجسم الإنساني ونتوضح الأماكن ذات الحرارة المرتفعة و الأخرى ذات الحرارة المنخفضة فالأولى تظهر باللون الأحمر القاني والأخيرة تظهر بدرجات مختلفة من الأحمر حتى الأزرق الباهت حسب مقدرتها على الإشعاع الحراري وهذا ما يوضحه الشكل التالي :

الشكل التالي يوضح مدى الاشعاع الحراري من الجسم البشري ونتلقاه الآن بما يسمى الغاما كاميرا لنتأمل الاختلافات بين المناطق بحسب اشعاعها الحراري



ومن كل ما تقدم نجد أن العديد من خواص الإشعاع الشمسي في جسدنا وكأنها فعلا مكون ثالث له ولكن التشبيه بالفخار يطرح لنا معنى آخر جميل موجود في الآية وهو المسام الموجودة في أجسادنا والتي تشبه مسام الفخار في صغرها من حيث المفارقة كما أننا لو وضعنا في الفخار مصدر للطاقة يعطي الضوء والحرارة والأشعة عموما مثل المصباح الكهربائي ونظرنا له بمجاهر دقيقة أو حتى بالعين المجردة لرأينا أن الفخار يصبح حارا وبنفس الوقت يضيء ويظهر منارا ولو أتيحت لنا الكاشفات الطاقية لرأينا الطاقة المودعة بمكوناتها الإشعاعية والضوئية وأمواجه الكهربائية التي نكشفها بالكاشفات الكهربائية والحرارة بموازينها وطرق قياسها والمغنطيسية بكاشفاتها وهو تمثيل لهذا الإنسان الذي يستمد الطاقة من الله عز وجل من خلال الروح التي هي أداة إنارة الإنسان ولولاها لكان الإنسان لا حياة فيه كالصلصال الذي ليس فيه مصدر طاقة ويمكننا كشف آثارها كما أسلفنا في أنواع الأشعة الموجودة في جسدنا وذلك سر

الخالق يضعه حيث أراد قال تعالى **((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا))**[١]..

وهذا يسقط علينا أما قصة خلق سيدنا ادم فهي خلق فريد له تسلسل كما سلسله لنا ربنا عز وجل بحسب الترتيب الذي كان من ماء وتراب شكل طين ثم أصبح كالصلصال ثم حمأ مسنون ثم بث الله فيه الروح كما هو معلوم فأصبح من صلصال كالفخار وعند موت الإنسان كما يوضح أستاذنا في علوم الإعجاز الأستاذ الدكتور زغلول النجار نجد انه يتخرب بشكل منعكس أي يصبح صلصال حمأ مسنون ثم يعود ليشتبك بالأرض كطين لازب ثم يجف بعد إتمام انتهاء تفسخه ليعود ترابا في الأرض و يندخل بها تماما وهذا وجه إعجازي في علوم الطب الشرعي ونجده في قوله تعالى **((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى))**[٢]..

وهنا أعرج على قوله تعالى: **((وبدأ خلق الإنسان من طين *ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين))**[٣]

فالبدأ كما أوضحنا كان من الطين ذاته الذي شكله ربنا سبحانه كما شاء وهذا دليل على أن ادم أبو البشر كان اول الخلق من البشر ومنه جاء بنو آدم وهذا ما اتفق عليه عموم جمهور أهل العلم وجاءت بعض الاقوال عن أن هناك قبله بشر غير عاقلين وانه اصطفي منهم ليكون اول دعوة للبشر لعبادة رب البشر وهذا القول باطل من أوجه عدة أولاً أن خلق ادم عليه السلام باعتباره اول البشر معجز لانه من لاشيء ثم من تراب ثم طين وهكذا إلى أن سواه ونفخ فيه من روحه ولذا قال ربنا سبحانه **((إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون))**[٤] أي انه معجز في خلقه ولو انه استمرار من أب وأم لكان هذا أولاً منافيا للنصوص الصريحة في كونه أول خليفة حقيقي اختاره الله

---

[١] سورة الإسراء آية ٨٥

[٢] سورة طه آية ٥٥

[٣] سورة السجدة آيات ٧-٨

[٤] سورة آل عمران آيية ٥٩

من الخلق ثم إنه خلق من الطين فوراً بحسب النصوص التي أوضحناها سابقا وحتى الآن في الآية التي يشبه بها خلق ادم بعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذا وعلى اعتباره رمز للبشر أسجَدَ الله له الملائكة كما نعلم وجعلهم يحترمونه وحتى أنهم يحمونه وذريته وهذا في قوله تعالى **((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))**[١]

وهذا التفضيل الكبير لدرجة أن ربنا استخلفنا أي جعلنا خلائف له في الأرض لعُمرانها بما شرع لنا.

ولما علم وعلمه الحق أن بني آدم ومن زمن آدم سيكونون بدعة خلقه الذين سيوكل لهم عمارة الأرض وبناء حضارتها لذلك كان خلقه لنا من أبينا آدم.

ومن وجه آخر فلو كان هناك بشر آخرون ولنفترض جدلاً هذا لكان أحد احتمالين إما انهم عقلاء وبالتالي على اعتبار آدم هو أول الخلق من الانبياء فما حظ أؤلئك من الدعوة وطبعا حاشى لله أن يظلمهم ويدخلهم النار وهو القائل **((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً))**[٢] وهذا لا يمكن بشكل قطعي

وإما أن يكونوا غير عقلاء فهم كالحيوانات وهذا لا يمكن لاننا لو قبلنا به لكنا اخذنا بنظرية التطور وهذا باطل من أوجه كثيرة لها مواضع أخرى للنقاش ولذا لن نتطرق لها الآن.

ومن القصص الواقعية التي تعترف بها الأديان عموما وهي في قرآننا الكريم نجد قصة قابيل وهابيل وهي أول جريمة في تاريخ الإنسان على يدي قابيل ابن سيدنا آدم وأخبر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن على كل قاتل من بني آدم هنالك وزر سيصل لقابيل لانه أول من سن القتل أي هي اول جريمة في البشرية أي أنه لا يوجد قبلهما بشر اقتتلوا وبالتالي فان هذا صريح في كون سيدنا آدم أبو البشر والناس عموماً ولا يوجد شيء اصلاً اسمه بشر قبل الإنسان البشري الاول وهو آدم وحتى لفظة بشر لا تعني الهمجية كما عبر عنها البعض بل

---

[١] سورة الإسراء آية ٧٠

[٢] سورة الإسراء آية ١٥

إنها مشابهة للفظة الإنسان سوى أن معناها باللغة ما له بشرة وهذا منطبق على بني ادم من عهده وحسب ولو أردنا التوسع بهذا للزمنا الكثير مما له موضع آخر..

ولما تطلب الأمر أن تتيسر خلقة بني آدم بسنة إلهية من بعضهم بعضا كان لا بد أن يتم التحول من الشكل الأصلي للطين إلى سلالة ذات تركيب مشابه للأصل وهي الماء المهين وأن يتم استلال قسم صغير من نفس الماء المهين ألا وهي النطفة

عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود ... قال: جئت أسألك عن الولد، قال: (ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله) قال اليهودي: لقد صدقت. رواه مسلم(٣١٥)

فمني الرجل ومني المرأة الذي هو الماء المهين ليس إلا سائل أساسه الماء والمواد الغروية اللاصقة مع النطاف الذكرية والأنثوية وكلها لا تخرج عن بنية الأصل وهو الطين اللازب الذي سبق ذكره والله اعلم.

معنى المهين: المهين هو القليل حسب القاموس المحيط أي الماء القليل أو الصغير الكمية فالله خلق الإنسان من ماء قليل ضعيف لا يذكر بضع ملليليترات ومع ذلك شكله بشكله وحقق منه كمالاً في الخلق كرمه به ربنا عز وجل أدى لصنع نموذج مصغر عن الكون الكبير الذي اوجده الله عز وجل بتنظيم محكم ولنتعظ بقوله تعالى: **((هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب))**[١] ولنتعظ بقوله: **((إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب))**[٢].

---

[١] سورة غافر آية ١٣

[٢] سورة الزمر آية ٢١

فصل:

معنى قوله تعالى: ((ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون))[1]

والحمأ المسنون هو الطين الاسود ذو الرائحة النتنة وهو الطين المصبوب كما أورده المفسرون واورده ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه وفسره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((خلق الملائكة من النور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم))**[2] أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وهنا اقول أن الصلصال كان من الحمأ المسنون وهو الطين اليابس النتن الرائحة وهي المرحلة التي تسبق تحوله لصلصال كالفخار كما اوضحنا سابقا وهذا فيه اعجاز بالغ فلولا الطاقة التي تبث في الصلصال ليصبح فخارا أي ذو بنية وظيفية حقيقية يمكن الاستفادة منها كما نعلم لكان اسن ونتن وصارت له رائحة وهذا بالضبط ما سيحدث للآدمي إذا ما لم تبث فيه الروح حيث سيصبح منتنا وجسداً بلا حراك ولا عمل ولا وظيفة يخرج بها كإنسان كامل مكلف مستخلف بالارض وله وظيفة وسيسأل عن هذا فيما بعد وهذا اوضحناه كمعنى خاص للصلصال ثم كيف يصبح كالفخار وفعلا لولا الروح التي تمد الجسد بالطاقة وبالنتيجة كل صفات الحياة وصفات الإنسان الكامل لكان جسده قد تفسخ وهذا مثبت وبديهي عند العارفين بأحوال الإنسان إذا ما مات أو قطع من جسده شيء فنجده ينتن ويتفسخ ويعود ليتحلل ويرجع ليصبح طينا لازبا ثم ترابا داخل الأرض ثم ذرات مندخله فيها وهذا اوضحناه ايضا..

أما الحمأ فهو التراب الاسود وهو اشارة لوجود العناصر التي تعطي اللون الاسود وهي عمليا ليست إلا العناصر الثقيلة واهمها الحديد الذي يوجد في الجسد ويتحول لاكاسيده ذات اللون الاسود ومثله العديد من العناصر الثقيلة التي تأخذ مركباتها الوان مختلفة بحسب كل منها ولعل التشديد على السواد

---

[1] سورة الحجر آية ٢٦

[2] صحيح مسلم ٢٩٩٦

بسبب اهمية الحديد في حياة الإنسان بشكل يفوق التصور (عنصر الدم الاول) وهو كغيره من العناصر ذات الاهمية الكبيرة في الجسم وكلها بتأكسدها تعلن عن تفسخ الجسد وموته وذلك بدأ من المركبات العضوية الخاصة بها بالإضافة لتفكك العديد من المواد الفينولية وغيرها مما يعطي الرائحة النتنة للجسد بعد موته وهو ما يتم بعد خروج الروح منه مما يدل على الموت الخلوي الحاصل فيه ولن أدخل في تفصيلات اللون المذكور بشكل كبير لعل الإعجاز الأدق الموجود في الآية يحتاج لمكتشفات علمية لا تتعارض مع المعنى التفسيري الأساسي كما أن هذا يحتاج لتفصيل كبير في أنواع المركبات وما ينتج عنها بعد التحلل النسيجي للبدن نوهنا عن بعضها وهناك الكثير منها وهنا اقول ومن تجربتي الشخصية (من خلال رؤيتي للجثث وبلائها في قسم التشريح) أن الجسد بعد الموت يأخذ اللون الاسود أو البنفسجي الغامق وذلك مما يحصل من تحللات نسيجية وجسدية خاصة تسبب ذلك فعلا وهنا اعود لاقول إن هذا يحتاج لمكتشفات علمية جديدة..

عموما اليكم **مراحل تحلل الجسد بعد الموت** ومرجعيتنا كتب الطب الشرعي وهي تتحدث بما يلي:

تمر هذه التغيرات بثلاث مراحل أساسية نلخصها فيما يلي :المرحلة **الأولى:**
هي مرحلة "التيبس" والمسماة باللاتينية Rigor mortis التي تعني "تيبس الموت".

تظهر في أول أربع ساعات من الوفاة، وتصل ذروتها خلال ١٢ إلى ٤٨ ساعة يعتمد هذا الوقت على سبب الوفاة ذاتها وحرارة الجو التي تسرع من العملية كلما ارتفعت درجتها.

وفي تفسير مبسط لمرحلة التيبس نجد أنه في الجسم الحي تتحلل مادة الجليكوجين (Glycogenالخازنة للجلوكوز) إلى الجلوكوز باستخدام الأوكسجين وإنزيم الطاقة المسمى بالـATP (Adenosine Triphosphate)،

إلا أنه حينما تحدث الوفاة يتوقف الأوكسجين الداخل للجسم عبر التنفس **فيبدأ الجليكوجين** المخزن في التحول إلى **مادة حمض اللكتيك Lactic Acid**في عملية لا هوائية (بدون وجود هواء) (anaerobic process) ويتسبب هذا

الحمض بدوره إلى تكوين مادة لزجة حول الألياف العضلية التي تسبب صلابة العضلات وتيبسها.

المرحلة الثانية: يدخل الجسم بعد ذلك أو أحياناً في نفس التوقيت إلى مرحلة Livor mortisالتي تبدأ بعد الوفاة بساعة أو اثنتين، وقد تطول إلى أبعد من ذلك، وهو ما جعل بعض العلماء يصنفونها على أنها مرحلة ثانية. ويتجمع خلالها الدم ويستقر على هيئة كتل بنفسجية صغيرة وكبيرة، ويثبت في أماكن متفرقة من الجسم حيث تنتج هذه الكتل عن تحلل الدم وخروج صبغة الهيموجلوبين إلى خارج الأوعية الدموية المتحطمة. وتصل هذه المرحلة إلى ذروتها خلال ١٨ إلى ٢٤ ساعة تقريباً.

كما تبدأ حرارة الجسم في النزول خلال هاتين المرحلتين نتيجة لعدم قدرة خلاياالدماغ الميتة على الحفاظ على حرارة الجسم عند ٣٧ درجة مئوية (درجة حرارة الجسم الحي) .

المرحلة **الثالثة:** وفيها يدخل الجسم إلى التحلل Decomposition التي بدورها تنقسم إلى مرحلتين:

١. **مرحلة التحلل الذاتي :Autolysis**

وهو تفاعل كيميائي إنزيمي تتحلل من خلاله مادة الخلية. وتخرج الإنزيمات الهاضمة التي كانت من قبل صديقة لجسم الإنسان في حياته وتبدأ في تحليل خلايا الجسد؛ لذلك سميت المرحلة بالتحلل الذاتي. ولا شك أن الأعضاء التي تحتوي على إنزيمات هاضمة بتركيزات أعلى ستبدأ بالتحلل قبل غيرها مثل البطن والبنكرياس الذي يتحلل قبل القلب.

٢. **مرحلة التعفن: Putrefaction**

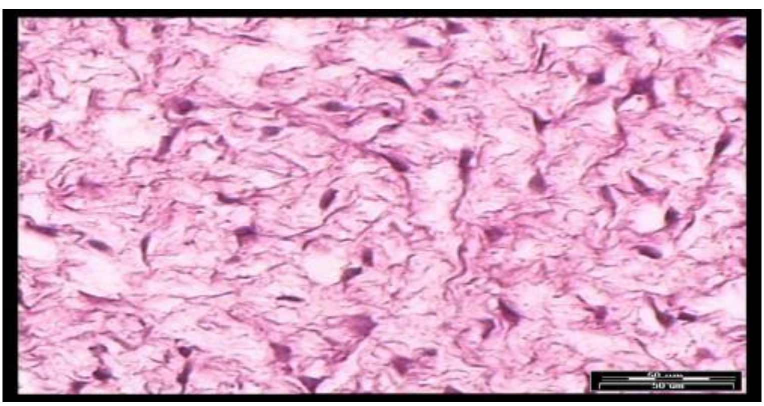
وهي عملية اقتحام البكتيريا وعملية التخمر في تحلل الجسم، وإذا بدأت هذه المرحلة يصعب توقفها حتى بالتثليج. وتساعد مرحلة التحلل الذاتي في عملية التعفن حيث تهيئ بيئة غير هوائية صالحة لنشاط البكتيريا الآكلة. فتبدأ هذه البكتيريا في النمو وإخراج الغازات بعد ما يقرب من أسبوع التي تتجمع شيئا فشيئا حتى تؤدي إلى تفجر الجسم خلال أسابيع.

تنتج هذه البكتيريا مواد متعددة كالهيدروجين، الماء، ثاني أكسيد الكربون، الأحماض، الكحول، والأسيتون، كما تنتج مركبات نفاذة الرائحة ناتجة عن تكسير الأحماض الأمينية وهي الرائحة التي تفوح من جسم المتوفى.

تعتمد مرحلة التحلل Decomposition على حرارة الجو بدرجة عالية خاصة في مرحلة التحلل الذاتي، حيث تعمل الإنزيمات بشكل جيد كلما ارتفعت درجة الحرارة، كما أن وجود الماء (الرطوبة) يساعد أيضاً على إتمام المرحلة؛ لأن المركبات المكونة للرائحة تذوب في الماء. وكلما انخفض الأوكسجين تكونت البكتيريا اللاهوائية المختصة بتحلل الجسم.

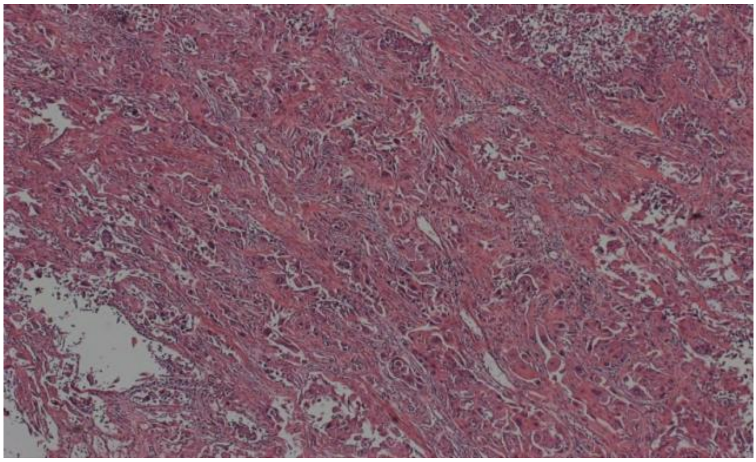
و لن أتطرق لتفاصيل اكبر في هذا البحث لأننا ركزنا فيه على الحياة عموما وكيفية بدء الخلق الجنيني ومع ذلك فانا اعتقد أنني أوضحت أهم النقاط الخاصة به والله اعلم..

لدينا الشكل التالي يوضح النسيج الخلوي وكيف يرتبط مع بعضه بمادة اساسية لاصقة والياف غرائية تجعله كالطين اللازب:



أن المسافات بين الخلوية تعبئ بالمادة الغر وانية وبالألياف التي تؤمن تماسك النسج وهذا كمبدأ ما نجده في كل النسج في الجسد على اختلاف قساوتها وليونتها.

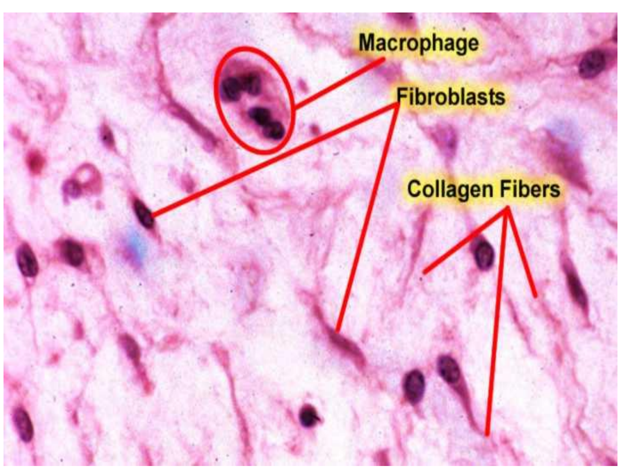
الشكل التالي يوضح بنية النسيج الخلوي في الانسان لاحظ الالتصاق بين مكوناته وتأمله بدقة



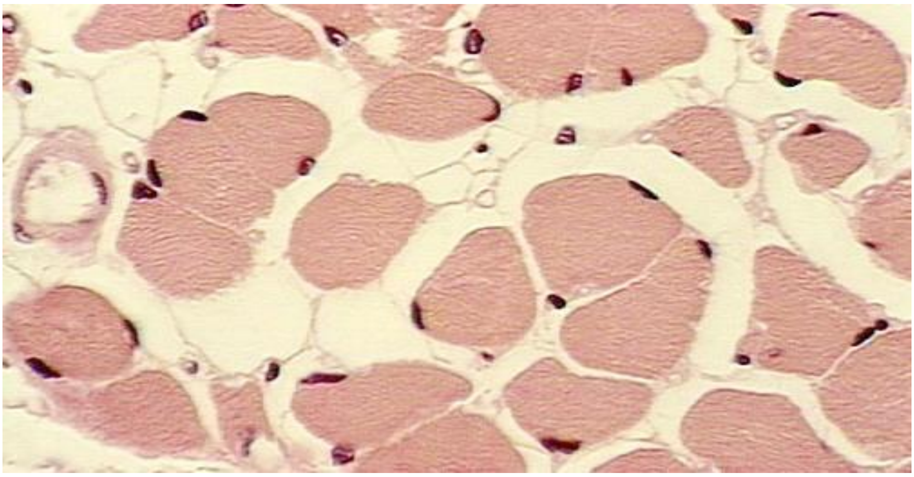
والآن اريدك أن تنظر للطين وتقارن بنفسك من حيث المظهر أما البنية فسبق أن وضحناها:



في الشكل التالي لاحظ الياف الكولاجين بين الخلايا ضمن نسيج ضام في الجسد



في الشكل التالي ايضا نجد أن هناك مسافات بين الخلايا فيها ملاط من المواد الغروانية



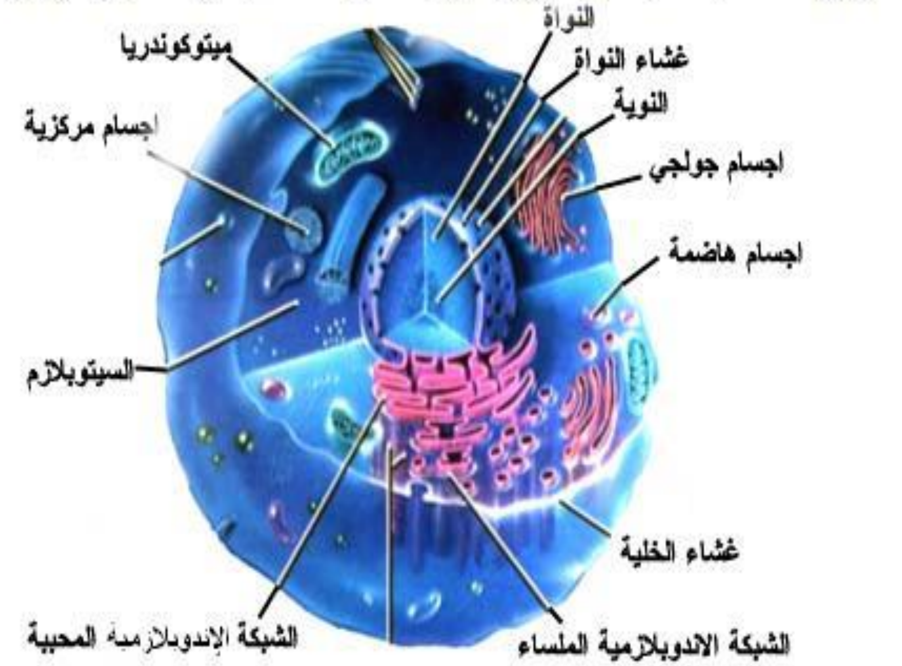
والآن *لاحظ بنية الخلية الحية في الشكل التالي* وكيف انها تعيد نفس المبدأ القائم على تجميع للعضيات داخلها وويتواجد بينها بنية مائية كبير ة فيها مع المحافظة على وجود عضيات خلوية اهمها النواة التي فيها البرمجة الاساسية في المادة الوراثية في الصبغيات أو الكروموزومات ثم ما تحتاجه من أجهزة طاقة اهمها الجسيمات المتوكوندرية وجسيمات التغذية التي تسمة الليزوزومات وجهاز اطراح هو جهاز غولجي مع مواد لاصقة بينها قوامها الأساسي يكمن في البلاسما بأنواعها والغشاء البلاسمي وكأنها جسد انسان كامل صغير اختصر فيه كل شيء من متطلباته سبحان الله انك لتقف مذهولا امام هذا قال تعالى**((صنع الله الذي أحسن كل شيء))**[1] وقال **((أفمن يخلق كمن لا يخلق))**[2]..

---

[1] سورة النمل آية ٨٨

[2] سورة النحل آية ١٧

مقطع في الخلية الحية أصغر مكون لنسج الإنسان إنها مصنع متكامل من انتاج الطاقة إلى الإطراح



أين أنتم يا دعاة الالحاد أين أنتم يا دعاة اللادين أين أنتم من هذا التنظيم والخلق المتقن للخلية الحية فالنواة وحدها كومبيوتر بل أهم فيها كل شيء حول هذه الخلية التي تعتبر أساس لكل الجسد **((سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون))**[١]..

---

[١] سورة يس آية ٣٦

الباب الثالث

خلق الإنسان من نطفة

في هذا الباب سأناقش الموضوع من عدة أوجه وفقا لما جاء في الآيات الكريمة وتلتها الأحاديث الشريفة الموضحة لهذه الصفات والمراحل التي تعنيها كلمة النطفة والحديث الذي بين أيدينا أكبر برهان على ذلك فمما ثبت عنه قوله (ص): ((**إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: برزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أم سعيد. فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها**))[١]. رواه مسلم من حديث سليمان بن مهران بن الأهمش. ولعل معنى آخر الحديث ليس موضوع بحثنا ولذا فإننا لن نتطرق إليه الآن. وأما أوله فقد ثبت علميا وجود هذه المراحل بأربعينياتها وسنناقشها بإذنه تعالى بشكل مفصل مع شرح مناسب لكل مرحلة.

<u>فصل:</u> التعريف بالمعنى الواسع للنطفة حسب الكتاب والسنة

وهنا أطرح سؤالي التالي فنحن لنا بالنطفة أبواب ومعان كثيرة وحسب مصطلحات الطب الحديثة البحتة لا نفهمها إلا أنها العروس المذكرة أي نطفة الرجل.ولكن ما هو رأي القران بها وما هي المعاني التي احتملتها الكلمة في سياق ذكرها في الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة؟

---

[١] رواه البخاري ومسلم

أولاً: معنى قوله تعالى (خلق الإنسان من نطفة)[1]

معنى الكلمة هنا وكما ورد في التفسير من آراء الصحابة الكرام وقوله صلى اله عليه وسلم وهو أنها ليست إلا ماء الرجل وماء المرأة أي نطفة الرجل ونطفة المرأة وهذا من حديث النبي الكريم صل الله عليه وسلم حيث قال مخاطبا اليهودي الذي سأله عم أصل خلقة الإنسان: عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود ... قال: جئت أسألك عن الولد، قال: (ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله) قال اليهودي: لقد صدقت. رواه مسلم(٣١٥)

<u>ولنناقش معنى الماءين والنطفتين وفقا لمكتشفات العلم الحديث :</u>

<u>أولاً : ماء الرجل :</u>

فماء الرجل وكما هو معلوم هو المني الحاوي على الأعراس الذكرية وهي النطاف الذكرية والمني هو سائل ذو لون أبيض رمادي شاحب يتميز بأنه يخرج من العضو الذكري إثر عمليات عصبية كثيرة ومعقدة متشاركة مع أعمال هرمونية فيها وفي الجسد ككل.

وهنا أقف عند تسميته بالماء فهو كما نرى يحوي النطاف التي تشكل جزء بسيط منه ويملك صفة اللزوجة فلما سماه العلماء وقبلهم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بالماء وحتى في القران الكريم نجده في قوله تعالى: **((وبدأ خلق الإنسان من طين *ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين))**[2].

فهنا نتبين الدقة البالغة في هذا الكلام فالمني هو ماء أو بعبارة أخرى سائل يحوي نسبه عالية من الماء وهذا ما أثبته العلم الحديث فعلى الرغم من المظهر الخارجي للمني والذي يوحي بوجود نسبه عالية من البروتين السكري (اللزوجة) والبروتين الفيبريني (المسؤول عن تخثره لمدة عشرين دقيقة بشكل طبيعي) فقد تبين بالدراسات التحليلية له أن نسبة الماء فيه حوالي ٩٠ % وأن

---

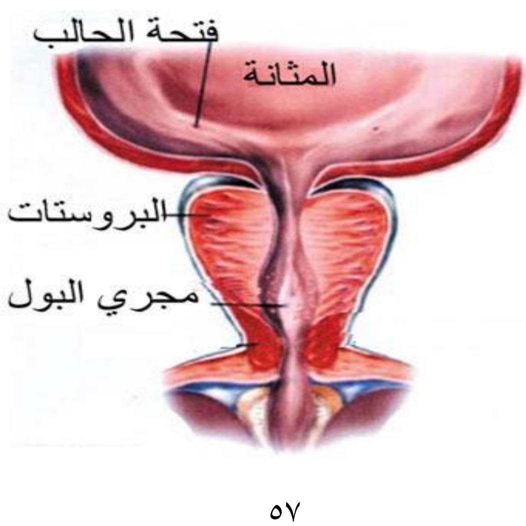
[1] سورة النحل آية ٤

[2] سورة السجدة آيات ٧-٨

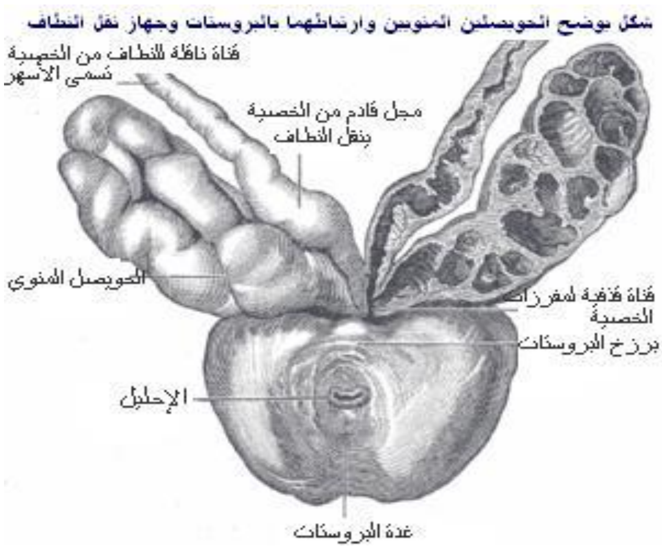
النطاف لا تشكل أكثر من حوالي (٩ -١٠ %) وما تبقى يمثل النسبة الضئيلة وهي عبارة عن المركبات الأخرى من بروتين (وهو يفيد في اللزوجة و التخثر و الاستقلاب) وسكر ومعادن وغيرها .والأعراس ذاتها بنسبتها (٩-١٠%) تحوي نسبة ٧٥% من النطاف الفاعلة فقط أي ٢٥% منها غير قادرة على إلقاح البويضة (نطفة المرأة) في حال حدث القذف أثناء الاقتران ثم إنه بعد ربع إلى نصف ساعة يموت نصف هذا المقدار وبعد ١٢ ساعة لا يبقى إلا الجزء اليسير منها قادرا على الإلقاح وبعد ٢٤ ساعة تموت كلها وتصبح غير فعالة وفي أكثر الإحصاءات تبقى لمدة يومين إلى ثلاثة ..

وأوردت ما سبق لألفت النظر إلى دقة البيان الإلهي في الآية السابقة فقد نشأ المني من الطين وهو الغذاء الإنساني ذو الأشكال المختلفة وهو أصل كل شيء كما أوضحنا ذلك سابقا ثم تحول هذا الطين لأشكال وسلالات جديدة شكلت الماء المهين الذي أغلبه مفرزات من البروستات والحويصلين المنويين والغدد الإحليلية وكلها سائلة مائية مع جزء يسير من البروتين والسكر والأملاح .. ثم استل سلالة أخرى من هذا الماء وهي النطفة التي لا تشكل إلا جزء يسير منه كما أوضحنا سابقا. لنتأمل الأشكال التالية:

لننظر للشكل التالي وهو يوضح البروستات وهي غدة عضلية تعمل على إفراز مواد هامة في تغذية النطاف كما أن لها دور في عملية قفل الجهازين البولي عن التناسلي عند قيام كل منهما بوظيفة سبحان الله تأمل:



أما الشكل التالي فهو للحويصلين المنويين اللذين أيضا يفرزان مواد تتشارك في تشكيل السائل المنوي وأيضا تغذي النطاف وهما هامان أيضا كالبروستات التي إذا ما أزيلت أصيب الإنسان بعقم



وكل هذه البنى يسيرة تسبب لهذا الماء صفة اللزوجة واللون الخاص به أي أن هذا العنصر قد عاد من جديد لأصله وهو الطين اللزج اللازب كما يوضحه قوله تعالى: **((من طين لازب))**[١]. فيكون بذلك قد حافظ على البنية ذاتها من الماء الذي هو المفرزات السائلة بلزوجتها ولصوقيتها والتراب بعناصره المختلفة التي بمركباتها تعطي اللزوجة والأعراس التي تقدر في الإنسان القادر على الإخصاب بحوالي ٣٠٠ إلى ٥٠٠ مليون نطفة مذكرة في المليلتر المكعب منه..

[١] سورة الصافات آية ١١

الجدول التالي يوضح تركيب السائل المنوي بحسب مشاركة كل غدة أو عضو بمفرزاته فيه:

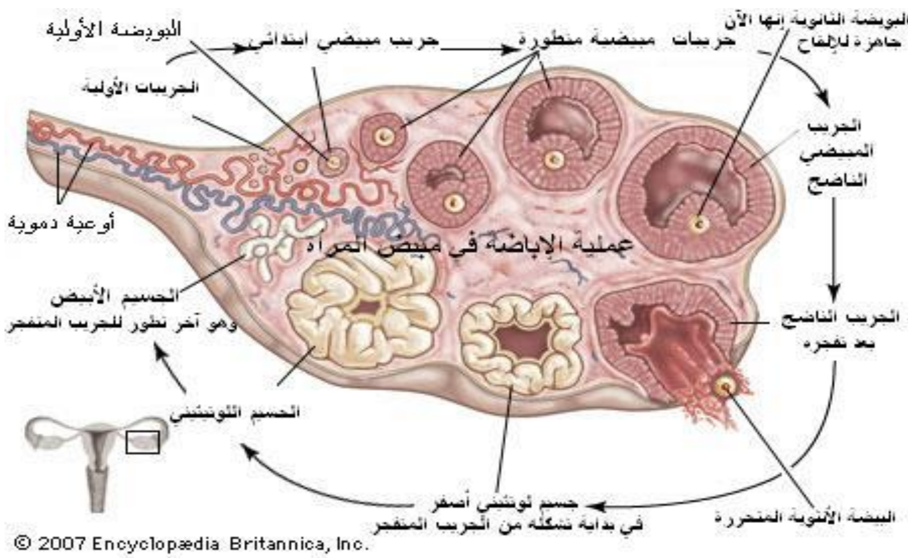
مصدر الإفراز	نوعيته	نسبته
البروستات	قلوي –سيترات-زنك-مغنزيوم-سبرمين-سبرميدين-فوسفاتاز حامضية-بروستاغلندين	كل المفرزات تشكل ٩٠ %
الحويصلين المنويين	الفركتوز (وهو نوع من السكر الذي تستقلبه النطفة ويعطيها ٩٠% من طاقة عملها الاساسية)	
باقي الغدد الاحليلية وغدد المسالك	بروتينات مخاطية-انزيمات-غليسروفوسفوكولين-ارغولين - بروستاغلندين	
الخصية	النطاف-مع الهرمونات المختلفة (الذكرية والأنثوية)	لا تتعدى ١٠ %

ثانياً: ماء المرأة:

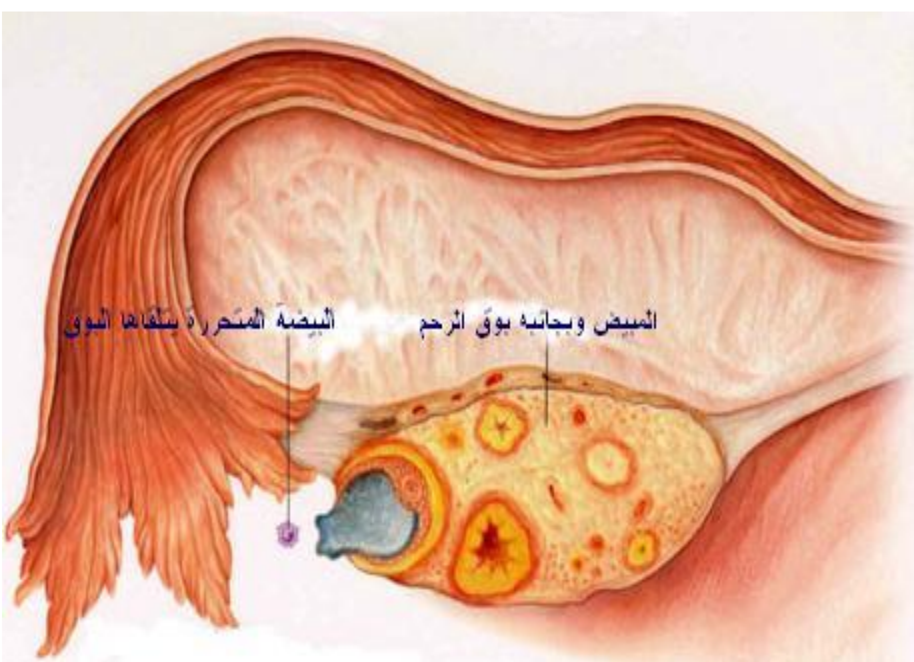
أؤكد هنا أن الماء المقصود في الآية الكريمة **هو دائما الماء الذي سيسبب التخلق** أي خلق الجنين البشري حيث كثيراً ما شرح البعض معاني أخرى عن ماء المرأة ومنها ما يخرج عند الجماع من الفرج وغيره.

ومما رأيته خلال متابعتي ودراستي لهذا الموضوع أنه الماء الذي يخرج مع البيضة عند حدوث عملية الإباضة وهو الماء الحاوي على نطفة المرأة فعلياً وهو بلون أصفر كما يتضح عملياً وهو ما عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أيضا كما يوضح الشكل التالي:

في الشكل التالي لاحظ الاباضة من من جريب المرأة الناضج من المبيض:

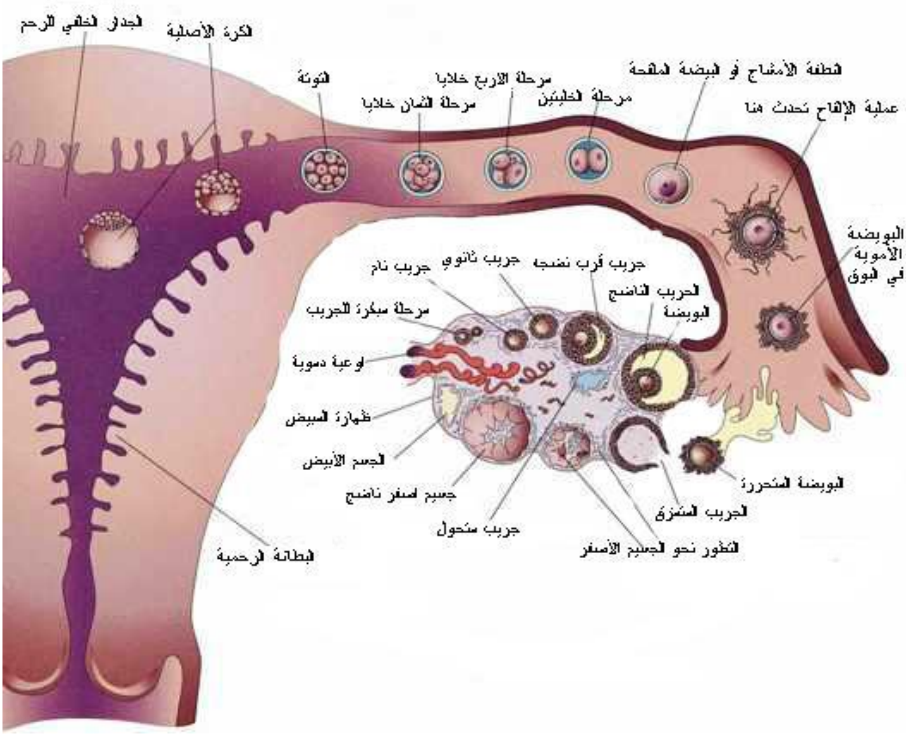


الشكل التالي ايضا نجد عملية الاباضة تأمل الدفق الحاصل لها من المبيض نحو البوق في الرحم.



يتم تفجر جريب المبيض (وهو بنية تتطور في مبيض المرأة وفيها نطفة المرأة التي تخضع لعدة مراحل حتى تصل من التطور لتصل إلى مرحلة البييضة الجاهزة للالقاح) وهذا التفجر يطلق السائل الجريبي المحيط بالبييضة بشكل دافق كالتيار الذي يسهم في اندفاعها من المبيض إلى نفير فالوب في وهو بنية ممتدة من الرحم سيتم فيها اجتماع النطفتين **(نطفة الرجل ونطفة المرأة)** حيث سيتم الالقاح وهو الثلث الوحشي لنفير فالوب الذي يسمى أيضاً القناة الناقلة للبيوض حيث ينقلها إلى باطن الرحم عند الأنثى ويوضح الدفق الحاصل الشكل التالي وهو ماء أصفر اللون كما عبر عنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث..

الشكل التالي يوضح هذا:



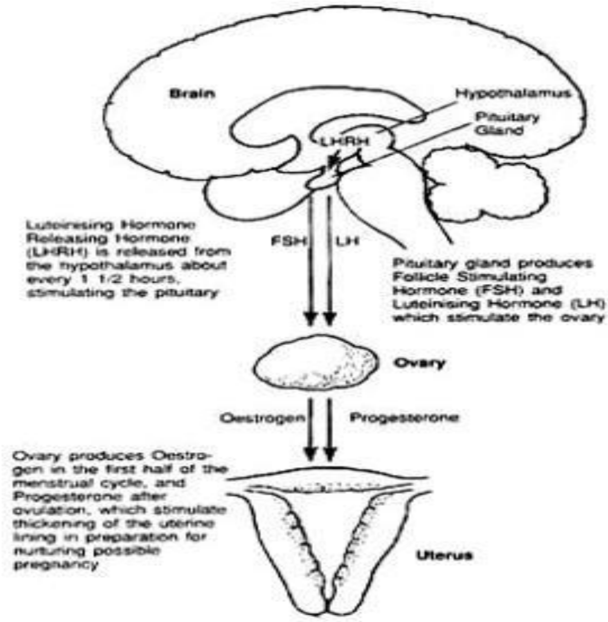
وهذا الذي أراه انه سبب لتسميتها بالماء الدافق والذي أورده ربنا سبحانه بقوله: **(من ماء دافق)**[1] سورة الطارق (٦).

حيث يتم الدفق بواسطة يتحمل فيها الجريب الناضج (أي الحامل للبييضة المهيأة للإلقاح) ضغطاً كبيراً وذلك بعد نضج البيضة فيه (وذلك بعد مرورها بمراحل متعددة من الانقسام) هذا الضغط الكبير سيحمِّل السائل الجريبي الموجود داخل الجريب توتراً كبيراً الأمر الذي يسبب تفجره ودفق البيضة مع السائل إلى مكان الالقاح وهنا أود أن اتابع في فكرة الدفق ثم نعود لنتابع حيث أننا لو انتبهنا لدفق الرجل ومسبباته ومكانه لوجدنا انه يماثل دفق الانثى تماماً وحتى البيان الالهي لم يرد ذكر ترتيب أي من الزوجين أن له الدفق قبل الآخر حيث أن المسببات الاولى للعملية ككل هي الاثارة والتهيج عندها ولكنه يأخذ شكل منتظم شبه ثابت عند المرأة هو دورتها الشهرية التي ينضج فيها الجريب ضمن تنظيم جملة من الهرمونات عندها (الهرمونات الانثوية أستروجين وبروجسترون) والتي تخرج من غدتي الكظر ومن المبيض عند الأنثى بينما عند الرجل فكل شيء مهيء في الخصية ولكن يتم بعد التهيج الحاصل عند الجماع والذي تلعب فيه ايضا هرمونات ذكرية هي الاندروجينات الذكرية التي تفرز من غدتي الكظر والخصى أيضاً وطبعاً نجد أن كلا الزوجين لديه إفرازات من الهرمونات الأخرى أي الذكر لديه إفراز قليل من الهرمونات الأنثوية وكذلك الأنثى لديها إفراز لقليل من الأندروجينات وهذا من التوازن المذهل فيها حيث أنها لا تطغى على الهرمونات الأساسية لكل جنس ولكن لها وظائف في إنضاج أعراسه (نطافه) عموماً ..كما أن هذا الدفق يحصل بتنسيق أولي مع الدماغ الذي يترجم المثيرات كلها لشحنات هرمونية هامة محرضة للمبايض والخصى والكظرين وهي منطقة الهيبوتلاموس أو ما تحت السرير البصري في جذع الدماغ والذي سيقوم بالنتيجة بافرازات هرمونية أخرى مركزية أولاً ثم محيطية من الأدرينالين وغيرها ممن ستساهم في عملية الدفق بعدئذ ..

---

[1] سورة الطارق آية ٦

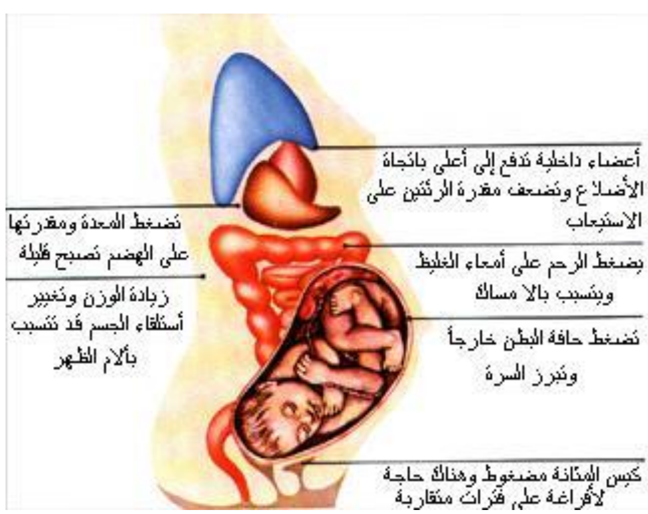
والیكم الشكل التالي الذي يوضح هذا:



هذا الشكل يوضح تنظيم الدماغ الدقيق لعملية الإخصاب عد للشرح في النص للتفصيل

والشيء التالي هو الوصول لمرحلة تخرج فيها الأعراس (نطفتي الرجل والمرأة) مع السائل أو الماء بتعبير آخر وهي مرحلة الدفق كما اوضحنا سابقاً ثم عملية جمع الأعراس في القرار المكين وهو الرحم وقصده نبينا الكريم بقوله **((يجمع خلق احدكم في بطن أمه)) رواه البخاري ومسلم.** والرحم كما نعلم يوجد في جوف البطن وسنأتي على تفصيل هذه المعاني الدقيقة لاحقاً.

الشكل التالي يوضح الجنين في بطن أمه لاحظ أن كل هذه العملية تحدث في الرحم تأمل الجمع للخلق داخل جوف بطن الام سبحان الله



المعنى الآخر لماء المرأة هو كما يتوضح لنا من بنية البويضة المائية نفسها والتي تعادل ١٨٠ ميكرون قطرا (الميكرون هو واحد من الف من الملليميتر) وكل ما فيها هو بشكل أساسي ماء حيث تعد أكبر خلية في الجسم البشري عموماً ومع الماء نجد المركبات العضوية والمعدنية التي تشارك في تركيبها الكيميائي الحيوي ولو استعرضنا خصائصها لوجدناها في الأصل أيضاً مواد ترابية كلها وهذا فصلناه سابقا أما خصائصها الأخرى فنجد أنها تحقق الشروط المطلوبة لتكون ماء من ناحية البينية ومن ناحية أنها تشارك في عملية الدفق وذلك تحت السيطرة الهرمونية كما أوضحنا وتقوم بعملية أساسية هي الالقاح النووي التي تتبع عملية إندماجها مع نطفة الرجل بعد دخول النطفة الذكرية إليها وحصول الإلقاح (النطفة الأمشاج كما سيمر معنا) وهذا الإندماج النووي هو الإلقاح الحقيقي حيث سيشكل النواة الأساسية للبيضة الملقحة وهذا كله يجعلها ضمن هذا المعنى المائي وهو بين واضح عملياً فسبحان من خلق الإنسان من نطفة لا اله إلا هو إليه المصير..

فصل: الإعجاز الرائع في التفسير العلمي لنطفة الرجل ونطفة المرأة

لنتابع الآن وصف النطفتين بشيء من التفصيل الازم والذي يفيدنا في التعرف على معنى الكلمتين وذلك كما وردتا في حديث النبي لليهودي وذلك كما اكتشف مؤخراً في العلم الحديث ولنبدأ بقوله صلى الله عليه وسلم **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: "إِنْ أَخْبَرَنَا بِمَا نَسْأَلُهُ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نُطْفَةُ الرَّجُلِ بَيْضَاءُ غَلِيظَةٌ، وَنُطْفَةُ الْمَرْأَةِ صَفْرَاءُ رَقِيقَةٌ، فَأَيُّهُمَا غَلَبَتْ صَاحِبَتَهَا فَالشَّبَهُ لَهُ، وَإِنِ اجْتَمَعَتَا جَمِيعًا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ". قَالُوا: صَدَقْت. وهو حديث مرفوع من قول سيدنا ابن عباس رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة وهو يصل لمرتبة الحسن في بعض الروايات وتتطابق معه موضوع لون النطفة في روايات صحيحة عند الامام مسلم في صحيحه من حديث ثوبان وفيه قول رسول الله صلى الله عليه**

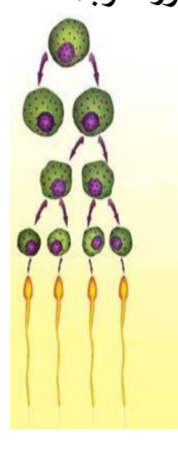
وسلم: (ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله)[١] .

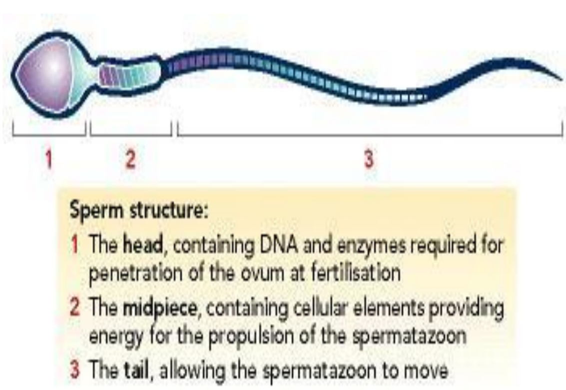
ويمكن أن نسقط الأمر علميا كالتالي..

<u>أولاً- نطفة الرجل:</u>

سبحان الله انه حقا لوحي يوحى له صلى الله عليه وسلم فانظر كيف عبر عنها بالغلظ وهو إعجاز فريد في قوله صلى الله عليه وسلم حيث أن الغلظ موجود فعلاً من خلال كون النطفة ستفقد معظم مائها وتبقى بشكل جاف غني بالبنى البروتينية والانزيمية التي ستلعب دورا في دخول النطفة عند الالقاح كما أن عنق النطفة يكون فيه جسيمات ميتوكوندريا وهي بنى خاصة مهمتها تأمين الطاقة للنطفة لتتحرك نحو مكان البويضة الاموية أي نطفة الام في الرحم حيث الالقاح سيكون ونجد البنى النووية التي فيها شيفرة الإنسان الوراثية في الرأس وعلى هذا يكون للنطفة رأس وعنق وذيل يؤمن حركة سوطية للنطفة ليوصلها بإذن الله إلى مكان الالقاح كما أسلفنا وإليكم الصور التالية التي توضح هذا الأمر المعجز في قوله عليه الصلاة والسلام.. الشكل الأول وفيه بنية النطفة القاسية الغليظة التي تفقد فيها معظم ماءها أثناء التشكل:

في الشكل التالي الصورة على اليمين توضح كيف تفقد الخلايا أمهات النطاف ماءها لتتحول للبنية الغليظة القاسية التي تحدثنا عنها أما في الشكل المجاور فترجمة الكلام تحت بنية النطفة أوردناها بالشرح





---

[١] صحيح الامام مسلم

فالرأس فيه البنى النووية للمادة الوراثية العنق بنى تفيد في إعطاء النطفة الطاقة لحركتها الذيل ذو البنية الليفية الذي يفيد في الحركة

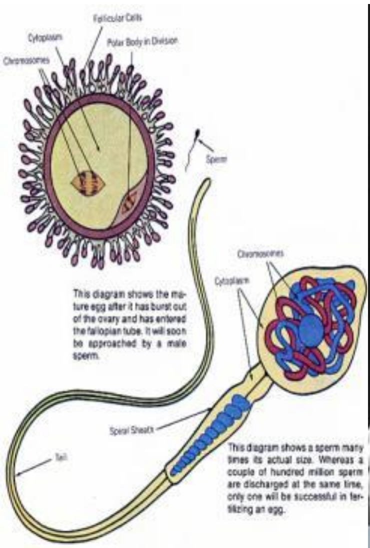
أما الشكل التالي ففيه تفصيل اكبر انظر وتأمل وسبح بحمد الله:

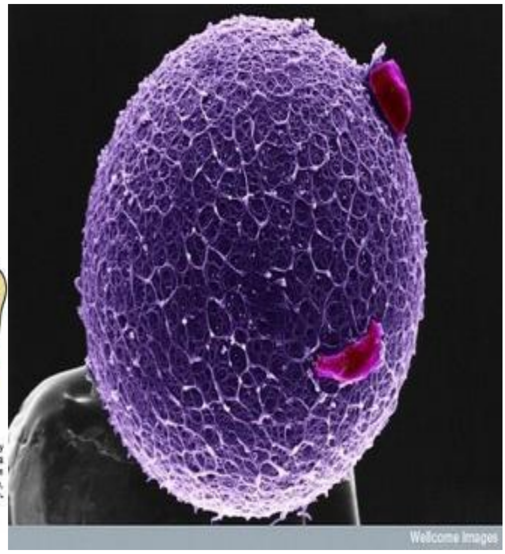


ثانياً-نطفة المرأة:

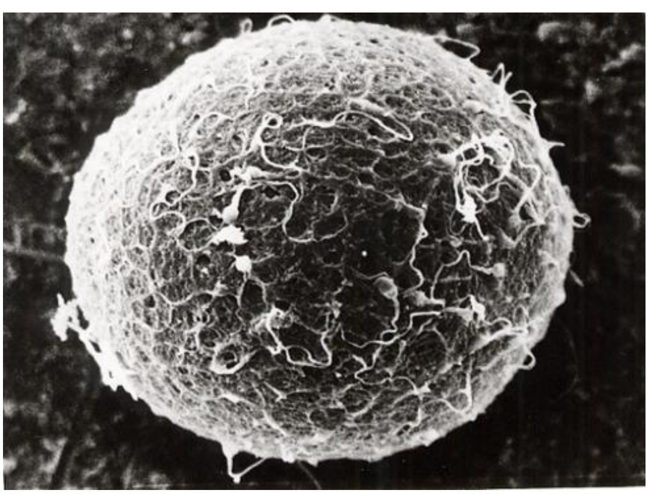
وهي البييضة أو كما يطلق علها علميا (الخلية البيضية من الدرجة الأولى) وحسب حديث النبي صلى الله عليه وسلم نجد أن هذه البينية اللينة تتحقق فيها فنجد الرقة واللين وهذا فعلاً نجده في كونها كما أسلفنا سابقا كبيرة بحجمها لدرجة أنه يعبر عنها أنها أكبر خلية في الجسم البشري وكأنها معدة لتلقِّي النطفة القاسية ببنيتها لتضعها في قلبها وتتحد مع مادتها الوراثية أثناء الالقاح وهذا من كونها أيضاً تحاط بخلايا تحميها من النطف الأخرى بعد دخول النطفة الذكرية الملقحة هذه الخلايا تسمى الخلايا الجريبية وهي من الجريب المبيضي الذي نضجت فيه البويضة وستستمر بالبقاء قربها حتى الالقاح ودورها هام في جعل قلب البييضة ممكن ومحمي من دخول نطاف أخرى غير الاولى ويوضحها الشكل التالي:

في الشكل التالي لاحظ البنية المفصلة للنطفة في الشكل الأول على اليمين أما الثاني على اليسار فهو شكل لبييضة حقيقة بالمجهر الالكتروني وحولها الخلايا الجريبية كما شرحنا .





هذه صورة لبييضة وحولها نطف الذكر تحاول الدخول وعسى أن يفتح لإحداها وهذا من تمكين أو قوة البييضة الأساسية لأنه لا يدخلها أي نطفة حينها.



أما السرد الذي جاء به النبي الكريم عما ينتج من كل من النطفتين فهو كلام رائع في تحديد بعض وظائف كل منهما وهنا لن أدخل في تأويلها العلمي حيث أن العلم لازال قاصرا عن تحديد هذه التشكلات وعلاقتها بالنطاف الذكرية والأنثوية ولكن أود أن اوضح أنه لو اكتشفت حقيقة هذا الكلام فإنه سيكون فها فيها إعجاز رائع وبالغ سابق في ذلك كما أود أن اوضح أن هذا لا يتعارض مع المبادئ الأساسية لعلم الوراثة حسب مانعلمه الآن وإنما هو حقيقة طرحها النبي الكريم بين أيدينا والله أعلم أنها في برمجة المورثات على ما يظهر في كلامه والتي ستتخلط مع بعضها لكن لكل منها وظيفته المحددة والواضحة له حسب ما أمره به الخالق المصور عز وجل..

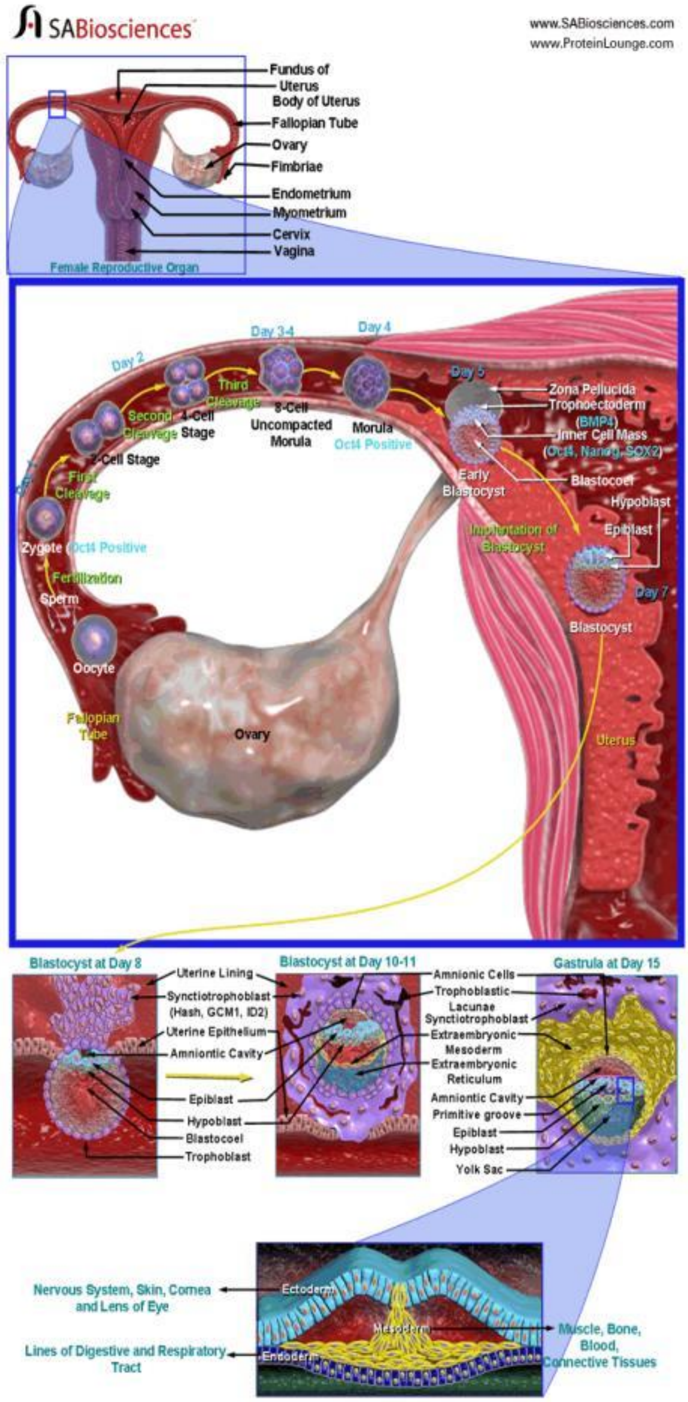
<u>فصل:</u> معنى قوله تعالى: **((إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً))**[1]

المعنى الثاني للنطفة الذي نجده في هذه الآية هو النطفة الأمشاج وهو الخليط وأجمع المفسرون أنها أخلاط المائين الذكري والأنثوي أي أنه تجمع وتخلط تنتج عنه ما دعاه البيان الإلهي بالنطفة الأمشاج وأشار له نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: **((يجمع خلق أحدكم))** وهذا ثبت علمياً وندعوه الآن بعملية الإلقاح التي هي اجتماع الأعراس لتشكل البيضة الملقحة التي هي أول خلية جنينية حقيقية.

يتم الالقاح في مكان يتوضع في الثلث العلوي للقناة الناقلة للبيوض ((وهي جزء من الجهاز التناسلي الانثوي حيث تمر البيضة إليه عند الاباضة وتتجه اليه النطفة بعد دخولها الرحم حيث ستتم حادثة الإلقاح))

[1] سورة الإنسان آية ٢

يوضحه الشكل التالي



في هذا المكان كما نرى تلتقي المئات من النطاف مع البيضة التي تجهزت للالقاح بواسطة نطفة واحدة فقط من النطاف وهي التي ستشكل معها المشيج وهنا ما نتبينه من قوله تعالى: ((**ألم نخلقكم من ماء مهين *فجعلناه في قرار مكين**))[1].

حيث نلاحظ دقة التعبير القرآني في أن هذا الماء سيتجه نحو مكان محدد هو الرحم ثم نحو منطقة أكثر تحديداً هي بوق الرحم ((القناة الناقلة للبيوض كما أسلفنا)) حيث يتم التقاء المائين في مكان محدد من القناة نفسها هو الثلث الوحشي والله اعلم.

نجد بالشكل التالي كيفية دخول النطفة الى البييضة لنتأمل ونصلي على النبي الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم:



إضاءات على معنى آخر لقوله تعالى: ((فجعلناه نطفة في قرار مكين))[2]..

بربط هذه الآية الكريمة مع الآية السابقة ((**ألم نخلقكم من ماء مهين *فجعلناه في قرار مكين**))[3] نجد انه يمكن أن نأخذ معنى آخر للقرار المكين غير الرحم فوفقاً للآيات وربطها يمكن القول بأنه يحتمل ان يكون القرار المكين البييضة نفسها حيث يصرح البيان الإلهي ان هذا الماء المهين الذي يمكن أن نعني

---

[1] سورة المرسلات آيات ٢٠-٢١

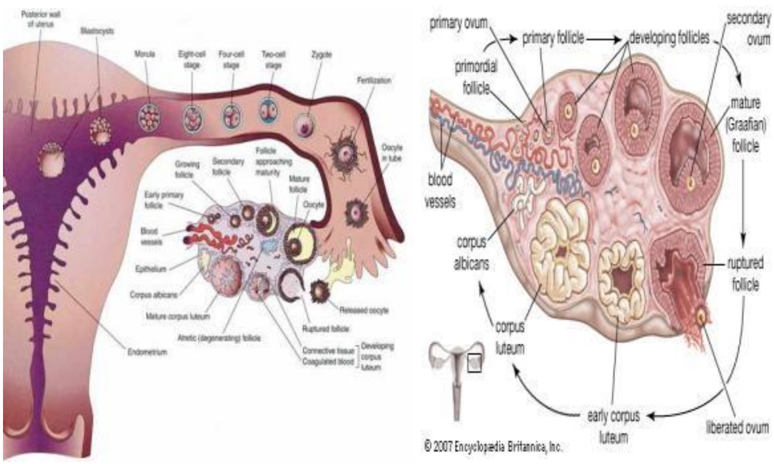
[2] سورة المؤمنون آية ١٣

[3] المرسلات ٢٠-٢١

به النطفة كما ورد في أحد التفسيرات سيستقر في مكان محدد ضمن القرار المكين الاول الذي هو الرحم ثم القرار المكين الثاني وهو البييضة حيث أنه وبحسب الآية المذكورة نجد أن النطفة ذاتها ستتوضع في قرار مكين خاص بها كما أن الماء المهين توضع في قرار مكين أي ممكن له ليستقر فيه وهو الرحم كما اسلفنا وبالتالي فإن التحديد للنطفة بقرار مكين خاص يدلنا على احتمال مكان آخر يمكن أن تدخله النطفة ويكون مكينا أيضاً وهو كما أثبته العلم ليس إلا البيضة ولأوضح ذلك بالشرح التالي:

فالبييضة تتم مراحلها الأولى ضمن الجريب المهيئ للنضج وهو بنية ذات تكاثر خلوي شديد تنشأ في المبيض وتتمايز نحو ما يدعى بجريب دوغراف الناضج الذي ستخرج منه البيضة الجاهزة للإلقاح (الخلية البيضية من الدرجة الأولى اصطلاحاً)وذلك بالدفق الموصوف سابقا:

الشكل التالي يوضح كيفية تمايز البييضة داخل الجريب التي تنقسم قبل الالقاح لتصبح جاهزة لتلقي النطف عند الالقاح تأمل بدقة

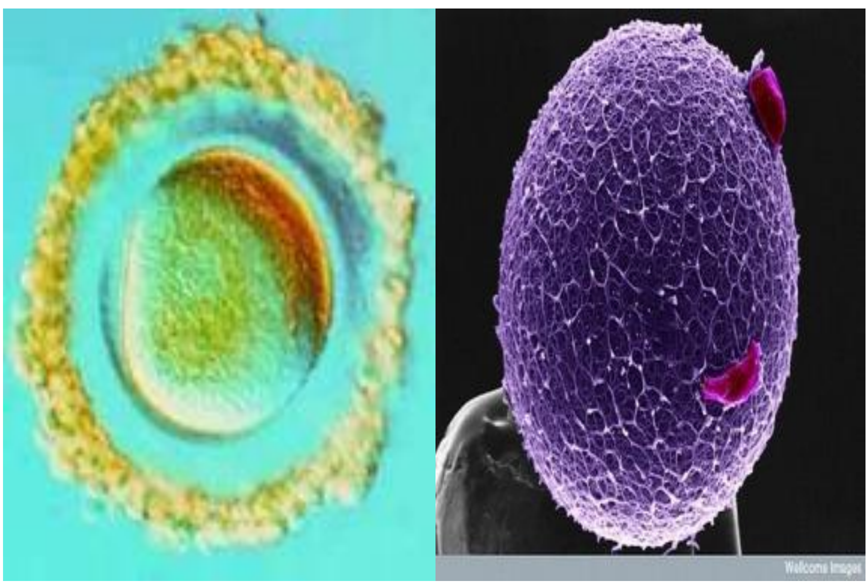


ولعل اهم مراحل تمر بها البييضة هي التمكين لها ضمن القناة الناقلة للبيوض والتي تسمى في بعض الكتب (نفيرفالوب) هذا التمكين يجعلها محمية ضد أي هجوم من أي شيء خارجي ولا سيما النطاف نفسها وهو ما أقصده بالتمكين هذا الذي يحصل بسلسلة من اجهزة الدفاع التي تضمن عدم استقرار اي نطفة من المني حول البييضة مع عدم تمكين أي منها من الدخول إليها إلا لمن

قدر لها ان تقوم بعملية الالقاح وهذا يتم بانتقائية عالية. وأهم الاجهزة من الداخل للخارج هي التالية:

<u>**أولاً:**</u> يتم في الجريب (دوغراف)تكاثر سلسلة من الخلايا الجريببية التي تحيط مباشرة بالبييضة وتبقى مرافقة لها حتى بعد دفقها الى القناة الناقلة (مكان الالقاح) وتشكل هذه ما يسمى بالإكليل المشع الذي يوضحه الشكل التالي:

في الشكل التالي نجد عدة مراحل وتوجد دوما هذه الخلايا مشكلة طبقة تمكين اولى لاحظ بالصورة بالمجهر الضوئي على اليسار اللون الأصفر لماء المرأة أما على اليمين فصورة بالمجهر الالكتروني لذا عليها ملونات...



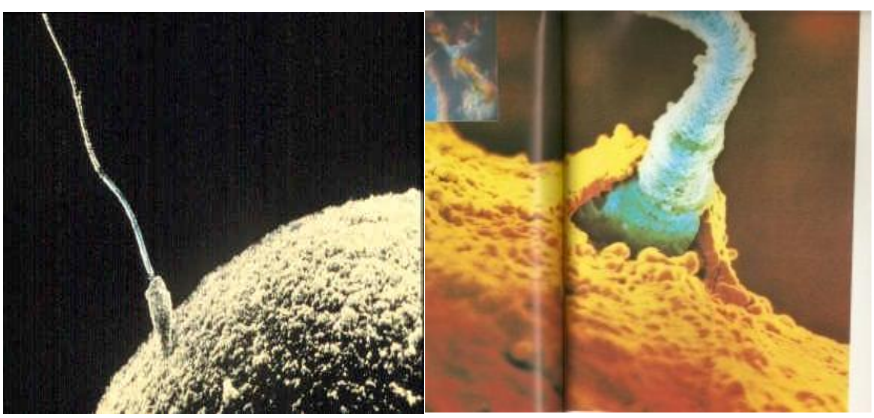
<u>**ثانياً:**</u> يتم التمكين الثاني بتجمع كميات من المواد المخاطية على سطح البييضة وهي مواد بروتينية سكرية تفرزها الخلايا الجريبية المحيطة بها وتشكل ما يسمى بالغشاء الشفيف وهو ليس إلا طبقة لاخلوية تتحد مع سلسلة من الإستطالات السيتو بلاسمية الدقيقة من خلايا الاكليل المشع فيسبب تمكينها وتعزيز حمايتها نحو ما حولها وبشكل أساسي النطاف .

<u>**ثالثاً:**</u> التمكين الثالث يتم بواسطة حماية خفيفة (بعد كل ما سبق)وذلك بالغشاء البلاسمي الخاص بالبيضة ذاتها وهو يساهم كأي خلية أخرى بتعزيز الحماية لها وتغذيتها وحفظها بإذن الله تعالى.

وإن من أهم مافي البييضة بل هو أهم ما فيها النواة التي ستقوم اثناء الإلقاح بالإندماج النووي وأشرنا إليه سابقاً ولذا فهي تحاط بالسيتوبلاسما بما تحويه من مكتنفات بلاسمية تؤمن أيضاً بعض الحماية للنواة البيضية والله أعلم.

كل ما سبق يشكل تمكينا كبيراً للبييضة وذلك بما يتم إفرازه من الأغشية المحيطة السابق الذكر مما يؤمن الحماية لها مما حولها ولا يمكن حل هذه الأغشية والطبقات إلا بواسطة النطفة التي ستتوافق مع البييضة وتقوم بالإلقاح فيما بعد وحتى الآن لم يستطع العلم الحديث تحديد آلية هذا الانجذاب والتوافق الحاصل ثم إن النطفة الصالحة ستدخل بإذنه تعالى وستمتلك خصائص بها تحل الاغشية بواسطة سلسلة من الإنزيمات الخاصة لكل غشاء لاداعي للتوسع في شرحها.

<u>والشكل التالي وهومكرر يوضح الية عمل النطفة وطريقة دخولها الى البييضة:</u>



والتمكين الأهم هو الذي يحصل بعد الإلقاح ودخول النطفة لداخل البيضة حيث تقذف البييضة بسلسلة من الحبيبات التي تتواجد ضمنها وتحتوي على مواد خاصة وألياف بلاسمية تمنع أي نطفة اخرى من الدخول الى البيضة الملقحة نهائياً والتي بدخولها قد تعطل عمليات الإتدماج الداخلية المشار عنها سابقا (بين نواة النطفة ونواة البيضة) وبذلك تحقق الحماية التامة والتمكين للإلقاح والله أعلم.

وأعود فأقول إن هذا مما اسقطته على العلم الحديث وربطته مع الآيات الكريمة وذلك بقصد إيضاح وجه الإعجازالذي ارتأيته وذلك دون تعارض مع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والآيات القرآنية الكريمة وهذا كما أورده العلماء في باب التفسير بالرأي لا يعد تفسيراً بالرأي لانه لا يوضع من أجل الانتصار للرأي بل لإيضاح وجه من أوجه فهم الآيات والله شاهد على نيتنا في ذلك والله اعلم.

المعنى الاخر للقرار المكين هو الرحم وسأذكره لاحقا ...

ونعود للمشيج المتشكل حيث اوضحت المعنيين الاول والثاني وهما التماشج المائي والتماشج العروسي اما المعنى الثالث فهو وكما اوضحه العلم الحديث التماشج او الاختلاط الوراثي والذي يحدث بعد دخول رأس النطفة (فقط)لداخل البييضة وحصول الالقاح ويسمى بالاندماج النووي الذي يسبب اختلاط المواد الوراثية للعروسين ويشكل المشيج الوراثي الذي سينتج الأشكال الوراثية الخاصة للجنين المقبل وهي بدورها ستعطي الأشكال الظاهرية المتنوعة بشكل كبير حيث تقدر أعدادها نسبياً وبحسب قواعد الإحتمالات بما يزيد عن ثمانية مليون شكل وراثي تتحول لأشكال جسدية ظاهرية كثيرة المتحكم الوحيد بها هو الباري عز وجل ومن هنا قوله: **((هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء))**[1]

وهنا إشارة الى الكتابة المسبقة لما سيجري على الانسان وعلى أي مخلوق يصوره عز وجل وهذا المعنى ناقشناها مفصلاً في باب خلق الانسان من لاشيء.

قال تعالى **((إنا كل شيء خلقناه بقدر *وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر))**[2]

أي إن كل شيء يقدر ويخزن كمعلومات عند ربنا سبحانه وإذا أراد أمر بكينونتها فكانت كما أراد سبحانه وشاء وهو ما نجده في قوله **((وربك يخلق ما**

---

[1] سورة آل عمران آية ٦

[2] سورة القمر آيات ٤٩-٥٠

يشاء ويختار مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[١] أي إن التخلق الحاصل للبيضة الملقحة مثلاً وهو موضوع بحثنا يتم بأمره تعالى ولكن ما سينتج عنها من اشكال وراثية وظاهرية يختارها ربنا كما يشاء والله أعلم.

فصل: قوله تعالى: **((ثم جعلناه نطفة في قرار مكين))**[٢]

وهنا نهاية المطاف للنطفة الأمشاج وهي القرار والمستقر الذي ستقع فيه وتتنامى وتتصور الى أجل مسمى فأولاً الماء والأعراس ثم الالقاح والآن مرحلة النطفة او ما يسمى بالنطفة هنا كمرحلة جنينية تتكامل شيئاً فشيئاً وفق تمايز ونمو محدد لها مسبقا ضمن المشيج الوراثي الحاصل فكنى بالنطفة عن المرحلة التالية لمرحلة النطفة الامشاج أو كما يعبر عنها في علم الطب الآن بالبيضة الملقحة.

ولو انتبهنا هنا لشكل النطفة لوجدناها فعلاً تحافظ على شكل مبدئها الأول **وهو البنية المائية** وأقصد بالبنية المائية مشابهتها للاصل الذي هو خلايا مفردة نطاف ذكرية وانثوية تجمعت ثم شكلت المشيج الذي هو البيضة الملقحة كما ذكرنا وهي ذات بنية خلوية مفردة أيضا ثم تنقسم لتبقى كتجمع خلوي بسيط يشبه الاصل فهي وحتى اليوم العشرين ليست إلا مجموعة خلايا محدودة تتشكل من مجموعة الانقسامات التي تبدأ بعد حوالي ثلاثين ساعة أي يوم ونصف حيث تتشكل خليتين بنتين ثم تتتالى الانقسامات فتشكل أربع خلايا وذلك بعد أربعين ساعة وفي اليوم الثالث تزيد حتى تشكل حوالي ثمانية إلى عشرين خلية وهذه المرحلة تدعى بالتوتة اصطلاحا لانها تشبه ثمرة التوت شكلا ثم تصبح حوالي مائة وسبعة خلايا أو تزيد وهذا كما ورد في كتاب الجنين في كلية الطب جامعة دمشق كما في احدى الدراسات وتسمى هنا الجسم الأصلي أو الكرة الجرثومية وهكذا تتتالى الإنقسامات بدون تمايز واضح وتكون كل هذه الخلايا لا تزال مشابهة للخلايا الأمهات التي يمكن أن تتمايز لأي نوع من أنواع الخلايا

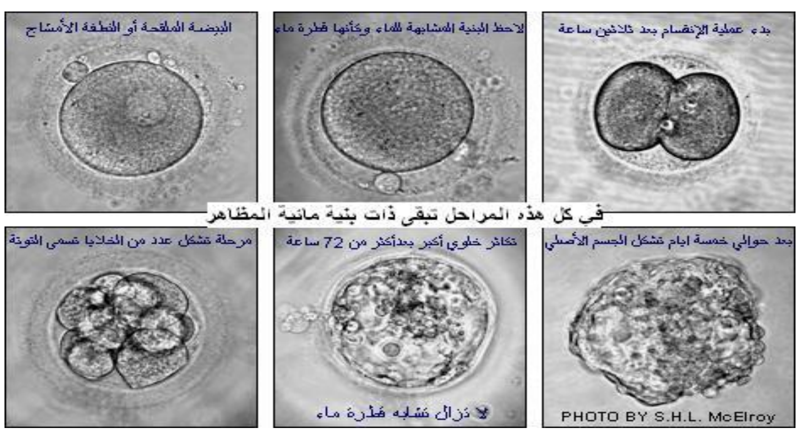
---

[١] سورة القصص آية ٦٨

[٢] سورة المؤمنون آية ١٣

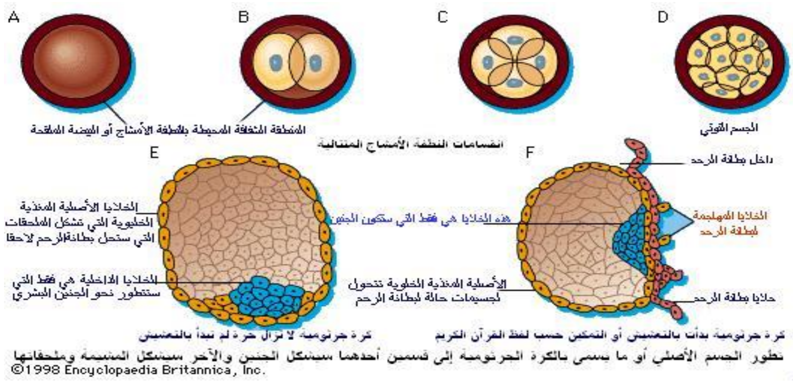
ولتشكل أي عضو فيما بعد وأول الأجهزة وهي الجهاز العصبي والقلب لا تبدأ بالتمايز وبدأ تشكلها قبل اليوم عشرين إلى واحد وعشرين أي إنها خلال هذه المرحلة مشابهة للاصل الذي هو النطفة الامشاج ومن هنا كنت تسميتها بمرحلة النطفة وهي حسب ما ثبت علميا تبدأ بالتغير الملحوظ نحو التعلق ببنية المشيمة منذ اليوم واحد وعشرين بالالتواءات الجنينية لتتحول الى العلقة وهذا سنبحثه لاحقا في موضع قادم يشير لتحولات النطفة الى علقة **فالتعلق الأولي الذي حصل في مرحلة النطفة وهو في قوله تعالى((خلق الانسان من علق))**[1] كان لكل النطفة الامشاج التي ستخرج منها قسمين من الخلايا قسم يتشكل ويتمايز نحو المشيمة والآخر يتمايز نحو الجنين البشري نفسه لذا كان الكلام عنه في الآية مجموعي عن كل المحصول الحملي ولذا قال خلق الانسان من علق أي الانسان الذي هو هنا معرف بأل أي مقصود بنفسه من علق وهو هنا نكرة أي من جزء من المتعلق الذي هو النطفة الامشاج التي عبر عنها بأنه مكَّنَها في الرحم كما أوضحنا من خلال هذا التعلق الحاصل ولهذا تفصيل في مكان قادم والله أعلم.. لنتأمل الأشكال التالية:

الشكل التالي يوضح انقسام النطفة الامشاج الى بنى خلوية متتالية آخر تطور هنا يكون حوالي اليوم ٥ إلى ٦ وهو الصورة اليمنى في الأسفل لنتأمل ونصلي على نبينا الذي أخبرنا بذلك نقلا عن ربه عز وجل ولنسبح بحمده بكرة وأصيلاً:



[1] سورة العلق آية ٢

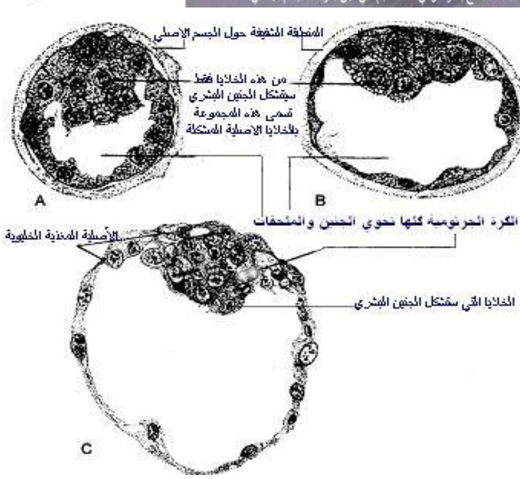
بالشكل التالي لاحظ إنقسام النطفة الأمشاج الى قسمين قسم ليشكل الجنين وآخر المشيمة باستطالات بدئية لتأمين الغذاء ..

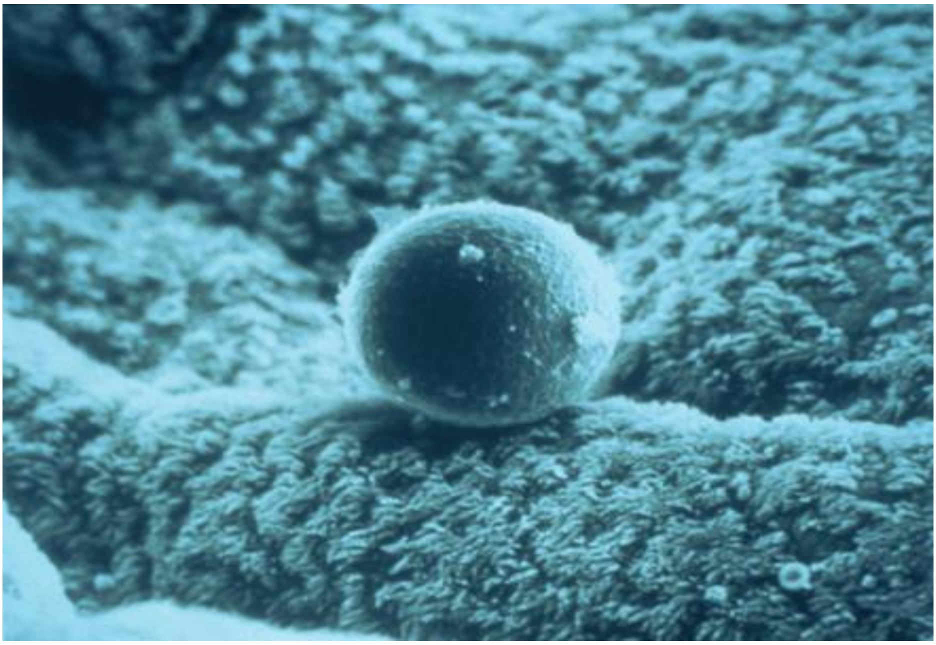


وهنا نلاحظ أنها كلها ضمن بنى غير متمايزة ولا تشكل الا شكلا شبيها للنطفة الامشاج وهي ذات معدل انقسامي عالي ونجد تجوفها أيضاً لبدأ التشكل حيث أن البنى الداخلية وهي وريقات الجنين الثلاثة هي التي ستتمايز نحو الجنين فقط..





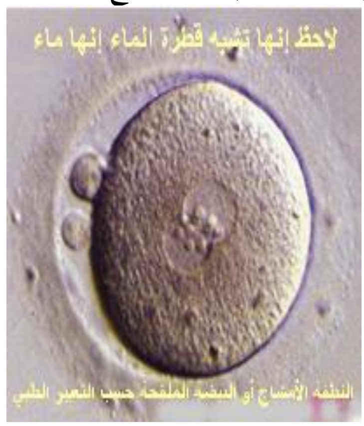




الصورة التالية للتوتة حوالي اليوم ٤ الى ٥ تأمل الشكل الذي يشبه النطفة الأمشاج وهو مائي المظهر كما أسلفنا



الشكل التالي وعلى اليمين نجد الخلية البيضية للام ولنلاحظ كيف انها مشابهة تقريبا تماما للبيضة الملقحة او النطفة الامشاج سوى ان المادة الوراثية بالاخير مضاعفة بعد الالقاح..



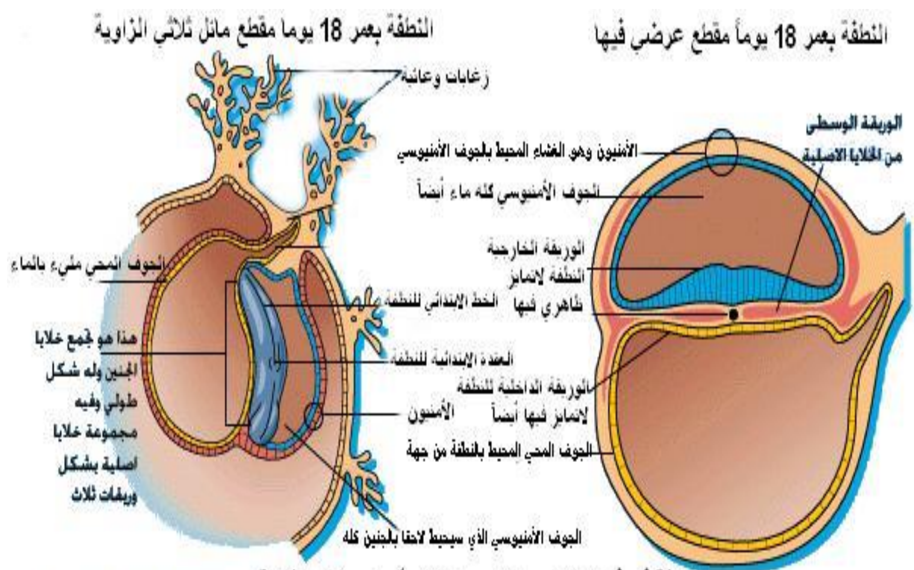


لنلاحظ البنية المائية حيث أن النطفة هنا عمرها حوالي عشرة الى ١٢ يوما لاحظ ان الجنين هو ثلاث وريقات فقط من خلايا امهات مفردة تسمى بالاصطلاح الطبي الوريقات الثلاثة ((الخارجية والوسطى والداخلية)) تأمل الأشكال التالية:

لاحظ الماء المحيط بها من كل جهة وهي تشابه أيضا المبدأ وهو ماء الرجل وماء المرأة أي مثل بنية الماء المهين الذي هو ماء وأعراس معه وهنا نجد نفس البنية نسبيا وهو وجه آخر للبنية المائية التي وصفناها ولذا لنتأمل هذا وبالله التوفيق والله اعلم..



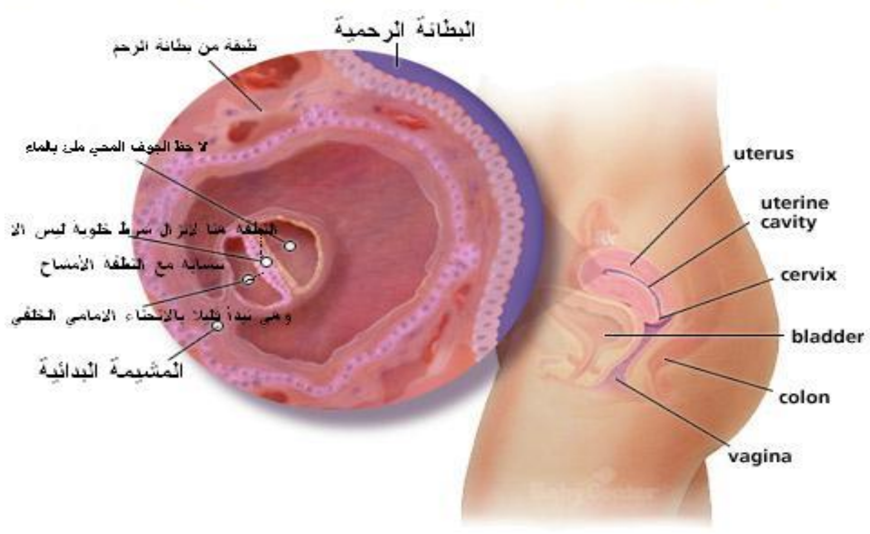
العمر هنا ١٨ يوماً لا تزال غير متمايزة ظاهرياً أبداً عبارة عن مجموعة خلايا ليس إلا



النطفة في فترة القرص الخلوي الجنيني أو الوريقات الأولية

وبالتالي نجد أن النطفة ضمن هذه المراحل الموضحة سابقاً تكون ضمن

النطفة لا تزال ماء فهي تجمع خلوي بسيط وحوله أيضا ماء في ماء هذه فعليا البنية المائية فلنتأمل



النطفة بعمر أربع أسابيع وهي لاتزال بشكل شرط خلوية وبداية الانحناءات فيهابشكل بسيط

أساس واحد ومبدأ ثابت يحافظ عليه فيها وهو هذه البينة المشابهة للماء المهين ومن بعده النطفة الامشاج ثم تبدأ التغيرات نحو تشكلها لتتعلق فعلياً داخل الرحم وضمن المشيمة بالجدار تعلقاً بتشكل الحبل السري المتكامل والذي يتكامل بعد الإلتواءات الجنينية التي تبدأ بالتشكل في اليوم واحد وعشرين وتنتهي تقريباً في اليوم ٣٧ إلى أربعين كما أسلفنا وهذا أشرت إليه من جديد لأبين أن النطفة خلال الاربعين يوم تتحول وتتبدل تدريجيا لتتشكل كعلقة في نهاية الاربعين تقريبا وهذا ما عبر البيان الالهي بقوله **((ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً..))**[١] وهذا يتم فعليا بشكل تسلسلي وتدريجي وهذا وضحه العديد من علماء الشريعة والمحققين أمثال ابن القيم في عدة كتب من كتبه ككتاب تحفة المودود وغيره ولنلاحظ كلام ابن القيم عن اجتماع مائي الذكر والأنثى وأنه ينعقد ويمنع أي شيء آخر من الدخول عليه وكله مما قرأه في الأدله الشرعية ووفق بينها..

يقول رحمه الله :**(فإن قيل فهل يتكون الجنين من ماءين وواطئين قيل هذه مسألة شرعية كونية <u>والشرع فيها تابع للتكوين</u> وقد اختلف فيها شرعا وقدرا فمنعت ذلك طائفة وأبته كل الإباء وقالت الماء إذا استقر في الرحم اشتمل عليه وانضم غاية الانضمام بحيث لا يبقى فيه مقدار رسم رأس إبرة إلا انسد فلا يمكن انفتاحه بعد ذلك لماء ثان لا من الواطئ ولا من غيره)** هذا اورده في كتابه التبيان في اقسام القرآن ويؤكد أن الشرع تابع للتكوين أي أن صرف الأدلة الشرعية في تفسيرها تابع للحقيقة العلمية المثبتة وهو كلام بالغ الدقة أي أن تفسير دليل شرعي ما يقبل بوجهه الذي يوافق المثبت علمياً وليس على ما هو نظريات علمية لا دليل عليها بل إننا بعد التحقق من الدليل الشرعي وموقفه من الحقيقة العلمية نجد أنه لا بد أن يكون متوافق معها حتماً والله أعلم..

ويذكر في تحفة المودود كيفية تصيير النطفة علقة والعلقة مضغة وهكذا حسب المراحل المتتالية <u>فيقول صفحة ٢٦١</u>:

---

[١] سورة المؤمنون آية ١٤

((قال الله تعالى : (**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين *ثم جعلناه نطفة في قرار مكين *ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين* ثم إنكم بعد ذلك لميتون *ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**)[1] **المؤمنون ١٢--١٦ فاستوعب سبحانه ذكر أحوال ابن آدم قبل كونه نطفة بل ترابا وماء إلى حين بعثه يوم القيامة فأول مراتب خلقه أنه سلالة من طين ثم بعد ذلك سلالة من ماء مهين وهي النطفة التي استلت من جميع البدن فتمكث كذلك أربعين يوما ثم يقلب الله سبحانه تلك النطفة علقة وهي قطعة سوداء من دم فتمكث كذلك أربعين يوما أخرى ثم يصيرها سبحانه مضغة وهي قطعة لحم أربعين يوما وفي هذا الطور تقدر أعضاؤه وصورته وشكله وهيئته))**[2]

وابن القيم له باب طويل في هذا سنذكره في فصل تحقيق الاربعينيات في مراحل تخلق الاجنة لاحقاً.

يقول ابن حجر في كتابه الشهير (فتح الباري): ((وفي رواية بن فضيل محمد بن عبيد عند بن ماجة انه يجمع خلق أحدكم في بطن أمه

وفي رواية شريك مثل آدم لكن قال بن آدم بدل أحدكم

والمراد بالجمع ضم بعضه الى بعض بعد الانتشار))

ويتابع: ((**وأما ما أخرجه أحمد من طريق أبي عبيدة قال قال عبد الله رفعه ان النطفة تكون في الرحم أربعين يوما على حالها لا تتغير ففي سنده ضعف وانقطاع))** [3]

وهنا أقول وهذا مما يدل على أن علماءنا اعترفوا بأن الواقع هو تسلسل المراحل وتخلقها التدريجي كما ورد.

أما الإمام النووي رحمه الله فيقول في شرحه لصحيح مسلم:

(طَرِيق الْجَمْع بَيْن هَذِهِ الرِّوَايَات أَنَّ لِلْمَلَكِ مُلَازَمَة وَمُرَاعَاة لِحَالِ النُّطْفَة، وَأَنَّهُ يَقُول: يَا رَبّ هَذِهِ عَلَقَة، هَذِهِ مُضْغَة، فِي أَوْقَاتهَا . فَكُلّ وَقْت يَقُول فِيهِ مَا صَارَتْ

---

[1] سورة المؤمنون الآيات من ١٢-الى -١٦

[2] تحفة المودود في أحكام المولود صفحة ٢٦١

[3] فتح الباري للامام أبن حجر

إِلَيْهِ بِأَمْرِ اللَّه تَعَالَى، وَهُوَ أَعْلَم سُبْحَانه، وَلِكَلَامِ الْمَلَك وَتَصَرُّفه أَوْقَات: أَحَدهَا حِين يَخْلُقهَا اللَّه تَعَالَى نُطْفَة، ثُمَّ يَنْقُلهَا عَلَقَة، وَهُوَ أَوَّل عِلْم الْمَلَك بِأَنَّهُ وَلَد؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلّ نُطْفَة تَصِير وَلَدًا، وَذَلِكَ عَقِب الْأَرْبَعِينَ الْأُولَى، وَحِينَئِذٍ يَكْتُب رِزْقه وَأَجَله وَعَمَله وَشَقَاوَته أَوْ سَعَادَته، ثُمَّ لِلْمَلَكِ فِيهِ تَصَرُّف آخَر فِي وَقْت آخَر، وَهُوَ تَصْوِيره وَخَلْق سَمْعه وَبَصَره وَجِلْده وَعَظْمه، وَكَوْنه ذَكَرًا أَمْ أُنْثَى، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُون فِي الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَة)[1]

ولنلاحظ كيفية تأكيدهم رحمهم الله على الأربعينيات وان أول مرحلة هي مرحلة النطفة وهي أربعين وهكذا.

وعند استشارتي لأستاذنا الدكتور محمد علي البار أورد لي معلومة رائعة أيضا وهي أن علماء الأديان الأخرى من يهود ونصارى يقولون أن النطفة فعليا ماء في الأربعين الأولى وهذه من لطائف الحديث النبوي حيث أن اليهودي عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن خلق الآدمي وشبهه قال انه سيسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي كما ورد وهذا مما يدل على أن بعض الأخبار وردت لديهم عن هذا الأمر أيضاً وكله يصدق بعضه بعضاً ولهذا موضع مفصل أكثر سيأتي لاحقاً.

<u>**فصل:**</u>

لنعد **لمفهوم القرار المكين وذلك على اعتبار أن النطفة مرحلة جنينية كاملة لها موضع محدد ووقت تتطور فيه داخل الرحم** وهذا ما نجده في قوله تعالى **((ثم جعلناه نطفة في قرار مكين))**[2]

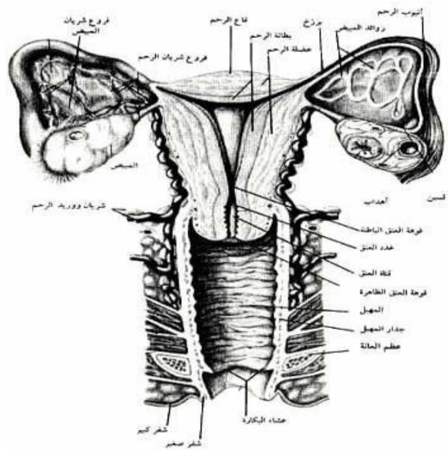
أي خلقناه كنطفة ومكنا له في رحم أمه الذي سيحميه ويؤمن له المأوى وهو المقصود بكلمة (قرار) أما (مكين) فهو كناية عما جهز به الرحم من بنى والتي أصلاً تكون مستعدة لتلقي الجنين والمكونة من العديد من الطبقات التي تعمل على تقويته ((وهي ثلاث طبقات :مصلية –وعضلية –ومخاطية))وهذا مما يجعل الرحم بنية أو عضو مستقر وثابت في البطن من خلال أربطته التي تعلقه وتثبته في جوف البطن..

---

[1] شرح النووي لصحيح مسلم باب خلق الآدمي

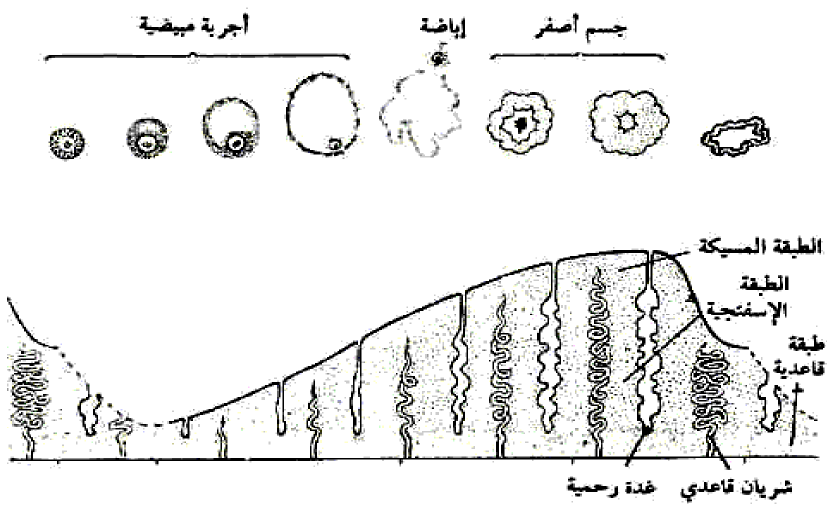
[2] سورة المؤمنون آية ١٣

في الشكل التالي لاحظ طبقات الرحم مع تعلقه وتثبه بأربطته في داخل البطن.



وبنيته نفسها التي تحدث فيها بعض التغيرات ولا سيما في الطبقة المخاطية من خلال تأثير هرمون البرجسترون الذي يساهم في نمو هذه الطبقة بشكل كبير لتتسمك وتصبح كالعش جاهزة لاستقبال النطفة التي ستنغرس فيها حيث أن سماكتها الطبيعية حوالي واحد ملليمتر تصبح حوالي خمسة ملليمترات وذلك استعدادا للتعشيش وكل هذا يتساير مع الدورة الشهرية التي تمر بالمرأة في كل شهر أو حوالي ٢٨ يوماً و الأشكال التالية توضح ما سبق:

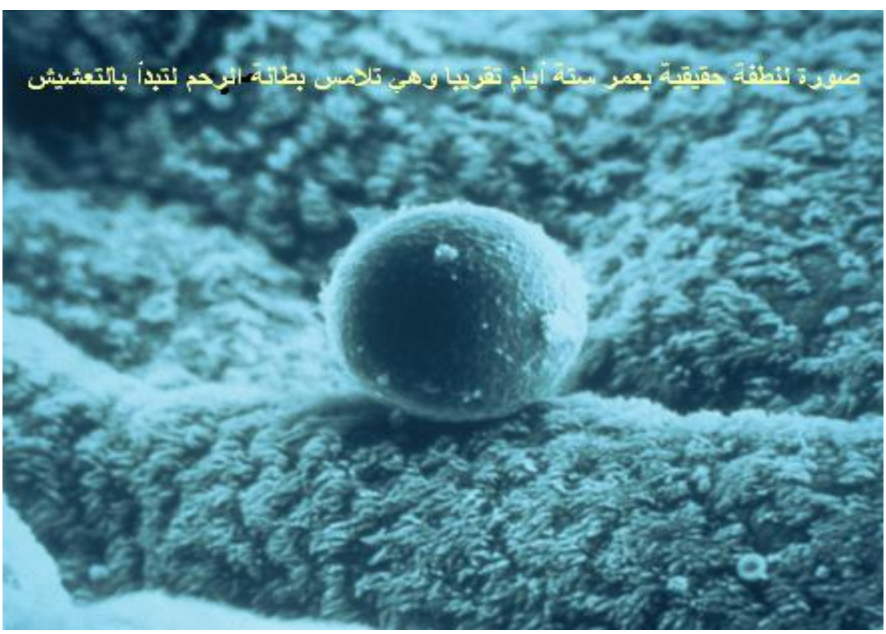
لاحظ في الشكل التالي كيفية تسمك بطانة الرحم بعد الإباضة فوراً استعداداً للجنين المتوقع قدومه عليها :



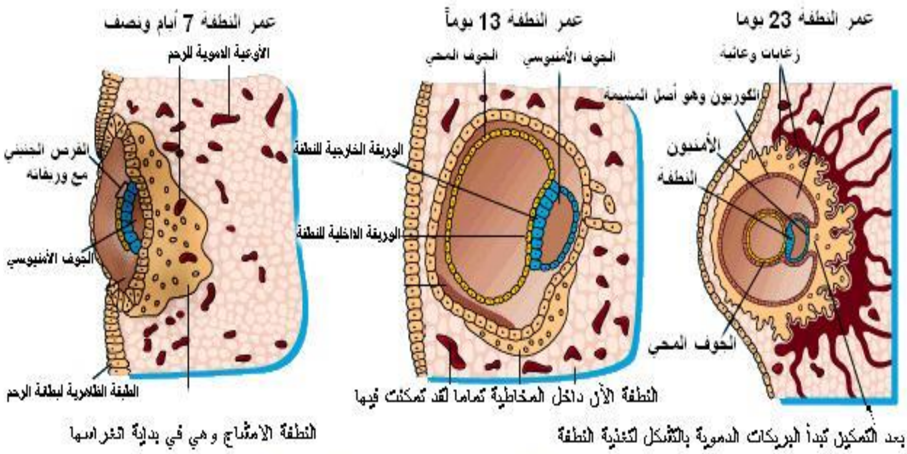
لاحظ في الشكل التالي الكرة الجنينية الأصلية أو الجرثومية كما تسمى طبياً وهي تلامس البطانة للانغراس على البطانة المتسمكة:



الصورة التالية لنطفة أمشاج حقيقية تلامس بطانة الرحم وهي تستعد للإنغراس:



الشكل التالي ترسيمي لعملية التمكين أو الإنغراس الحاصلة للنطفة وهي هنا بشكل أوضح:



عملية تمكين النطفة أو التعشيش بحسب التعبير الطبي

©1998 Encyclopaedia Britannica, Inc.

ما تكلمنا عنه هو التمكين والتثبيت للرحم نفسه من الخارج داخل البطن ومن خلال بنيته كما أسلفنا أما التمكين في داخل الرحم فيكون بتشكل سلسلة من الطبقات المتتالية والتي ستغطي (النطفة الأمشاج) أي البيضة الملقحة فيما بعد وهذا يتم للنطفة عندما تستقر في الرحم وهو ما عبر عنه البيان الإلهي بأنه في فترة النطفة أي خلال الأربعين الأولى يكون استقرار الجنين وتمكينه في الرحم وهو الوجه الآخر للآية الذي ناقشنا له وجها أولاً عندما تكلمنا عن تمكين النطفة في بويضة الأم وهو معنى بديع ورائع تحتمله الآية نفسها وهو من الأمور التي تبين لنا براعة اللفظ القرآني وإجماله للمعاني في لفظ واحد وهو من الأمور الإعجازية التي لا تخفى على الدارس لمعاني القرآن وآياته...

أعود لأقول: إذاً التمكين الثاني سيكون للنطفة كمرحلة جنينية ستمتد لمدة حوالي أربعين يوم مع تحولاتها المختلفة وتخلقها نحو العلقة وهذا ما سيتم أيضاً في الرحم حيث سيتم احتواء النطفة ضمن طبقات الرحم وهذا الاحتواء يكون قبل تشكل بداءة المشيمة التي ستساهم بتشكل التمكين الأهم وهو طبقاتها المتتالية التي تشكل حماية للجنين وأمه وتؤمن التبادل الغذائي اللازم له وهو **ما**

عبر عنه البيان الإلهي بالظلمات الثلاث قال تعالى: ((يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ..)) [1] **الآية.**

حيث أن الظلمات الثلاث فعلا تحيط بالجنين وبشكل دائم طوال فترة تخلقه في بطن أمه فهي وفق رأي المفسرين وآراء الصحابة ثلاث ظلمات:

أولها ظلمة البطن ثم ظلمة الرحم ثم ظلمة المشيمة.

وهذا صحيح تماماً وفقاً لما اكتشف الآن بل وإنني رأيت تكرار الثلاثيات في كل طبقة منها فهناك ثلاث طبقات في البطن وثلاث طبقات في الرحم وثلاث طبقات في المشيمة وهي ما يساهم بالإحاطة بالجنين وهي تنتج من تفاعل نسيج المشيمة الاولي المسمى طبياً الكوريون الاولي بحيث يرق في جميع أماكنه إلا مكان بقاء المشيمة التامة التشكل في نهاية الشهر الثالث وهي أيضاً تحيط بالجنين ثلاثياً ومنها ما تسمى بالطبقات الساقطية وهي من فعل سقط أي أنها ستسقط في نهاية الحمل بعد الولادة وهي رد فعل طبيعي من نسيج رحم الام على وجود الجنين الغريب عنها كنسيج في داخلها وهي ايضا ثلاثة كالتالي:

<u>الطبقة الساقطية القاعدية</u> وهي كما في الشكل التالي تكون محيطة بالجنين أي بتماس به مباشرة.

<u>الطبقة الساقطية المحفظية</u> وهي تكون من جهة الجوف الامنيوسي أي فوق القاعدية.

<u>الطبقة الساقطية الجدارية</u> وتمثل الطبقة الثالثة التي تكون على تماس مع الرحم مباشرة.

وما يبقى من الكوريون هو المشيمة الكاملة من جهة الحبل السري فقط أما الباقي فيرق ليتحول إلى الغشاء الكوريوني الذي يضاف كتتمة لظلمة المشيمة وهو يحيط بالجوف الامنيوسي والجنين فيه وما سبق هو ما يحيط بالجنين مباشرة وهو المشيمة وهي كما وضحنا تحيط بالجنين أما الطبقة الساقطية فهي تنمحي وتتداخل مع الكوريون حتى تصبح تقريبا مع المشيمة نفسها وتحافظ على ثلاثيتها كما أسلفنا فلنتأمل هذا.

---

[1] سورة الزمر آية ٦

أما الثلاثية الموجودة في الرحم نفسه فهي من خلال أنه مكون من ثلاث طبقات أيضاً وهي كالتالي:

طبقة مخاطية وهي التي تحيط بالمحصول الحملي كاملاً من جنين ومشيمة تحيط به وفيها يتم التعشيش وتتشكل الطبقة الساقطية التي ستلتحم مع المشيمة فعلياً.

طبقة عضلية وهي تبقى كما هي أي بدون تسمك وإنما لها دور في تمططها الذي يحدث أثناء الحمل الى حجم أكثر بعشرة أضعاف على الأقل من طول الألياف العضلية الأصلي وله أهمية في زيادة سعة الرحم لمحصول الحمل (أي الجنين والمشيمة) خلال مراحل تطوره وكبر حجمه.

ومن أهم أدوارها هو عند الولادة حيث أن تقلصاتها تسبب المخاض والولادة ودورها الخفي أثناء الحمل والتخلق أن تبقى مثبطة بانتظام أي لا تتقلص الا بتواتر محسوب ومقدر من خلال توازن هرموني هام يكون بتقديره عز وجل يمنع هذا التقلص العام الذي لو حدث لا سمح الله سيلفظ الجنين وما حوله خارج الرحم ولكنه يحافظ على بعض التقلصات التي ستلعب دورا هاما في أن يأخد الجنين وضعه في الرحم اثناء تخلقه ثم يتنكس بحيث يكون رأسه للأسفل عند قرب الوضع وهذا يتم بمساعدة هذه الطبقة التي بتقلصاتها المقدرة بدقة من الباري عز وجل تفعل هذا ويكون لها دور أساسي فيه فتأمل وسبح الله .

الطبقة المصلية وهي تحيط بالجميع وتعلق الرحم ضمن جوف البطن وتضمن ثباتيته ضمن وضع ثابت.

الثلاثية الثالثة هي في البطن نفسه:

المصلية المحيطة مباشرة بطبقات الرحم من الخارج وهي ذاتها من البريتوان وتمثل ما يسمى بالطبقة المصلية البطنية.

العضلية الداخلية الهيكلية المتواجدة على الهيكل الحوضي والمثبتة للاعضاء مباشرة وتقلصها يغير بوضعية الاعضاء الداخلية من رحم ومثانه وغيرها.

الطبقة الخاجية من العضلات السطحية مع الجلد.

وبالتالي فكلها اعطت مظهر الثلاثيات المتتالية التي ستبقى محيطة بالجنين خلال فترة تخلقه كما عبر عنه البيان الإلهي فسبحان الله خالق كل شيء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ألا له الخلق والامر سبحانه عما يشركون.

وهنا أريد أن أوضح أن رأي بعض العلماء الكرام حول الظلمات الثلاث والتي يقولون فيه انها ثلاث

اولها الغشاء الساقطي او الطبقة الساقطية التي اوضحناها سابقا (قاعدية ومحفظية وجدارية) وثانيها الغشاء الكوريوني وهو بداءة المشيمة

ويقولون أن ثالثها الغشاء الامنيوسي وهو الغشاء الذي يحيط بالجنين مباشرة وفيه السائل الامنيوسي الذي يغذي الجنين وفيه تكون حركته وحتى بواسطة ما يتبقى منه تحدث الولادة اليسيرة كسائل يسري بسهولة فيؤمن مثل الزيت الذي يطري الممر ويسهل مرور الطفل منه عند الولادة ومن هنا قوله تعالى عند ولادة مريم عليها السلام **((قد جعل ربك تحتك سرياً))**[1] أي سهل الولادة.

إن هذا الرأي مع ما فيه من الصواب في الغشائين الأوليين إلا أن فيه بعض التصور الخاطئ في الغشاء الأخير وهو الأمنيوسي حيث أن البيان الالهي عبر عن هذه الاغشية بقوله **(ظلمات ثلاث)** والظلمة هل ما داخلها مظلم أي أنها مكونة من طبقات تحجب الضوء فيما لو وضعت في مكان مضيء وبالتالي فإنه يتوجب أن يكون جدارها مانعاً لمرور الضوء وليس شفيفاً وهذا لو حدث أي أن جدارها كان شفيفاً لأصبحت ظلمتها مأخوذة من الأغشية او الجدر التي تحيط بها وبالتالي فهي لا تشكل ظلمة بذاتها فلا يتحقق بها مفهوم الظلمة المطلوب ولو أنها طبقة تحيط بالجنين ولكن لا نستطيع أن نطبق معنى الظلمة على الطبقة المحيطة بالجنين فقط حيث أن المتأمل بدقة اللفظ القرآني يعلم أنه لو كان هذا لكان صرح به البيان الإلهي تصريحاً مباشراً بدون تأويل ولذا قال ظلمات ولم يقل طبقات فلنتأمل هذا..

أي إنها ثلاث طبقات تحقق معنى الظلمة الموصوف سابقاً أي ستحجب الضوء حتماً وتجعل باطنها مظلم وهذا محقق فعلياً بالغشاء الساقطي لانه ثلاث

---

[1] سورة مريم آية ٢٤

طبقات وبفترة بسيطة في الغشاء الكوريوني (بداءة المشيمة)ثم سيرق هذا الغشاء ويبقى بشكل ملتصق بالغشاء الساقطي الذي يحيط بالجنين اما من جهة القاعدة أي الحبل السري فسيكون القرص المشيمي الناضج وهذا بعد الشهر الثالث و كلها أي القسم الكوريوني او القرص هي أقسام للمشيمة فعلياً ولو تعددت أسماؤها وأشكالها ومواقعها أي صحيح أنه ظلمة ولكن ستكون فعليا ضمن المشيمة فهي تحقق انها ظلمة المشيمة ككلام مجمل أي هي من ظلمة المشيمة وهي ضمنها أما الغشاء الأمنيوسي منفرداً فهو غشاء مكون من طبقة من الخلايا التي ترتبط مع بعضها البعض بشكل متلاصق بواسطة أنواع خاصة من الألياف وهذا ما يسبب أن الغشاء الأمنيوسي يكون غشاءاً شفيفاً وظلمته لا تتحقق منه بذاته و إنما نجده يقع في ظلمة الغشاء الكوريوني الذي يحيط أي لا يحقق معنى الظلمة ولذا ينتفي عنه ان يكون من الظلمات الثلاث لأنه واقع ضمن ظلمة المشيمة نفسها ..

وما أردته هو أن الظلمات الثلاث هي مفهوم مادي طرحه البيان الإلهي لإيضاح حقيقة علمية وقد أوردنا تتالي الثلاثيات في الإحاطة بالجنين وكلها مما يحقق معنى الظلمة بحرفيته ولذا يكون الغشاء الكوريوني والأمنيوسي ضمن ظلمة المشيمة وهي الظلمة الأولى وتكون الثانية ظلمة الرحم والثالثة هي ظلمة البطن وهذا فصلناه سابقاً.

ومما يرجح ويقوي هذا المعنى أن الغشاء الكوريوني (وهو بداءة المشيمة) هو المميز للجنين فلو وجد غشائين كوريونيين لتحتم وجود جنينين (أي حمل توأمي) اما وجود غشاء كوريوني واحد فهو يدل غالبا على وجود جنين مفرد يحيط به إلا في حالات الحمل بالبيضة المفردة التي قد تسبب حمل توأمي وحيد البيضة فقد يكون هناك كوريون واحد للجنينين وهذه حالات نادرة وخاصة أما الحالة الطبيعية المعتادة للحمل المفرد فهي وجود كيس كوريوني لكل جنين.

اما الكيس الامنيوسي الشفيف فهو غالبا ما يكون لكل جنين كيسه الخاص به وهذه نقطة الأهمية أي لابد لكل جنين من غشاء أمنيوسي خاص به وما يخالف ذلك في حالات الحمل التوأمي وحيد البيضة غالبا يتسبب بتشوهات والتصاقات بين الاجنة هذا من ناحية العلم المادي الذي بين أيدينا أما ربنا عز

وجل فقد عبر عن الظلمات الثلاث التي تحيط بمحصول الحمل ككل سواء كان حمل مفرد او توأمي او متعدد ولو أن الغشاء الامنيوسي يشكل ظلمة (على الرغم من أنه لا يحققها حتى لغوياً ومادياً) لكان خلق الاجنة المتعددة يتم في أكثر من ثلاث ظلمات مع الأخذ بعين الاعتبار الغشائين الكوريوني أي المشيمي والساقطي القادم من الرحم التي ستحيط بها ومعها البطن وعندما نضيف لها غشائين او كيسين امنيوسيين او اكثر يحيطان بالاجنة التوائم نجد أنها ستصبح اكثر من ثلاثة ظلمات وهذا مرفوض قطعاً لمخالفته للآية..

ولذا بطل فعلياً ولغوياً أن نجعل الغشاء الأمنيوسي واحدة من الظلمات الثلاث والله اعلم.

أما حديث بعض اهل العلم عن فكرة أن الظلمات الثلاث موجودة في الرحم نفسه فهم يقولون بأن الظلمة الاولى هي ظلمة البوق الرحمي (القناة الناقلة للبيوض) والثانية هي جوف جسم الرحم عند هبوط النطفة الامشاج اليها والثالثة هي ضمن الاغشية أي الغشاء المخاطي للرحم بما يعرف بالتعشيش او الانغراس كما اسلفنا فهذا من الامور الواردة في رأيهم حيث انهم احتجوا بظاهر الآية بقوله تعالى : **((خلقا من بعد خلق))**[1] أي كل خلق في ظلمة من الظلمات فهذا محقق نسبياً عند الجنين وهو يحدث فعلياً بشكل متسلسل ولكن ليس طيلة فترة الحمل وانما حتى انتهاء فترة التعشيش فقط وهنا بيت القصيد حيث بعدها سيصبح ضمن ظلمة واحدة وهي ظلمة بطانة الرحم فقط وهذا معنى محتمل في مرحلة النطفة فقط أي خلال الأسبوعين الأوليين من مرحلة النطفة التي هي أربعين يوماً لأن الظلمات الثلاث لابد أن تلازم التخلق بمراحله المتسلسلة كلها والمعنى الذي ناقشناه هوالأشمل وهو ما فهمه علماء السلف عموماً من أن الظلمات الثلاث تحيط بالجنين خلال تشكله في بطن أمه وطيلة فترة الحمل وهو معنى أشمل فضلاً عن موافقته للسلف والصحابة الكرام فهو يتتابع فيه نمو الجنين منذ كان نطفتين أبوية وأموية مروراً بالنطفة الأمشاج وحتى نهاية الحمل وهذا ما نفهمه من العودة للآية نفسها من كونه عز وجل يخبرنا عن هذه

[1] سورة الزمر آية ٦

الظلمات التي ترافق الجنين خلال تخلقه المتتالي ففي المرحلة الاولى وهي النطفة نجد عدة مراحل وكلها تتطور في ظلمات ثلاث فالنطفة الأمشاج في الظلمات التالية ظلمة النفيروتبقى فيها حتى حوالي اليوم الرابع الى السادس وهي من ضمن ظلمة الرحم ثم ظلمة جسم الرحم وتنتقل فيه بشكل سريع بعد اليوم الرابع وحتى السابع حيث ستنغرس في الظلمة الثالثة وهي الغشاء المخاطي الرحمي وهذا مما أوافق به من ذهب لهذا الرأي نسبياً لانه مرحلي ولكن له جانب مقبول في مرحلة التخلق الأولية في مرحلة النطفة كما أسلفنا أما خلال الفترات اللاحقة من علقة ثم مضغة فنجد أنها ستكون ضمن المعنى الأشمل الذي وضحناه وهو ما ذهب إليه علماء الصحابة وكبار المفسرين وهو أنها ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن وهذا بحسب ترتيبها من الداخل للخارج.

ومع هذا فنحن غير موافقين على أن يعتبر الغشاء الامنيوسي ظلمة على جميع الاحتمالات وأوردنا حجتنا في هذا والله الموفق.

وبالتالي نجد أن هذا التعبير الإلهي الذي لخص العديد من الحقائق العلمية الأساسية التي وضحها العلم الحديث في كلمات موجزة ومعبرة فلننظر إلى دقة القرآن الكريم ونتأمل بأنفسنا حلاوة لفظه والحقائق التي طرحها وسبق بها العلم بكثير من القرون ولنتعظ من هذا ونعود لربنا الذي لا غنى لنا عنه هوهو الغني عنا ولولاه ولولا رحته بنا لكنا من الخاسرين والعياذ بالله من ذلك والحمد لله الذي تتم به الصالحات.

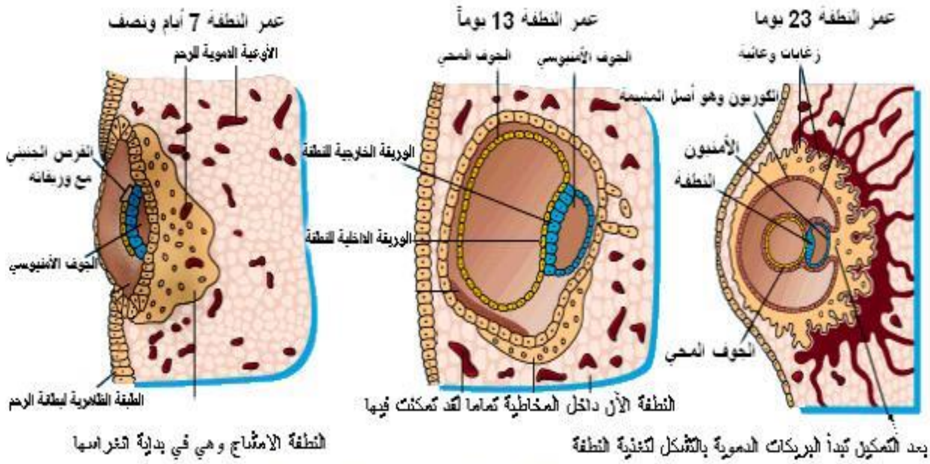
<u>فصل:</u> الوجه الإعجازي الثاني في قوله تعالى: ((ثم جعلناه نطفة في قرار مكين))[١]

كنا قد تحدثنا عن الوجه الأول وهو أن النطفة ستتمكن داخل البويضة بعد التلقيح أي تشكل النطفة الأمشاج، ثم تحدثنا عن الوجه الإعجازي الثاني وهو تمكين النطفة الأمشاج داخل الرحم حيث أن الجنين هنا في مرحلة متكاملة اسمها مرحلة النطفة كما أسلفنا وهي ترد على الرحم وهو القرار المكين أي الذي

[١] سورة المؤمنون آية ١٣

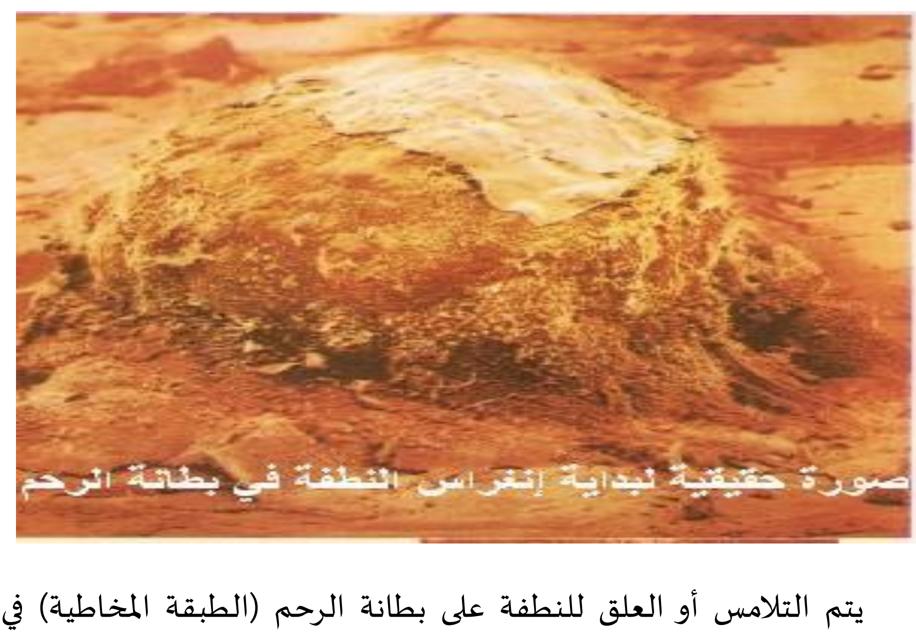
سيتمكن لها أي سيصبح مدعماً ومقوىً بعدة أمور تساعد على تثبيت هذه النطفة وتقويتها فيه وبالتالي ستتابع نموها وهي محمية من السقط أو أي تأثير عليها وهذا يحصل ضمن الأربعين الأولى التي تمثل فترة النطفة كما نص عليها حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه**((يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك..))** وهذا كما في صحيح مسلم وذكره ابي عوانه..(والذي كما ذكرنا قسم مدة مراحل تخلق الجنين الى اربعينيات)وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على تثبيت الحمل الحاصل في هذه الفترة (أي مرحلة النطفة) والذي ثبت علمياً أنه يحصل من خلال عملية التعشيش والتي هي انغراس النطفة التي تكون قد انقسمت عدة مرات لتشكل ما يعرف بالجسم الاصلي بمصطلحنا الطبي الحالي أو الكرة الجرثومية كما تلقب احياناً بينما النطفة كما نؤكد عليه لانه مصطلح القرآن الكريم هذا الانغراس يحصل في بطانة الرحم التي تثبت الحمل وتؤمن متابعة التمايز الجنيني ونموه خلال المراحل اللاحقة بشكل يمنع سقطه او زواله وبالفعل تبدأ هذه العملية في اليوم السادس تقريبا وتتابع تدريجيا حتى اليوم ١٣ تقريباً كما في الاشكال:





عملية تمكين النطفة أو التعشيش بحسب التعبير الطبي ©1998 Encyclopaedia Britannica, Inc.

وفي تفصيل شرح قوله تعالى: ((خلق الإنسان من علق))[١] لنلاحظ في الشكل التالي كيف تعلق النطفة على مخاطية الرحم وهو ما نجده في الآية وهو عما سيحدث عند تثبيت الحمل بهذه الطريقة:



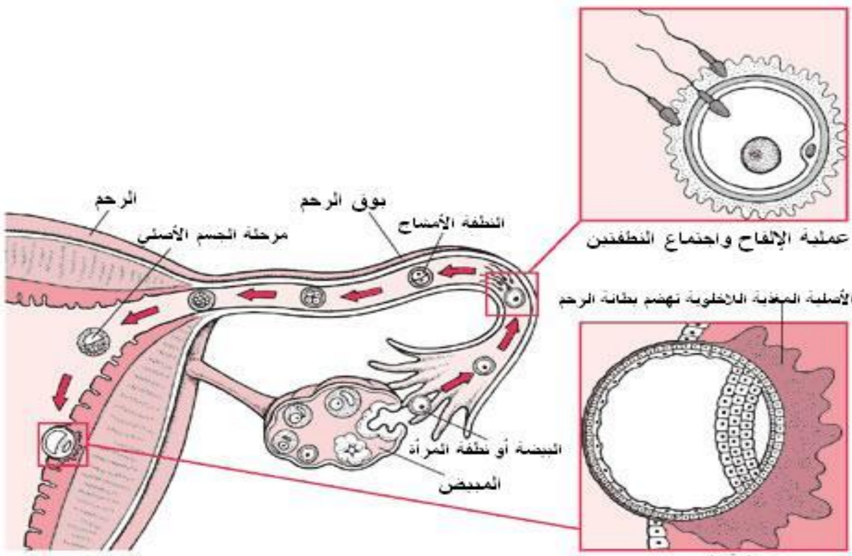
صورة حقيقية لبداية إنغراس النطفة في بطانة الرحم

يتم التلامس أو العلق للنطفة على بطانة الرحم (الطبقة المخاطية) في اليوم السادس ثم تتابع عمليات الإنغراس التدريجي وهذه العملية تتم متسايرة

---

[١] سورة العلق آية ٢

مع بدأ تمايز المشيمة التي تتشكل هنا على شكل ثلاث مجموعات خلوية أهمها ما يسمى بالطبقة الاصلية المغذية اللاخلوية وهي مجموعة من الخلايا المنحلة والتي يغلب عليها التركيب الانزيمي الذي يقوم بحل بطانة الرحم ويشق للنطفة طريقها فيها وهي ما نراه بشكل مثل آح البيض متطاول كالمتحول الذي يغير شكله ويوضحه الشكل:



أما الطبقة الثانية فهي ما يسمى الاصلية المغذية الخلوية وهي أصل المغذية اللاخلوية (خلايا تتمايز معها منها ينحل ليشكل المغذية اللاخلوية ومنها يبقى كخلايا) هذه الخلايا تحافظ على بنيتها وتصبح بداءة للأغشية الاخرى التي ستشكل المشيمة التي ستحيط بالجنين لاحقاً ولننتبه أن العلق هنا او العلوق هو للنطفة كاملة والتي ليست كلها ستشكل الجنين بل جزء منها يشكل ثلاث وريقات هي خلايا الجنين أما الباقي فهي تشكل المشيمة فعليا وهو مانجده في قوله تعالى: **((خلق الانسان من علق))**[١] لنلاحظ أن **(الإنسان)** معرف بأل أي مقصود بنفسه بينما **(علق)** نكرة غير مقصودة ومن حرف زائد يفيد التبعيض حسب اللغة العربية وهذا يدل على أنه مخلق من جزء مما يعلق وسبحان الله هذا ما يحدث فعلياً والله اعلم..

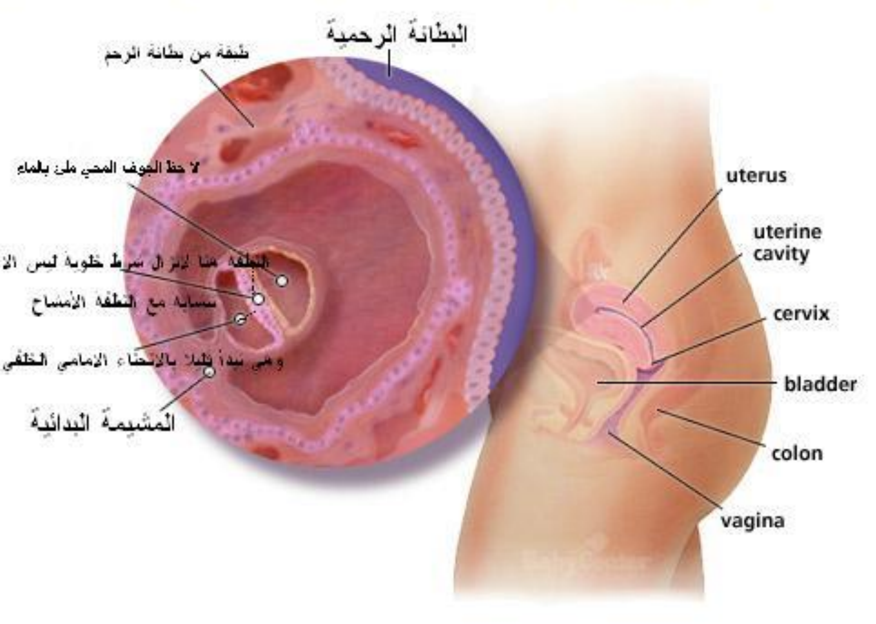
---

[١] سورة العلق آية ٢

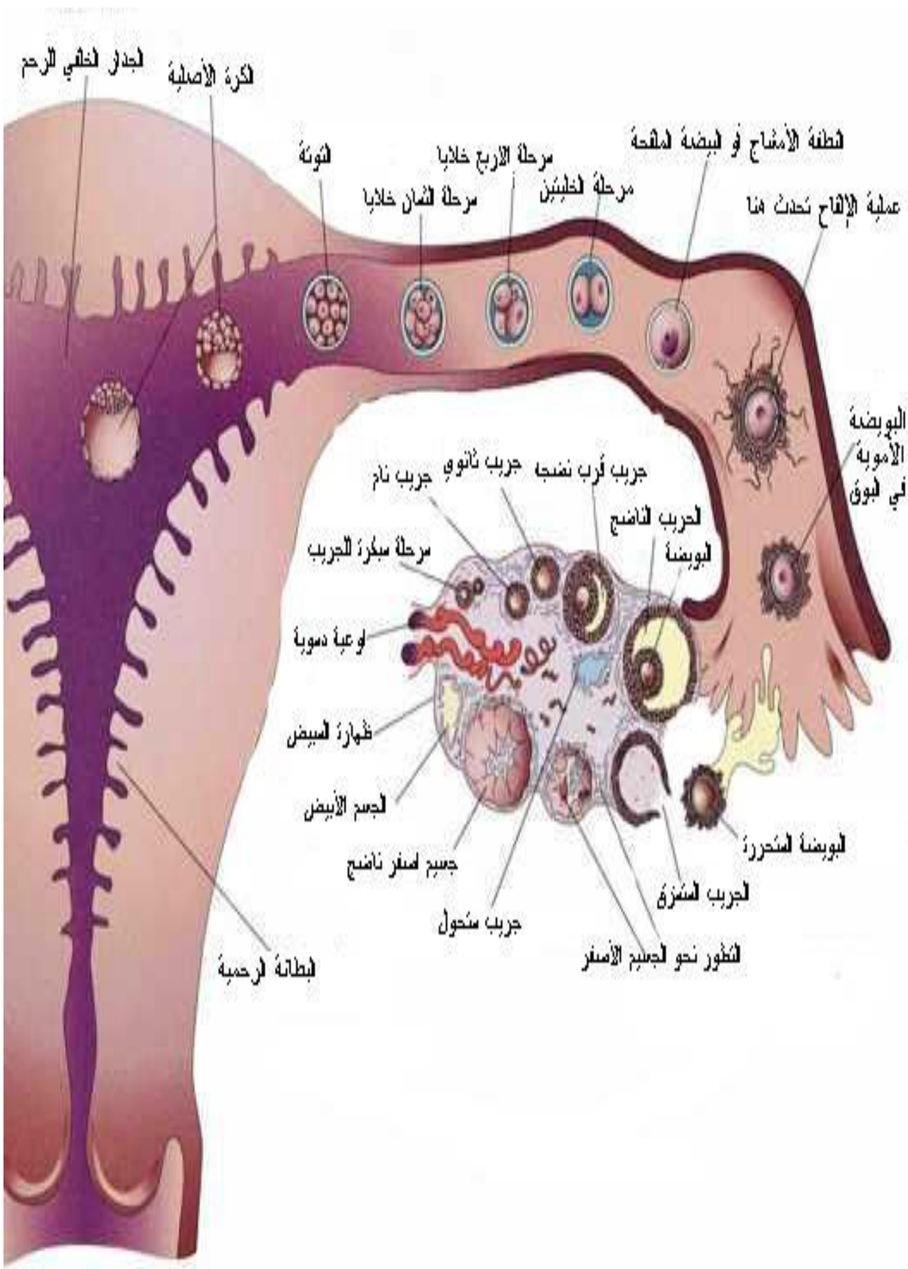
وهكذا تتم عملية الالتصاق مع البطانة ثمتتابع خلال الايام التالية (٧-٨-٩....١٣) حيث تنغرس النطفة وتتمكن فيه أي تثبت وتتابع تخلقها نحو الجنين نفسه والمشيمة التي تساهم ايضا في زيادة التثبت أكثر والنتيجة هي دخول النطفة الى بيتها المؤقت القرار المكين كما أوضحت الآية الكريمة ثم تتشكل لها سدادة ليفية تغطي المخاطية وتحمي البيضة الملقحة أي النطفة من السقط وهنا تندخل النطفة كاملة أكثر فأكثر وتتثبت اكثر وتوطد لنفسها مكاناً ستتابع تخلقها فيه باذن الله والله اعلم.

لاحظ في الشكل تمام التعشيش وتثبت النطفة وكيف انها ستتخلق بجزء منها فقط نحو الجنين اما اغلبها فهو سيشكل المشيمة لنلاحظ دقة التعبير القرآني وهنا وحتى اليوم عشرين تقريبا لاتزال بشكل مجموعة خلوية فقط مصطفة قرب بعضها أي البنية تشابه الماء الذي خلقت منه وهي نطفة الرجل ونطفة المرأة والتي اجتمعت في نطفة امشاج مشابهة لها ايضاً:

النطفة لا تزال ماء فهي تجمع خلوي بسيط وحوله أيضا ماء في ماء هذه فعليا البنية المائية فلنتأمل

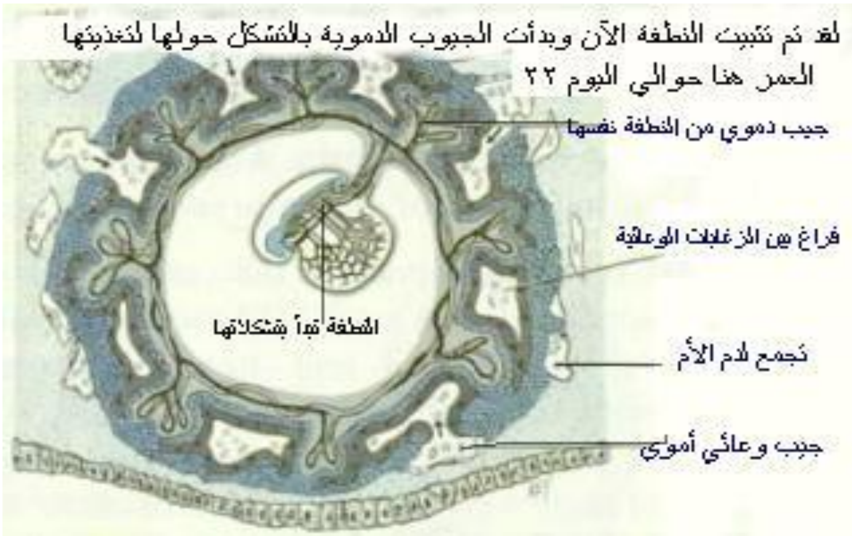


النطفة بعمر أربع أسابيع وهي لاتزال بشكل شرط خلوية وبداية الانحناءات فيهابشكل بسيط



لاحظ تسلسل الخلايا من نطاف ذكر وانثى ونطفة امشاج وتشابهها نسبيا بالبنية.

تأمل هذا التثبيت الحاصل الآن النطفة جاهزة للتخلق التدريجي نحن في اليوم ٢٢ تقريباً.



<u>فصل :</u> قال تعالى: **((وأنه هو أمات وأحيا *وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى *من نطفة إذا تمنى))**[1]

والشاهد هنا في آخر الايات وهو متابعة لما سبق شرحه بل هو مصدق له فكلمة تمنى هي من مني ولغة كما جاء في القاموس المحيط تعني ((التقدير للشيء)) فتقول شيء يمنى أي يقدر (أي يكون أو لا يكون) وهذا في حرفيته يجسد معناً عميقاً جداً ضمن الآية حيث أن التقدير للجنين يحدث منذ مرحلة النطفة ومنه ما يحدث فعليا في عملية الانغراس التي شرحناها سابقاً ومنه ما يذكره الملك عند قدومه على النطفة في اليوم إثنين وأربعين او بضع وأربعين في بعض الروايات وكله قادم من أن تقدير حياة النطفة يعني أن يقدر لها البقاء والتثبيت للحمل الذي عندما يأتي الملك يكون قد حصل مسبقاً منذ اليوم ١٦ تقريبا حسب علم الأجنة بانتهاء التعشيش أي أنه يأتي على النطفة وقد سبق من ربنا لها التقدير وعندها يكتب لها الكلمات الاربع رزقها وأجلها وشقي أم سعيد وذكر أم أنثى وهذا من حيث تثبيت الجنين يحدث فعلياً في مرحلة النطفة بين اليوم السادس واليوم السادس عشر تقريباً وهو عملية

---

[1] سورة النجم آيات ٤٤-٤٥-٤٦

التعشيش ولولاها لسقط الجنين وانتهى الحمل وهذا ما يتوافق مع حديث مرور الملك عليها كما اسلفنا فالملك يؤكد بسؤاله لربنا عز وجل هذا التثبيت الحاصل ويريد توطيده أكثر فأكثر حيث أن نسبة السقط في أول الحمل بحسب علم الاجنة غالباً في الأسابيع الأولى وحتى الأسبوع السادس وهي أعلى نسب سقط وبهذا فتقدير الملك بأمر ربنا عز وجل مهم جدا حتى بعد التعشيش ولكن يمكن أن نعتبر التعشيش هو درجة السلم الأولى التي تمتطيها النطفة فتثبت بعدئذ أم لا..

أما تفسير بعض أهل العلم للآية على أنها محمولة على معنى الإمناء من إخراج المني فهذا والله اعلم ليس هو المراد بها لأنه لا لغة تنطبق عليها ولا يوجد أي حديث صحيح عن النبي حول معنى الآية وطبعا نحن بمخالفتهم كما أسلفنا في الامر ليس من مشكلة ولا سيما انه لا دليل نقلي على قولهم ولنا ولهم الاجر إن شاء الله والله اعلم.

وأما معنى **(خلق الزوجين)** من النطفة فسآتي على تفصيله في موضع قادم ان شاء الله ولكن انوه عن ذلك وبشكل سريع وهوانه فعلاً ثبت أن تحديد جنس الجنين يتم في ثلاث مستويات أولها هو نوع النطفة التي ستلقح بويضة الام حيث ان لها نوعين وراثيين هما x وY وبحسب نوعية النطفة يتحدد المستوى الأول لجنس الجنين وهو مبدأ الامر الذي ستشكل بعدئذ ولهذا تفصيل موسع قادم إن شاء الله.

<u>فصل:</u> معنى الأربعين التي أوردها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

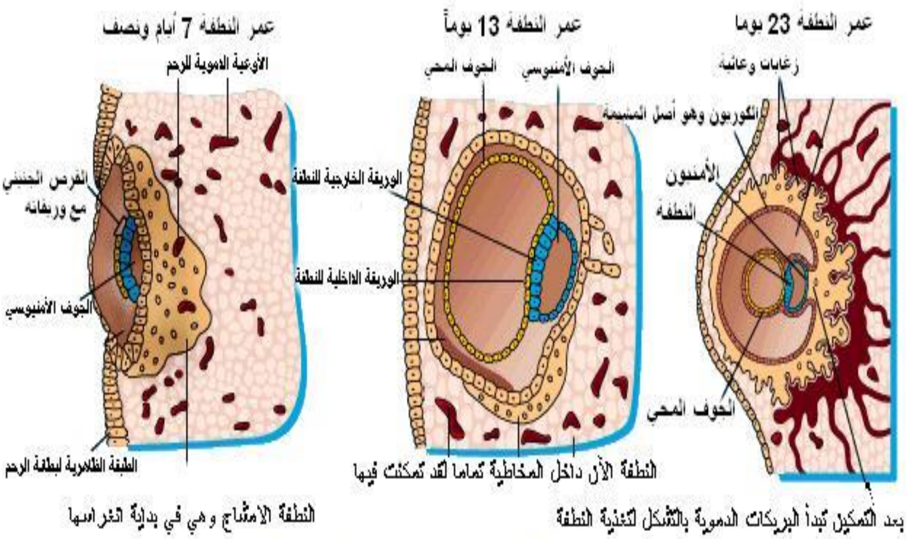
سأذكرها بشكل موجز وسنفصل فيها في باب تشكيل العلقة فقد أثبت العلم الحديث للجنين تعلقين أولها تعلق كيس الحمل كله بما فيه من خلايا جنينية ومشيمية في بطانة الرحم وهذا شرحناه في عملية الإنغراس مفصلاً وقوله تعالى **(خلق الانسان من علق)**[1].

وثانيها أن التعلق الحاصل هو للجنين نفسه وهذا يتم من خلال تخلق الجنين النطفة الى شكل يكون فيه متعلقا داخل كيس الحمل نفسه بشكل علقة بحبل خاص يقوم بتغذيته كالعلقة التي تتعلق بجسم المضيف من مكان ثم

[1] سورة العلق آية ٢

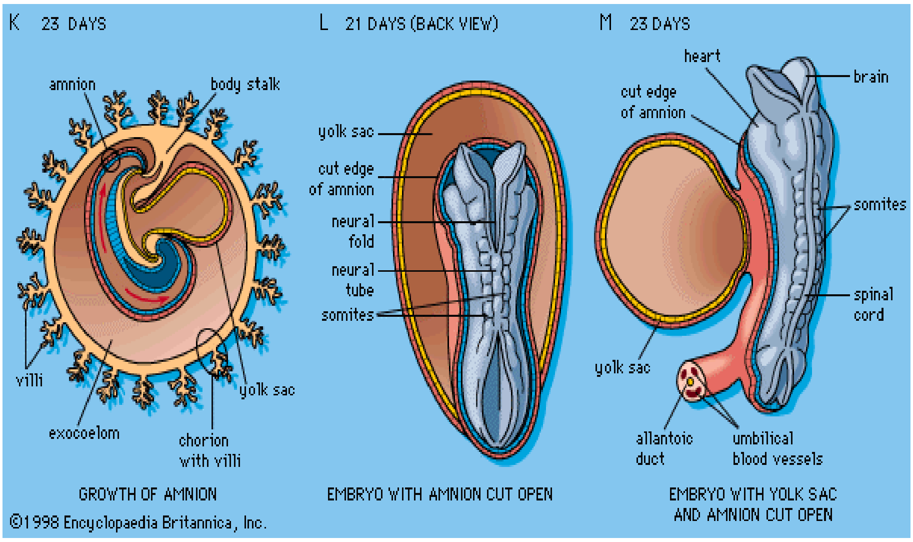
تتغذى منه وهذا لا يحصل فعلياً قبل اليوم السابع والثلاثين الى الاربعين حيث بعد أن كانت النطفة في أول عشرين يوم عبارة عن ثلاث وريقات بسيطة من الخلايا تتحول الى شكل منحني من جهاته الامامية الخلفية والجانبيتين مما يسبب تغلف منطقة الاوعية القادمة من بداءة المشيمة لتغذي النطفة الى حبل فيه وريد وشريانين واوعية متلاصقة مع بعضها في بنية حبلية الشكل تسبب تعلق الجنين النطفة تعلقا يسبب أنه يسبح في سائل الجوف الامنيوسي الذي يحيط به مباشرة الأمر الذي يصبح فيه كعلقة وكأنك تعلقه بحبل من جهة وسائبا من الجهة الاخرى..

لاحظ في الشكل حتى اليوم ٢٣ كيف ان الجنين مجرد وريقات تبدأ فيها الانحناءات بداية فقط

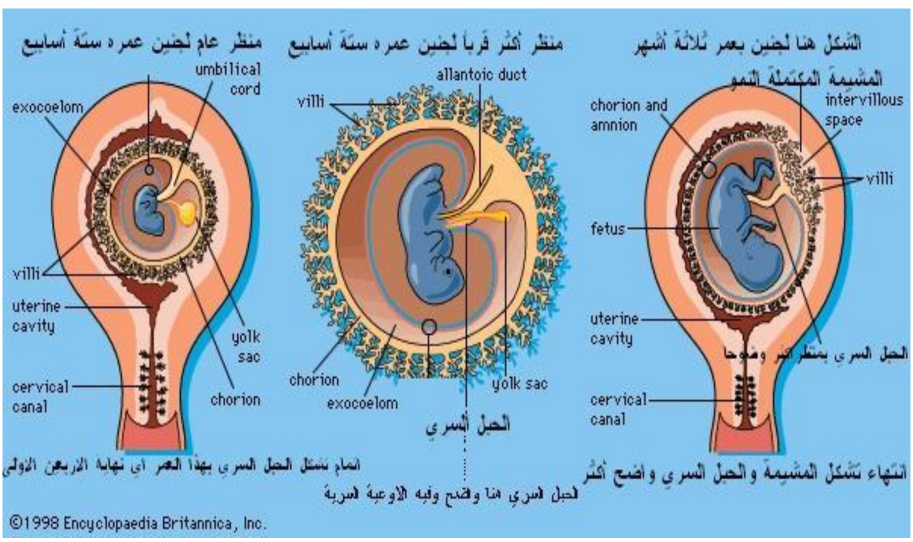


عملية تمكين النطفة أو التعشيش بحسب التعبير الطبي
©1998 Encyclopaedia Britannica, Inc.

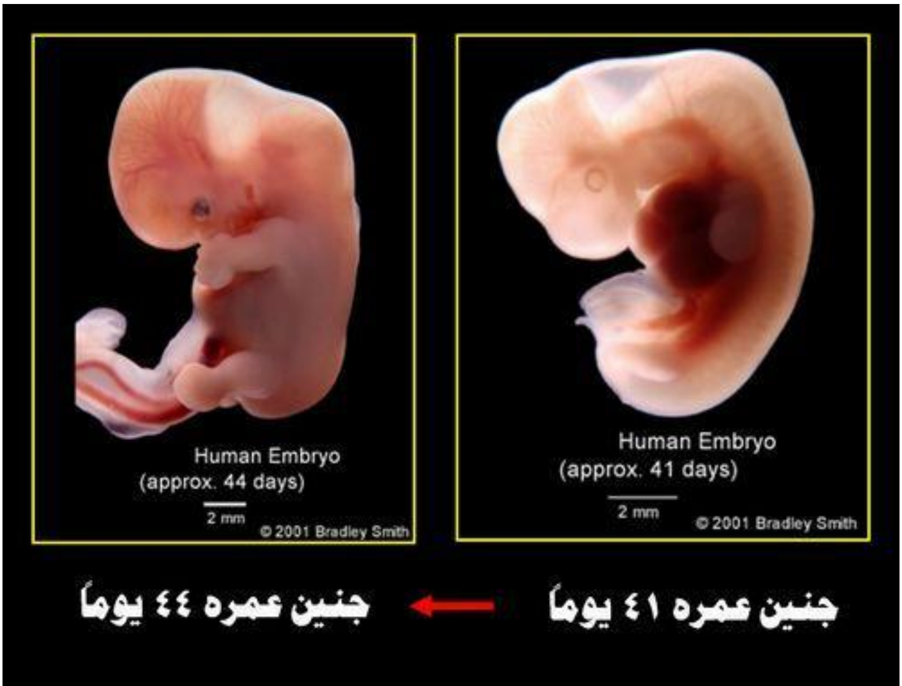
لاحظ بالشكل التالي كيفية حصول هذه الانحناءات



تتمم هذه الانحناءات في <u>**حوالي الأسبوع السادس**</u> أي حوالي اليوم <u>٤٢ إلى ٤٥ نجد تكامل الحبل السري</u> الذي سيعطي الجنين شكل التعلق الحاصل



ويبقى كذلك في هذا السائل حتى نهاية الحمل وهذا لا يحدث قبل الأيام ٣٧ إلى ٤٠ وللأمر تفصيل قادم إن شاء الله فسبحان الله الذي انطق نبيه بالحق وأوحى له الحق لا اله إلا هو فأنا يؤفكون.





الصورة السابقة هي منظر لجنين بعمر ستة أسابيع من جانب آخر يثبت تعلق الجنين إنه الآن علقة.

<u>فصل</u>

معنى مبهر في قوله تعالى :((ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً.))[1]

لنتأمل الآية فآخرها معروف من ناحية ان ما من امراة إلا وتخاف آلام المخاض وتخشاها بل وترتعد منها وتدعو الطبيب ليولِّدها بدون ألم أحيانا على الرغم من أن آلام المخاض كما ثبت علمياً تزيد من محبة الأم لولدها بعدئذ إلا أن الأمر مكروه عموماً لأن طبيعة الإنسان تأبى ولا تحب الألم وهذا أمر فطري.

طيب ما معنى **(حملته كرهاً)** فنحن نعلم أن هنالك غريزة كامنة في أية امراة هي غريزة الأمومة التي وضعها الله سبحانه فيها وجعل أكثر الرحمة التي أنزلها على أهل الأرض في قلب الأم على ولدها حتى في الحيوانات غير العاقلة ففعليا ما من أم تكره ان يكون لها ولد أو أن تحمل بولد؛ ولذا نضع اسؤال التالي

<u>ما معنى حملته كُرهاً؟</u>

في الواقع كثيراً ما تأملت في هذه الاية وتفاسيرها والحقائق العلمية بل حتى الاجتماعية والعاطفية لاي امراة أن يكون لها ولد ولذا اليكم الجواب حسب ما وفقنا الله له علمياً:

إن من أروع الأشياء التي تقف امامها مذهولاً في علم الجنين هي كيفية قبول الأم لجنينها وعدم رفضه وهو ينمو في باطنها وبتماس مباشر مع أنسجة جسمها فهو نسيج مختلف تماما عنها ويخالفها بمورثاته وحسب قواعد علم المناعة ومنها التماثل والإختلاف النسيجي حيث تبين علمياً أن لكل نوع خلوي في جسم الانسان مركب خاص اسمه مركب التوافق النسيجي HLA كما يدعى طبياً يتواجد مركب الهلا هذا على سطح الخلايا ومهمته أن يتعرف على أي عضو غريب يلامس هذه الخلية او النسيج او العضو وهكذا في كل الجسم وإذا قرأ انه غريب عنه سيعمل على تحريض تفعل مناعي تتخل فيه خلايا المناعة التي تدافع عن الجسم لتدمر هذا الجسم الغريب وترفضه ولعل هذا الباب في علم الخلية والوراثة الخلوية هو أمر جديد نسبيا بدأت حقائقه للإكتشاف منذ بدء موضوع

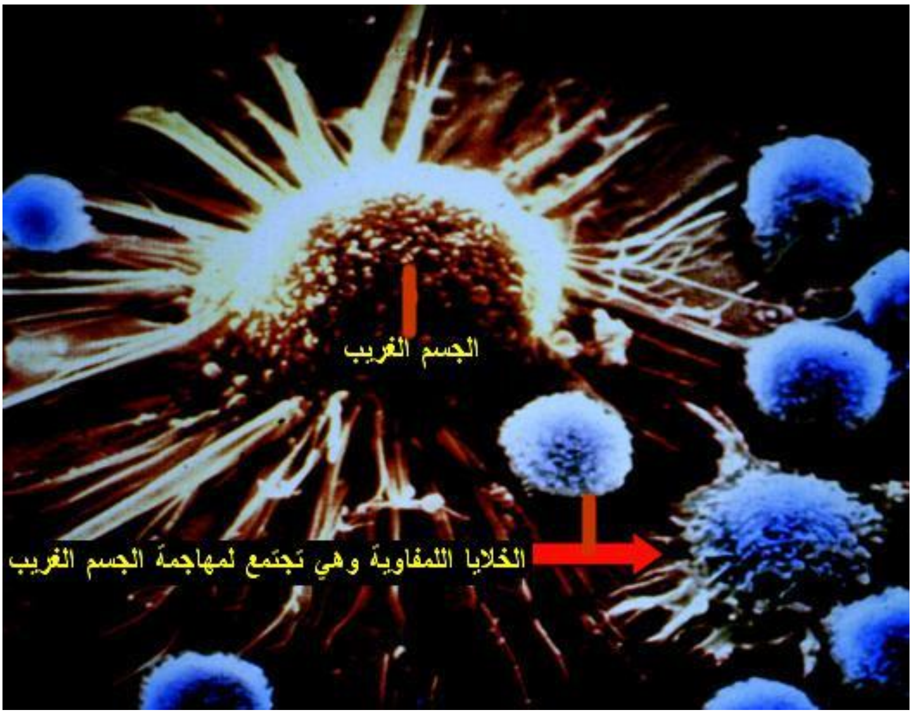
---

[1] سورة الأحقاف آية ١٥

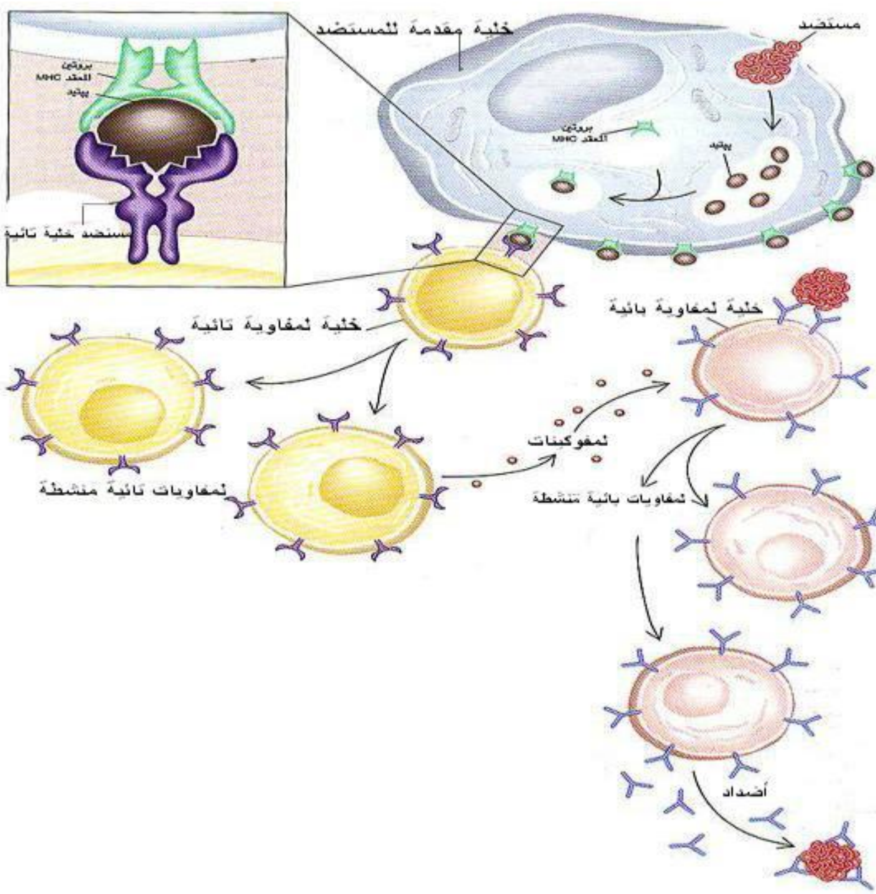
نقل الاعضاء وهكذا يرفض أي جسم من أجسامنا أي جسم غريب عنه بل ويدمره

الشكل التالي يوضح ذلك

في الشكل التالي الخلايا الزرقاء هي خلايا لمفاوية تأتي على خلية غريبة وتريد أن تفتك بها



الشكل التالي يوضح لنا الية الرد المناعي الحاصل على المستضدات الغريبة وكيفية قتلها من خلال الخلايا المناعية في الجسم حيث تقدم الجسم الغريب خلايا مقدمة خاصة تجهزه للاستجابة المناعية ثمبعد هذا تهاجمه الخلايا المناعية التائية أو البائية فالتائية تحرض تفاعل مناعي يقتل الجسم الغريب عن طريق مواد تسبب رسائل لخلايا لمفاوية اخرى تسمى هذه المواد اللمفوكينات ثم تقوم الخلايا البائية بدورها لتشكل اضداد نحو الجسم الغريب فتدمره بها هذا التفاعل هو المرحلة التالية بعد هجوم خلايا اولية دفاعية اسمها البالعات الكبيرة التي اذا ما فشلت تحرض التفاعل المناعي السابق فلنتأمل وننظر كيف أن هذا فعليا لا يحدث للجنين من قبل جسم أمه او مناعتها...



وبهذا وبحسب هذه القواعد الأساسية لابد أن يكون الجنين نسيج غريب عن الأم وكان لا بد أن ترفضه وتدمره نظرياً لأنه ليس مشابه لها (أي وراثياً وظاهرياً مختلف عنها) ولكن سبحان الله فعلى الرغم من التلامس الحاصل بين نسيج النطفة ككل أي كيس الحمل بما فيه الخلايا الاصلية المكونة للجنين.

أقصد عند التعشيش تتشكل طبقة الأصلية المغذية اللاخلوية من الأصلية الخلوية التي سبق أن ذكرناها.

وعند التعشيش نجد أنها تتلامس مباشرة مع نسيج الرحم بل وتهضمه وتدمره لتشكل جحر خاص بها داخله تسكن فيه وتترعرع تدريجياً وهذا التلامس كافٍ نظرياً ليقرأ نسيج رحم الام أن هنالك اندخال من خلايا غريبة ويجب مجابهتها وصدها ولكن على الرغم من هذا نجد أن الرحم وجسم الام عموماً لا

يرتكس ابداً لهذا الامر فلانجد أي ارتكاس مناعي او حتى التهابي يهاجم كيس الحمل بل وعند انتهاء التعشيش يتشكل على مدخل كيس الحمل سدادة ليفية تسهم في تثبيت موقع التعشيش أكثر وتمنعه من السقط.

ومن الأمور التي جعلها ربنا كرد فعل لنسيج الأم هو ما يدعى بالتفاعل الساقطي وهو ثلاث طبقا تتشكل من بطانة الرحم ثم تتداخل مع غشاء المشيمة الكوريوني كما نوهنا له سابقاً عند الحديث عن الظلمات الثلاث يتم هذا التفاعل خلال الأيام العاشر والحادي عشر والثاني عشر تقريبا حيث تتحول بطانة الرحم المقابلة لنسيج الجنين من خلايا مخاطية بسيطة إلى خلايا نسيجية غنية بالغليكوجين (نوع من السكاكر المركبة) والدسم والتي لها فوائد كثيرة لكلا الجسدين (الام والجنين) ومنها:

١-أنها تحمي الأم من هجوم الأصلية المغذية اللاخلوية وفعلها الحال للنسج والتي لو تابعت تقدمها لأكلت وحللت انسجة بطن الام كلها.

٢-تؤمن تغذية كبيرة للجنين من خلال مدخراتها.

٣-تشكل طبقة من الظلمات الثلاث التي أوردها البيان الالهي وهي ذات اهمية كبيرة في حماية الجنين ووضحنا ذلك الأمر سابقاً.

انظر كيف أن جسد الام حمل جسم الجنين وهو غريب عنه كرها مكرها رغماً عن كل القوانين الأساسية التي وضعها ربنا في علم النسج والخلية وعلى الرغم من عدم التلاؤم بينهما نسيجياً فانها تقبله بل وترد على وجوده بما يفيده ويقويه ولذا فهي حملته كرها أي بما يتعاكس مع القواعد الجسدية التي وضعها ربنا عز وجل في الحالات العادية للدفاع عن الجسم كما أنها وضعته كرها وهذا يدل على ألم الوضع والمخاض كما أسلفنا ولذا كان أجر الأم العظيم بما يتناسب مع ما تعاني منه في حمل الولد ووضعه ثم تربيته وإخراجه للمجتمع ولداً صالحاً بإذن الله باراً بوالديه وتقياً مع ربه وهذا ما ستتشارك به بعدذلك مع الأب من تربية وإنشاء قال تعالى في أول الآية: **((ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً))**[١]

---

[١] سورة الأحقاف آية ١٥

ففي الآية نجد اقتران الإحسان مع هذه الحقيقة العلمية لأثرها الكبير فيمن يفهمها حق الفهم وهذا هو الوجه الإعجازي الرائع الذي أعانني الله عليه في هذه الآية والله اعلم..

فصل

في الآية **إعجاز آخر وهو قوله ((وحمله وفصاله ثلاثون شهراً))**[1] **وفي الآية الاخرى قال تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ))**[2]

وهنا من خلال دراسة تفسير الايتين وما استنتجه علماء المسلمين من كون فصام الولد يكون في عامين أي ترضعه أمه أربعة وعشرين شهراً أما الآية الأولى فالحمل والفصال في ثلاثين شهراً فيكون الفرق ستة أشهر وبالتالي فقد تحددت فترة الحمل المنتجة لجنين طبيعي قادر على الحياة بحوالي ستة أشهر على الرغم من كون الجنين ينهي أهم تشكلات أعضائه في نهاية الشهر الرابع أي عند نهاية مرحلة المضغة فتصبح مخلقة وهذا يدلنا على اكتمال أعضائه بشكل يمكن أن يتابع فيه الحياة عند نهاية الأسبوع ٢٢ أي في نهاية الشهر السادس وهو ما أراده ربنا بقوله (ثم أنشاناه خلقا آخر)[3] أي أن هناك فترة بعد بث الروح لها أهمية في اكتمال تصنع الانسان بحيث تتوالف الروح مع الجسد ويصبح كاملا يمكن الحياة وهي مرحلة كاملة فيها تتمة التشكل أوردها ربنا بالاية السابقة الذكر وبربط الايات ببعضها تكون مدتها شهرين وهذا فعلاً ما أثبته العلم الحديث حيث الجنين يعتبر خديجا أي يحتاج لبعض العناية الخاصة ولكنه يستطيع الحياة في حال ولادته في نهاية الشهر السادس والكثير منهم ينجو ويتابع حياته وكثيراً ما نسمع عن أطفال يقال لأحدهم (طفل سبيعي)لأنه ولد لسبعة أشهر وهذا بحد

---

[1] سورة الأحقاف آية ١٥

[2] سورة لقمان آية ١٤

[3] سورة المؤمنون آية ١٤

ذاته إعجاز رباني دقيق في كون الجنين قبل خروجه للدنيا يحتاج جسده للتوالف مع روحه فترة هي هذين الشهرين ثم يتابع حياته كطفل طبيعي إن شاء الله .

ونلمس في قوله تعالى :((**وهناً على وهن**))التعب الذي تعانيه الأم أثناء حملها للجنين والذي يكون في أوله قليلا لا يذكر ولكنه يتعبها شيئا فشيئا بسبب زيادة وزن الجنين ونموه وزيادة السائل الأمنيوسي المحيط به الذي سيفيد في الولادة والخروج من بطن الأم فيما بعد والذي يبدأ من خمسين ميللتر في بداية الحمل ويصل من ألفين إلى ألفين وخمسمائة ميللتر أثنائه ليتناقص تدريجيا إلى ثلاثمائة ملليتر في نهايته و يضاف له وزن الجنين البالغ عندها حوالي ثلاثة ونصف كيلو غرام وكلها أوزان تضاف لبعضها وتزيد من معاناة الأم وتعبها شيئا فشيئا لذا خصها الله بالمعاملة الحسنة وبشكل كبير فقال: **((أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير))**صدق الله العظيم.

الباب الرابع

خلق الإنسان من علقة

<u>**فصل: تحولات النطفة إلى علقة**</u>

يدور نقاشنا هنا حول التحولات التي تطرأ على النطفة من اجل تشكيل العلقة التي هي المرحلة الثانية جنينياً كما ورد في الآية الكريمة **((ثم خلقنا النطفة علقة.))**[1]

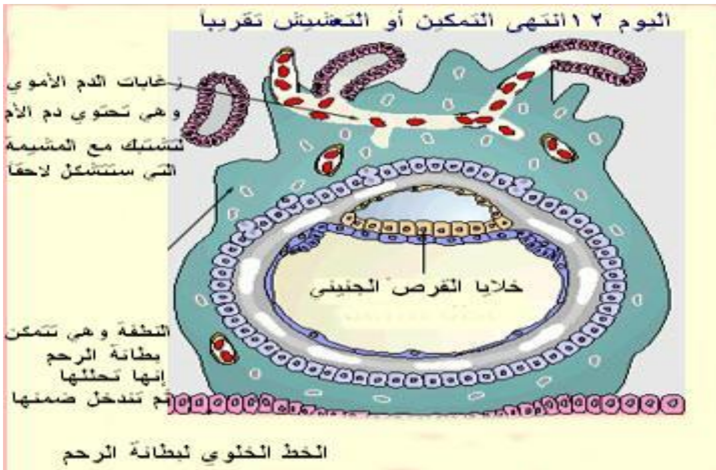
ولنحدد ما هي التحولات التي ستحدث لا بد من <u>**مناقشة معنى العلقة**</u> أولاً فالعلقة كما ورد هي الدم الجامد الذي يعلق بجدار ما اذا وضع عليه ولا تأتي في معنى الجمود لها نفسها هنا ولذا كان لا بد من تصحيح المفهوم الشائع أنها مجرد دم جامد وإنما اشتق المعنى من الدم الذي تجلط ليصبح متعلقا بشدة أي لا يمكن نزعه بسهولة وهذا ما ينطبق فعلياً على الجنين في رحم أمه فهو معلق داخل الرحم في جداره مع المشيمة بشكل قوي لا يمكن فكه إلا بتقلصات شديدة جدا وصفت أنها أكثر التقلصات العضلية إيلاماً للإنسان من بين الألم الذي قد يصيبه طبياً وهو المعنى الاول الذي ينطبق على العلقة كاسم لغوي متعارف عليه

وهو كما أشرنا يحصل للجنين نفسه وليس لكرة الحمل كاملة فقط أي الآيات التي تتحدث عن المرحلة الثانية التي هي علقة تتحدث عن الجنين نفسه الذي كما نعلم يكون مندمجاً مع الكرة الجرثومية كخلايا كلها مع بعض ثم ينفصل بترتيب خاص اسمه الوريقات الجنينية وهي كما أسلفنا ثلاث وريقات فوق بعضها لا تكون متعلقة تعلقا لنتأمل الشكل التالي:

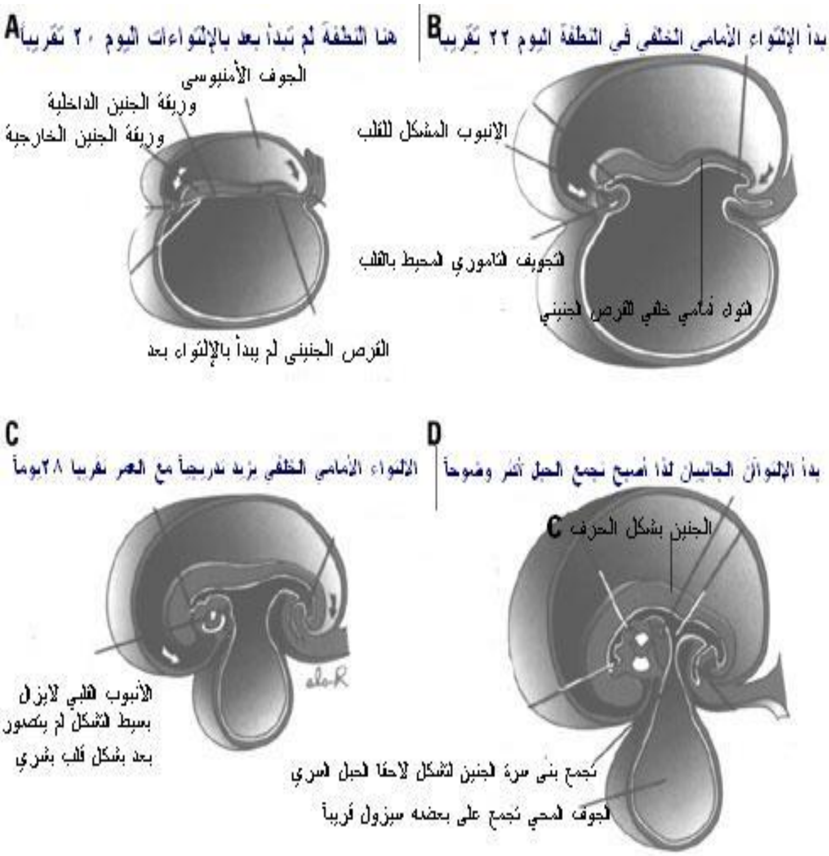
لاحظ كيف أن خلايا القرص الجنيني التي ستكون الجنين في الوسط لا تزال مرتصة قرب بعضها لم تتعلق بعد بحبل خاص وانما هي كجسر من الخلايا المصطفة.

---

[1] سورة المؤمنون آية ١٤



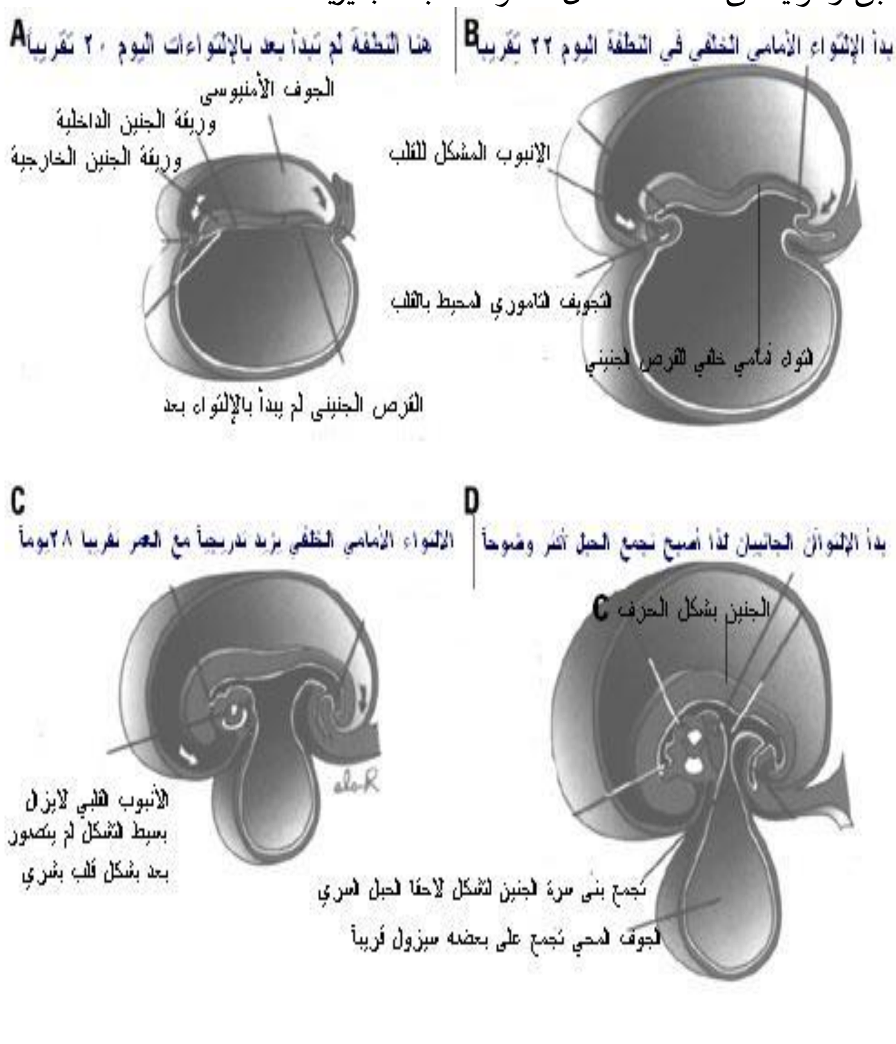
في الشكل التالي نجد بدء الالتواءات التي ستعلقها.



ولذا كانت الآية التي ذكرنا تفصيلاً عنها وهي قوله تعالى : **((خلق الانسان من علق))**[1] تتحدث عن مرحلة النطفة نفسها وليست عن العلقة وقد وضحنا هذا سابقاً في بحث علوق محصول الحمل والانغراس فليرجع له للتذكر..

أما قوله تعالى **((فخلقنا النطفة علقة))** أي أن الجنين نفسه سيتعلق كما قلنا هذه التحولات للنطفة نحو العلقة تبدأ تقريبا بعد اليوم عشرين بما يسمى الإلتواءات الجنينية وهذا ما يحدث فعلياً والأشكال التالية توضح ذلك:

لنلاحظ الالتواء الأمامي الخلفي الذي يبدأ في اليوم ٢١تقريباً في الشكل السابق وهو يعطى النطفة شكل الحرف C بالانجليزية.

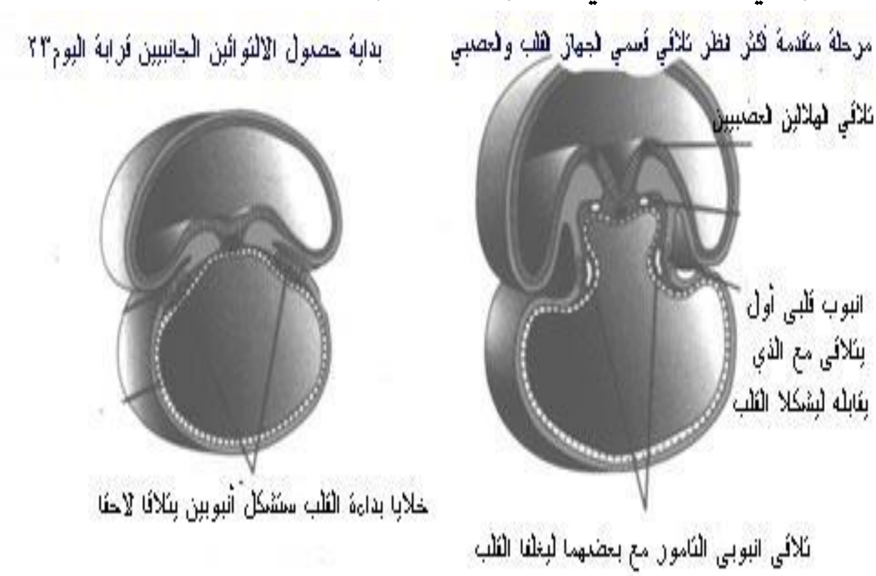


---

[1] سورة العلق آية ٢

أما الشكل التالي فنجد فيه الإلتوائين الجانبيين اللذين يؤديان لأن تتكور البنى النسيجية وتصبح محيطة تماما بمحتويات الحبل السري هذين الالتوائين يبدآن في اليوم ٢٣ تقريبا ولا تتمان فعلياً قبل اليوم ٣٧ مع الإلتواء الأمامي الخلفي حيث يتشكل الحبل السري كبنية حبلية فعلياً شكلها كالحبل الذي علق من جهة بالجنين ومن جهة أخرى مع الرحم وأصبحت النطفة الآن فعلياً علقة لنتأمل الأشكال:

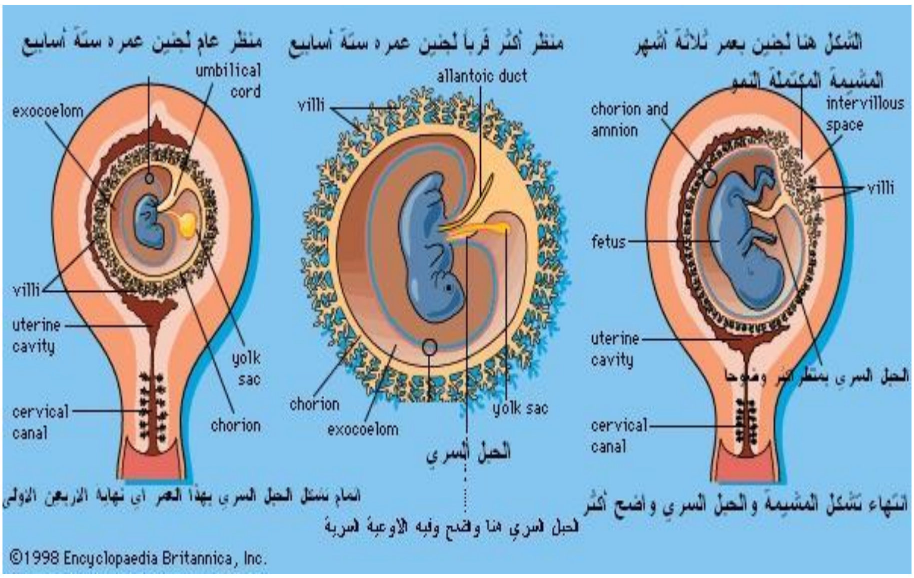
نرى في الشكل التالي الالتوائين الجانبيين



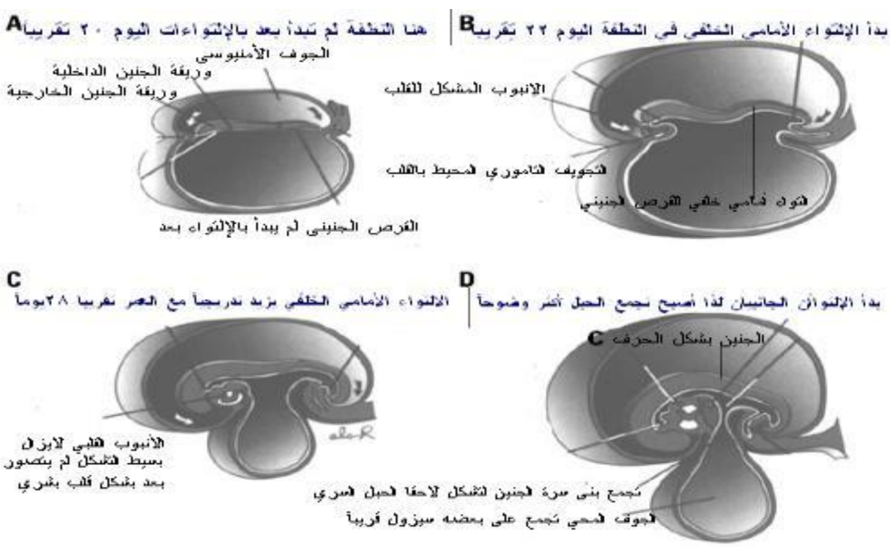


إن الإلتوائين الجانبيين هامان في تشكل الحبل السري كما يقومان بإتمام تشكل بعض الأعضاء

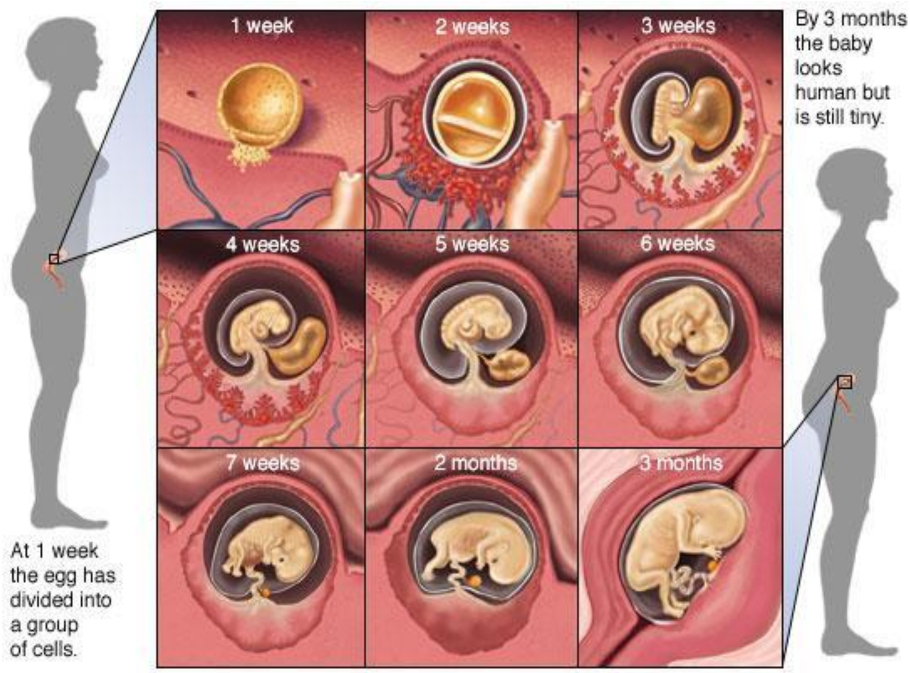
أما الشكل التالي فنرى فيه كيفية تعلق الجنين في داخل الرحم مع المشيمة ولاحظ على اليسار الامنيون وهو البنى الغشائية التي ستحيط بمحتويات الحبل السري القادم الذي يحيط ببنى الحبل السري الذي سينضج قريباً أما الشكل بالوسط فنجد انه أصبح منغلفا عند منطقة الحبل السري ليشكله بضم اوعيته مع بعضها ويكون فعلياً قد تمم تشكله ..



في الشكل التالي نرى تتالي عمليات الالتواء الحاصلة



في الشكل التالي لاحظ أنه عند الأسبوع السادس يعني أربعين يوماً تقريباً يصبح الجنين معلقاً تعلقاً واضحاً بعكس ما كان عليه قبلاً لاحظ أن هذه التحولات تبدأ منذ نهاية الأسبوع الثالث ..

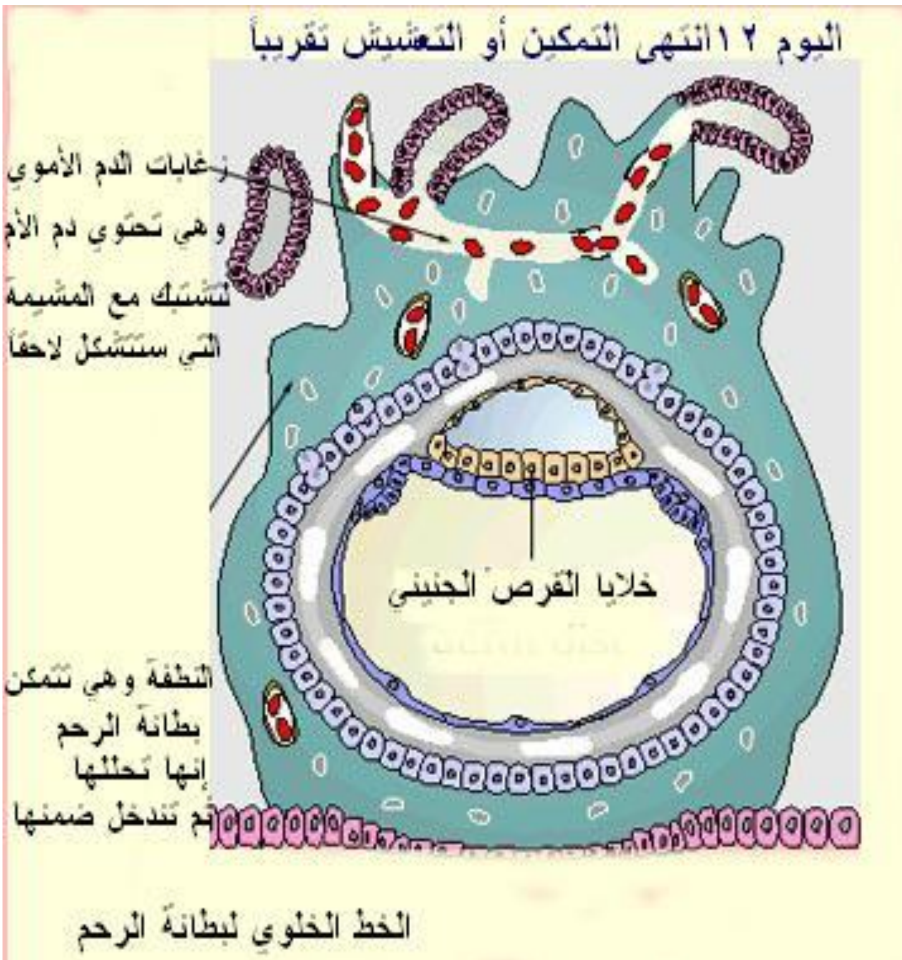


وكما أسلفنا لا يأخذ الجنين شكل العلقة إلا في اليوم أربعين تقريباً وهو نهاية الأسبوع السادس تقريباً فالفرق الأول بين النطفة والعلقة هو هذا التعلق الحاصل في داخل الرحم وضمن المشيمة نفسها من الجنين وهو من المثبتتات كمدة لحصول هذا الأمر طبياً في علم الأجنة.

وهنا نجد أن هذه التحولات هي قسمين منها أموية ومنها جنينية، فالتحولات الأموية تبدأ منذ اليوم التاسع تقريباً وهي تحولات ستساعد في اندخال أوعية الأم الدموية في البطانة الرحمية لتندخل في المشيمة وتشكلها لاحقا وهي تشكل ما اسماه الدكتور البار في كتابه خلق الانسان المعلاق الأولي وأنا اتفق معه في كون الأمر تعلق أولي ولكنه لكل كيس الحمل وليس للنطفة نفسها كما أسلفنا وأنا أدعوه بتحولات فقط تحصل على الكرة الحملية كاملة لتتحول إلى علقة فعلية وهذه التعلقات الأولية تتشكل فيها بريكات دموية حول الجنين وتبدأ فيها التغذية وتبادلاتها بين الجنين والأم وهنا يبدأ عملياً اعتماد الجنين على دم أمه في

غذاءه بعد أن كان حتى اليوم السادس يعتمد ككرة حملية على مفرزات باطن الرحم السائلة فقط..

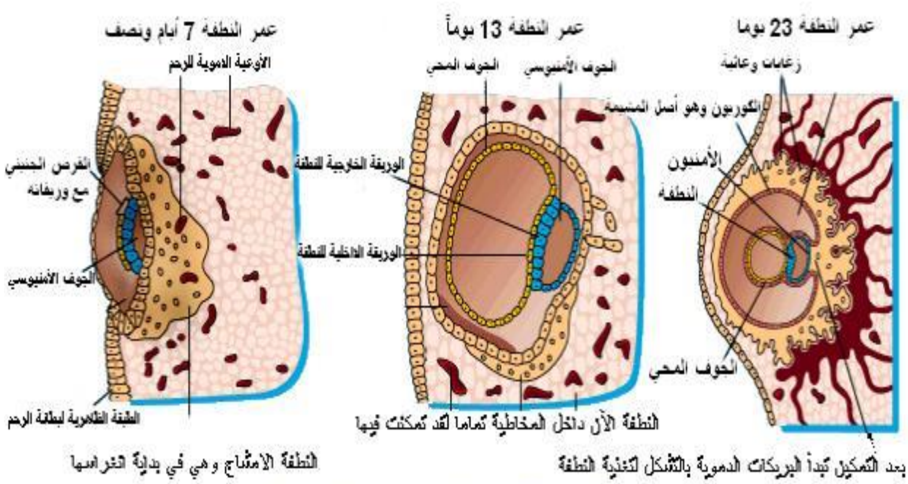
وهذه البريكات تتواجد في الأصلية المغذية اللاخلوية التي ستساعد في تعشيش الجنين كما فصلنا سابقاً.في الشكل لاحظ البريكات الدموية الأموية حول كرة الحمل:



أما التحولات الجنينية فهي الأهم وهي التي تسبب حصول التعلق الحقيقي كما أسلفنا وتحل بهذه الإلتواءات الجنينية التي أسلفنا شرحها والتي تبدأ حوالي اليوم ٢٦ وتتتابع حتى نهاية الأسبوع السادس تقريباً والتي هي قرابة اليوم أربعين أو بضع وأربعين وهي نهاية مرحلة النطفة وبداية مرحلة العلقة.

في الأيام ٢٨ إلى ٣٠ يأخذ الجنين شكل الحرف Cكما أسلفنا وعندها يبدأ الالتواءان الجانبيان وهما الأهم حيث يشكلان بنية تسمى **بالأمنيون وهو غشاء الجوف الامنيوسي المحيط بالجنين مباشر ومن جهة الحبل السري الذي سيرتبط مع المشيمة** لاحقاً نجد أنه سينغلف حول أوعية وبنية الحبل السري وبعد تقاربها المباشر معه تشكل الحبل السري قرابة الأيام ٣٧ إلى أربعين وهو ما يحقق كلام النبي الكريم ويتحقق التعلق الحقيقي للجنين.

أما كلامنا الذي نقوله قرابة ٣٧ إلى أربعين وقرابة كذا وكذا فهو ما نقصد به سوى ما يسمى طبياً بالمعدل الوسطي والذي طرحه النبي صلى الله عليه وسلم كما أسلفنا في أحاديثه عموما وهو آت من دقته صلى الله عليه وسلم في ذكر الأمور العلمية فإن هو إلا وحي يوحى وهذا من دقة الوحي وبراعة الوصف القرآني فسبحان الله الذي لا إله غيره تأمل هذا العلم الذي ساقه ربنا لنا وكيفية تعليمه لنا ما لم نكن نعلم لا إله إلا هو إليه المصير،



عملية تمكين النطفة أو التعشيش بحسب التعبير الطبي ©1998 Encyclopaedia Britannica, Inc.

في الشكل التالي هذه العلقة عمرها أربعين يوماً أي في نهاية الأسبوع السادس إن التعلق الحاصل كحبل حقيقي يدعى الحبل السري كما نعلم.



إن الخلق والتمايز الأولي أو التصوير المبدئي للنطفة لا يحدث إلا في مرحلة العلقة وهي بعد مرور أربعين يوماً تقريباً عليه ونحن نقول تقريباً لان النبي نفسه سمى الجنين بالنطفة وقال إذا مر بالنطفة أي ٤٢ يوما وهو لا يزال يسميها نطفة وبروايات بضع وأربعين وبحديث جمع الخلق أربعين يوماً أي النبي أراد رقماً تقريبياً وهو ما عليه الأمر في هذا العلم لأنه يختلف من جنين لآخر فكان من دقته العلمية في ذلك أن جعلها أرقاماً تتفاوت بحسب الأجنة وهذا ما أورده العديد من علماء السلف حول هذا الامر.

يقول ابن حجر رحمه الله في فتح الباري:

(وفي حديث حذيفة بن اسيد من رواية عكرمة بن خالد عن أبي الطفيل عنه أن النطفة تقع في <u>الرحم أربعين ليلة</u> ثم يتسور عليها الملك وكذا في رواية يوسف المكي عن أبي الطفيل عند الفريابي

وعنده وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن أبي الطفيل إذا مر بالنطفة <u>ثلاث وأربعون</u> وفي نسخة <u>ثنتان وأربعون ليلة</u> وفي رواية بن جريج عن أبي الزبير عند أبي عوانة <u>ثنتان وأربعون</u> وهي عند مسلم لكن لم يسق

لفظها قال مثل عمرو بن الحارث وفي رواية ربيعة بن كلثوم عن أبي الطفيل عند مسلم أيضا إذا أراد الله ان يخلق شيئا يأذن له لبضع وأربعين ليلة

وفي رواية عمرو بن دينار عن أبي الطفيل يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين

وهكذا رواه بن عيينة عن عمرو عند مسلم

ورواه الفريابي من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن عمرو فقال خمسة وأربعين ليلة فجزم بذلك

فحاصل الاختلاف ان حديث بن مسعود لم يختلف في ذكر الأربعين وكذا في كثير من الأحاديث

وغالبها كحديث أنس ثاني حديثي الباب لا تحديد فيه وحديث حذيفة بن اسيد اختلفت ألفاظ نقلته فبعضهم جزم بالاربعين كما في حديث بن مسعود وبعضهم زاد ثنتين أو ثلاثا أو خمسا أو بضعا ثم منهم من جزم ومنهم من تردد

وقد جمع بينها القاضي عياض بأنه ليس في رواية بن مسعود بأن ذلك يقع عند انتهاء الأربعين الأولى وابتداء الأربعين الثانية بل أطلق الأربعين فاحتمل ان يريد ان ذلك يقع في أوائل الأربعين الثانية **ويحتمل ان يجمع الاختلاف في العدد الزائد على انه بحسب اختلاف الاجنة)**[1]

أقول لنلاحظ أنهم دفعوا اختلاف الروايات باختلاف نمو الأجنة فبعضها لأربعين يصور وأخرى لاثنين وأربعين وبعضها لبضع وأربعين وهذا علمياً صحيح بل معجز

و أذهب إلى أنه تعالى في وحيه لنبيِّه تقصَّد ذلك لانه لو حددها بيوم محدد كالأربعين فقط ثم جاء جنين واحد زائداً أو ناقصاً يوماً لاعتُرض علينا به وحاشى لربنا أن يقع منه الزلل سبحانه ولذلك احتج ربنا بكلام نبيه على أي أحد تسوغ له نفسه الطعن على كتاب الله أو أحاديث نبيه **((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))**[2]

---

[1] فتح الباري في شرح صحيح البخاري

[2] سورة الملك آية ١٤

وهذا وجه إعجازي عظيم أعطاه لنا ربنا سبحانه فتبارك الله أحسن الخالقين.

إن هذه الأمور التي تحدث تعتبر من أهم التحولات التي تحدث على مجموعة الخلايا في مرحلة النطفة التي تكون عبارة عن صفوف خليوية فقط لتبدأ بالتمايز فعلياً نحو البنى الأولية للأعضاء التي تعتبر الميزة الثانية في مرحلة العلقة والتي هي ما يسمى طبياً مرحلة تكون الأعضاء التي لا تبدأ بالتوضح قبل الأسبوع الخامس إلى السادس وهو ما عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم عند حديثه في الأربعين الأولى الذي هو

حديث حذيفة بن أسيد، حيث قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث اللّه إليها ملكًا، فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها. ثم يقول: يا رب، أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يارب، رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك؛ ثم يقول: يا رب، أجله؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص")).[١]

وهو ما أسميته المعنى الاصطلاحي للعلقة وما يحدث فيها بحسب ما أورده نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وهو يصب في **معنى ما عبر عنه البيان الالهي بقوله: ((ثم كان علقة فخلق فسوى))**[٢]

إن مرحلة بداءات الأعضاء تعتبر من أهم الأمور المميزة للعلقة في تخلقها وسنستعرض عموم الأعضاء وتشكل بداءاتها في لمحات سريعة:

بداءة الأنبوب العصبي **شكلياً فقط** تبدأ فعلياً منذ اليوم ٢٣ولكن هذه ليست إلا التواءات تشكل ما يسمى بالعرف العصبي الذي يشكل خلايا أمهات للخلايا العصبية وللخلايا الميلانينية في الجلد وغيرها أي ما يحدث ليس إلا تغير التوائي في وريقات الجنين النطفة ستعطيه شكلاً فقط إلا إن التشكل الفعلي نحو البنى الوظيفية من البطينات في الدماغ والقشرة المخية وبداءة المخيخ في الأسبوع السادس تقريبا.

---

[١] صحيح الإمام مسلم شرح الإمام النووي

[٢] سورة القيامة آية ٣٨

أمهات العظام وأمهات العضلات تبدأ بالتمايز لتشكل الخلايا الوظيفية منها بعد نهاية الأسبوع الخامس.

المناسل أي جنس الجنين بمستواه الثاني يبدأ بالتشكل من بنية تسمى الكلية الوسطى بدءاً من نهاية الاسبوع الخامس ولا تصبح ظاهرة ممكنة التمييز قبل الأسبوع الثاني عشر.

القلب يبدأ بالتشكل قرابة بضع وعشرين ولا يصبح رباعي الأجواف قبل الأسبوع الثامن أي ضمن مرحلة العلقة.

لنأتي على باقي الاعضاء التي تكلم عنها النبي صلى الله عليه وسلم ومنها **الجلد** حيث نجد بداءته **لا تبدأ بالظهور قبل نهاية الشهر الثاني** بشكل طبقتين من الخلايا الغير متمايزة أي لم تتصور بعد فقط انقسمت لطبقتين فقط أما تشكل البنى الجلدية الحقيقية من الادمة فلا تكون قد أخذت الشكل الأولي لها قبل نهاية الشهر الثالث والدخول بالرابع حيث عندها سيحدث تشكل الجلد بكامل طبقاته حتى أن الخلايا الميلانينية المسؤولة عن لون الجلد لا تهاجر نحو الجلد من أصلها الذي هو خلايا العرف العصبي(وهي خلايا بدئية قابلة للتشكل نحو أي نمط خلوي أو نسيج) قبل مرور الأشهر الثلاثة الأولى أي دخول الجنين في مرحلة المضغة لا تظهر الأشعار بشكل بدائي قبل نهاية الشهر الثالث أي خلال الفترة الماضية كانت لا تزال بداءات وهي في فترة العلقة فلا تبدأ بالتشكل من بداءاتها قبل قرابة الأسبوع السادس..

أما خط الغدد الثديية فنجد أن أول تشكل لها يكون أيضاً في الأسبوع السابع من خلايا خاصة أيضا وأكثرها يزول وهو ما يحدث في مرحلة العدل التي يعدل الانسان فيها عن غيره من الأجنة وسنتحدث عن هذا لاحقاً ولا يبقى له إلا فتحتين فقط لثديين وإن الخلل في هذه المرحلة يشكل عدة أثداء للجنين ولا يأخذ الجلد مظهره قبل انتهاء الشهر الرابع..

تعال إلى الأسنان تبدأ تشكلاتها في الأسبوع السادس وهو نهاية مرحلة النطفة وبداية العلقة ويتشكل بتطورات متتالية خلال الشهر الثالث.وهكذا.

أعضاء الفم والبلعوم تبدأ بالتشكل من غلاصم الجنين (البنى الغلصمية سنتكلم عنها لاحقا) منذ الأسبوع السادس تقريباً.

وهكذا لو عدنا لكل الأعضاء لوجدنا أنها ستبدأ بالتشكل نحو الشكل الأولي قرابة الأسبوع السادس ثم ستنضج بعد ذلك في نهاية الشهر الرابع وتصبح واضحة التمايز وبالتالي كله في خلال مرحلة العلقة التي في نهايتها أي نهاية الاربعين الثانية ستصبح مصورة قطعياً لتتحول إلى المضغة وهذا سأناقشه مفصلا أكثر في بحث تحولات العلقة إلى مضغة.

إذا العلقة حققت أن الجنين صار معلقاً أولاً ثم بداءات الأعضاء بدأت فعلياً بالتشكل في بدايتها وتتابعت تدريجياً حسب قوله صلى الله عليه وسلم ويا له من إعجاز ما بعده إعجاز فكل ما يخبر به المصطفى حق وإن هو إلا وحي يوحى فتأمل وصلي على النبي العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام والله أعلم.

وهنا أود أن أنوه **لقاعدة تأصيلية هامة** وهي أن المفسرين عموماً في الآيات العلمية جاؤوا بتفاسيرهم ضمن هذا العلم او ذاك بأحد احتمالين وهو إما ورود خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنا لا خيار لنا إلا التصديق والتسليم واعتبار العلم قاصراً في حالة عدم تقديمه لتفسير جلي عن العلم أو باب العلم الذي تحدث عنه النبي ومما سيثبت لاحقاً في العلم لا بد أن يوافق صحيح السنة من حديث أو آيات كريمة في القرآن الكريم وهذا ثابت جلي واضح عند المتبحر في آيات القران وعلوم الحديث الصحيح.

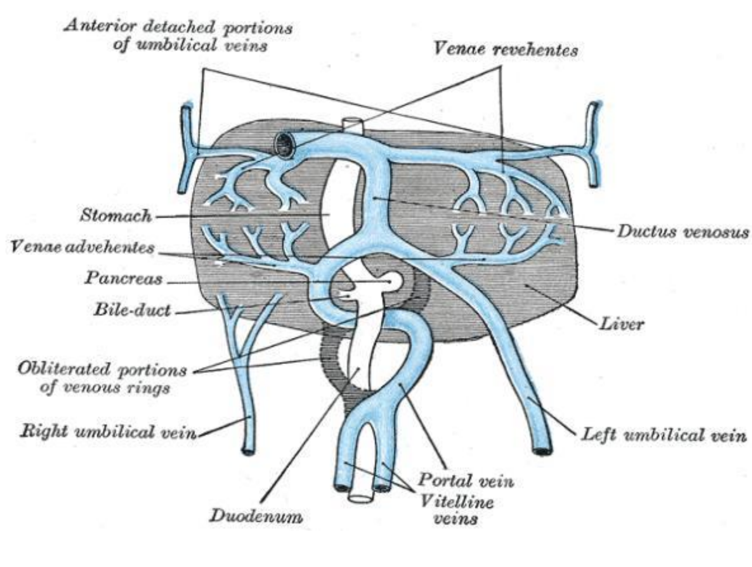
أما الشق الثاني فهو تكلمهم رحمهم الله في بعض التفاسير وفق العلم الذي لديهم في هذا الباب والذي وصلهم من علماء عصرهم في هذا الباب ومنهم من استشهدنا مراراً بكتاباته كابن القيم رحمه الله الذي أبدع حقيقة في علم الاجنة في كتبه عموماً ولا سيما كتاب(تحفة المودود في أحكام المولود)وهنا أقول إن بعض العلماء الآخرين كان لهم آراء نحترمها ونجل قدرهم عندها ولكن في آيات العلم الكوني بالذات وكما ورد في **قواعد أصول تفسير القرآن** أن مخالفة تفسيرهم الذي لا يعاضدده قرآن أو حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه مشكلة في حال كان الناتج هو تفسير أو تأويل في صالح الآية وبما يخدم المعنى الحقيقي الذي الذي سنجد فيه في العديد من الآيات إعجازا مذهلاً في معنى الآيات ولذا توضيحنا الحقيقة العلمية هنا لا يكون تفسيراً بالرأي او تأويلا فاسداً إلا إذا خالف كتاباً أو سنة مع العلم أن القرآن العظيم وصحيح الحديث لا يمكن أن يتعارض أبداً مع

حقائق العلم المثبتة وهو ما نحاول بجهدنا المتواضع مع غيرنا من طلاب العلم أن نثبته بالدليل والبرهان وهو ثابت في قلوبنا بتوفيق الله..

ما أوردته كله لكي لا يؤخذ علينا هذا الأمر في مخالفة بعض المفسرين الذين فسروا أحيانا آيات الخلق للانسان أو للسماوات والارض بما كان ظاهراً عندهم من علماء عصرهم ويقال أننا خالفناهم وأنهم أقرب لعصر النبوة الطاهرة ونحن مؤمنين بذلك ولكن هنا حسب قواعد أصول التفسير التي أوردها علماء السلف في كتب التأصيل ومنهم ابن كثير في أول تفسيره للقرآن العظيم وهي أن تفسير القرآن بالقرآن فإن لم يوجد فبصحيح السنة فإن لم توجد فبآراء الصحابة والسلف ثم نحكِّم اللغة العربية التي هي لغة القرآن وقواعدها ومعانيها مفيدة في فهمه أيضاً كما هو معلوم..

وما طرحته لأقول إن قول بعض علماء السلف من كون العلقة هي الدم الجامد هو قول له ما له وعليه ما عليه فله أنها فعلاً هي فترة يتم فيها تشكل البداءات الدموية في الجنين وما فيها من كريات حمراء وبيضاء وهنا من يأخذ هذا الدور هو الكبد الذي يتطور مبكرا في الجنين ليكون جاهزا لإنتاج الدم في هذه المرحلة.

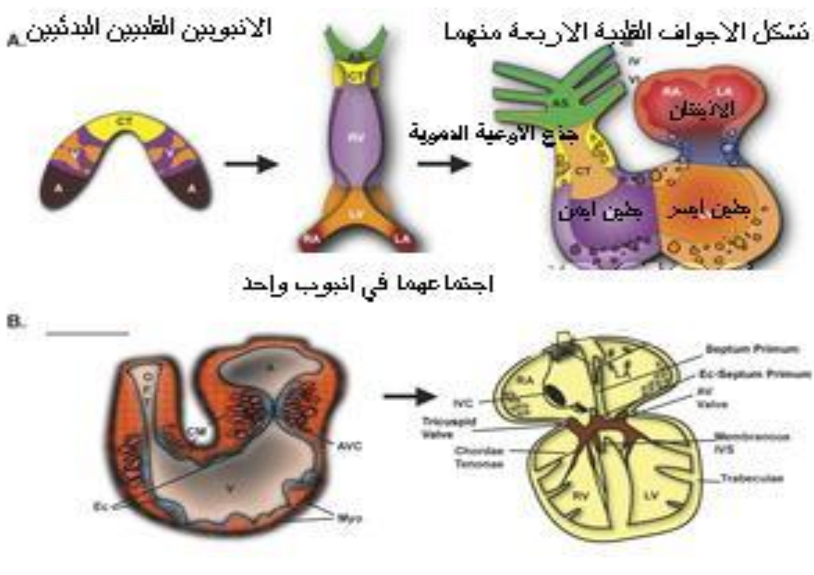
في الشكل التالي لاحظ بداءة الكبد كعضو مكون للدم وهذا في جنين في مرحلة النطفة عند تحولاتها نحو العلقة قرابة اليوم الرابع والعشرين تقريباً:



يبدأ **إنتاج الدم البدئي الذي لونه لم يأخذ بعد اللون الاحمر** في النصف الثاني من عمر النطفة ليدخل هذا الدم البدائي مع كرياته وخلاياه الاولية ويصبح متحركا في أوعية دموية بدئية تشارك في البداية بتشكل الدم أيضاً من خلال جدرها بدءا من اليوم التاسع بشكل بسيط **ولكن لا يتشكل الدم الاحمر الذي يعطي الكبد اللون الاحمر قبل الأسبوع السادس** حيث تدخل مرحلة النطفة في مرحلة العلقة بعد اختلاطها بالدم المميز الحقيقي الذي يكسبها اللون الأحمر القاني وهي من صفات العلقة الأساسية التي قال فيها العلماء عن امتزاجها بالدم في هذه المرحلة لتصبح علقة لهذا تفصيل في باب تحقيق الأربعينيات إن شاء الله سيأتي لاحقاً..

وما بعد اليوم البضع والعشرين يبدأ القلب بالنبض الموضعي غير الوظيفي وهو يكون بشكل أنبوب بدئي فقط غير مكتمل يبدأ بالتشكل في اليوم الثامن عشر بشكل أنبوبين قلبيين بدئيين ثم يصبح من جديد بحجرة واحدة وتبدأ التقسمات فيه وتشكل الحجر القلبية التي لا تكتمل قبل نهاية اليوم ١٢٠ أي نهاية الشهر الرابع.

الشكل التالي يوضح القلب في بدء تشكله من أنبوبين ثم تحتمع في انبوب واحد منذ اليوم ١٨ إلى ٢٠ تقريباً



إن هذا القلب يبدأ بالنبضان البسيط الموضعي بدءاً من اليوم ٢٢ إلى ٢٤ يوماً من عمر النطفة ليؤمن مرور الدم داخل أوعية دموية بدئية جداً في الجنين لاحقاً وهذا من الأمور التي لها أهمية كبيرة في تأمين تغذية العلقة فيما بعد أما في هذه الفترة فلا تزال تتغذى بواسطة المواد المغذية داخل السائل المحيط بها ولنلاحظ أنه كله يقع في القسم الاخير من حياة النطفة في فترة تحولاتها إلى علقة حيث تدخل فترة العلقة وقد خالطها الدم بعد أن كانت بضع وريقات من الخلايا المنفردة غير المتمايزة وهو ما أردت الإشارة إليه من كون العلقة يدخل في بنيتها الدم بل تشكله يكون في أول أوجه الذي له أهمية الدوران الدموي عبر الحبل السري و بداءة المشيمة بين الأم والجنين كل هذا لأقول أن الدم موجود فعلاً ولكنه دم متحرك وليس جامد كما كان يظن ..

الشيء الآخر أن **معنى العلقة كما ناقشنا سابقاً أنها من التعلق** فهي لا تعني الدم الجامد وإنما ينتابها كما وضحنا تشكل دم ويكون متحركاً ولكنه يفيد أن الجنين يعلق في بطانة الرحم كعلقة الدم التي تنتابها اللييفات التي تقوي منها وتجعل من هذا التعلق شديداً بحيث لا يمكن نزعها بسهولة فلو وضعنا قطرة دم على سطح ولو كان زجاجيا أملسا لوجدنا أنها تعلق بشدة بعد تجلطها ولا يمكن نزعها بسهولة فكيف إن كان سطحا شئزا بل فيه طيات كثير وطبقة مخاطية مثبتة له بقوة كما هو في داخل الرحم أو حتى المشيمة التي يتعلق بها الحبل السري ومن هنا كان تشبهها بالعلقة الدموية وهذا وجه مقبول لأن فيه شبه قوي فعلياً من ناحية أن الجنين بعد تشكل الحبل السري يصبح مثبت تثبيتاً قوياً وفعلياً يخالطه الدم في نهاية فترة النطفة وكما قلنا في النصف أو الثلث الأخير من حياتها وإن شاء الله سيتابع تطوره بعد تعلقه من خلال هذا الحبل لينمو ويتطور في بطن أمه أي رحمها بسلام..

الشكل التالي يوضح تعلق الدم المتجلط بالسطح الذي هو عليه وهو هنا كأس زجاجي لنتأمل هذا:



إن هذا من أوجه مخالطة الدم للنطفة وتحولها إلى علقة مختلطة بالدم الجنيني والله أعلم.

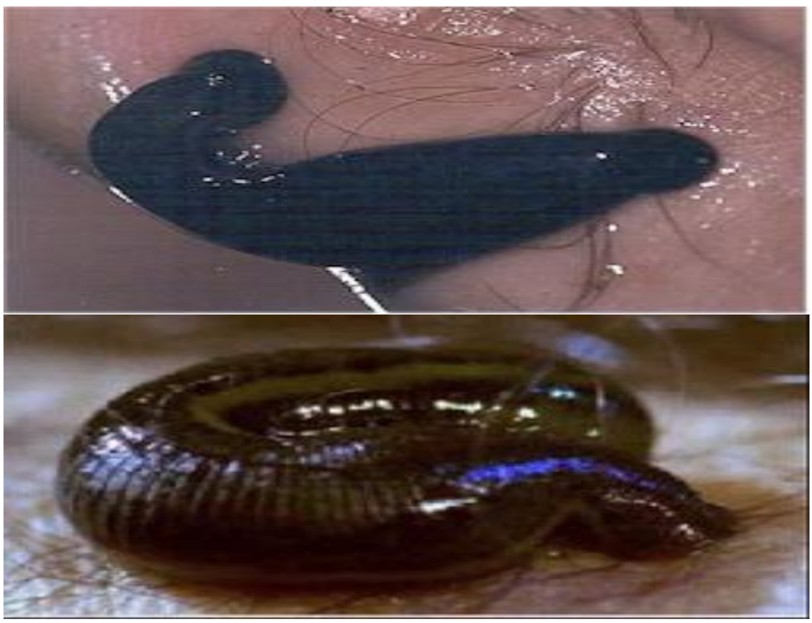
يمكن أخذ العديد من الإعجازات الأخرى من العلقة غير التعلق داخل البطن وغير تشابهها مع الدم المتجلط قوي التثبت الذي تحدثنا عنه ذلك لأنها كمرحلة جنينية تشكلية حقيقية يخالطها الدم تتابع فيها تطورات الدوران الدموي الفعلي الذي سيؤمن التغذية الحقيقية للجنين لإتمام تشكلاته وحياته ومن هنا **تكون العلقة وكأنها طفيلي يتطفل على جسم الأم ليستفيد مما فيه من مغذيات ومن هنا كان تشابهها مع العلق الطبي** الذي كثيرا ما كان يستخدم في الحجامة التي كانت تستخدم للاستشفاء وتحدث عنها النبي في بعض الأحاديث بل احتجم هو بنفسه وهذا من مثبتات النقليات عنه صلى الله عليه وسلم وله باب آخر في الحديث عنه وعن منافعه الطبية ..

ونجد التشابه في أمرين هما العمل والبنية:

ففي العمل نجد أن عمل الجنين في بطن أمه في مرحلة العلقة وما بعد سيتشابه مع دود العلق فهو سيتثبت على بطانة الرحم ويتعلق داخلها من جهة المشيمة البدئية كما تتعلق دودة العلق على جسد المضيف ثم إنه يباشر الغذاء من خلال تبادلاته مع دم أمه الذي لا يختلط مع دمه أبداً وهذا يحدث في العلق الذي يمتص الدم عبر جهازه الهضمي ثم يستفيد من مغذياته عبر أغشيته كما

يحدث تماماً في الجنين في هذه المرحلة فما بعد وطبعا سيبقى التعلق قائماً والتغذي قائما ولكن باختلاف بنية العلقة ستتحول لمضغة حيث لها صفات خاصة ستتحول إليها نناقشها لاحقاً فالمضغة هي علقة ولكن صار فيها بعض التحولات التي جعلتها مضغة أي ذات بنية لحمية جديدة وطبعاً فيها دم ومتحرك قطعاً في دورته ولهذا موضع قادم نناقشه فيه..

الصورة التالية لدودة علق لاحظ كيفية تمسكها بجسم المضيف وأنها تتغذى بهذا الامتصاص على دمه



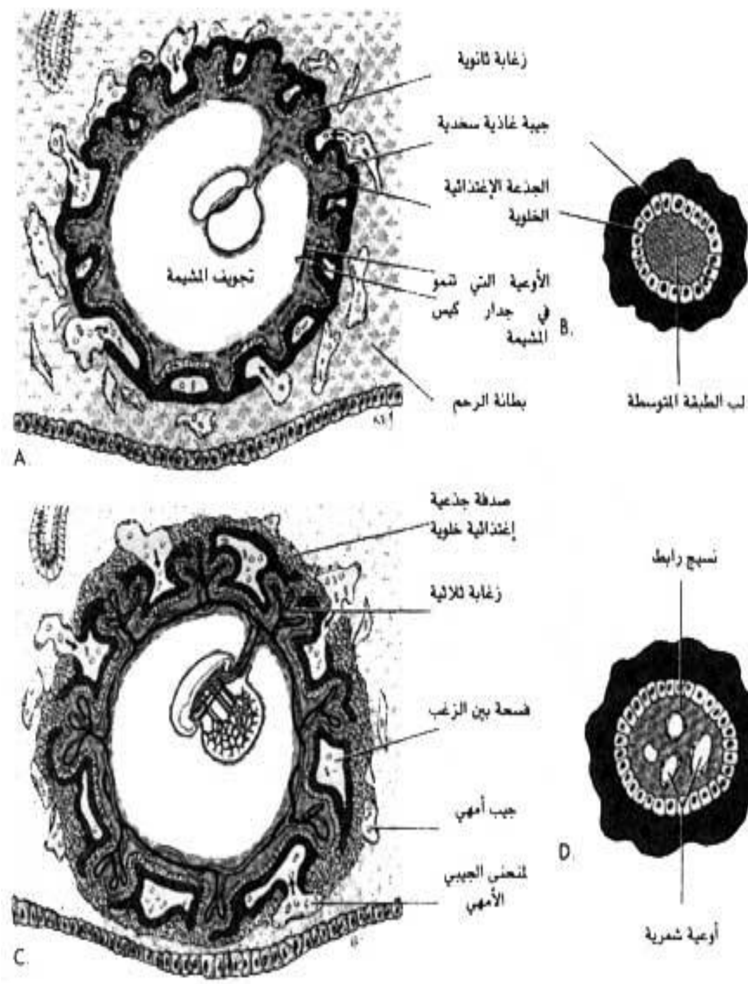
ومن الأمور الجميلة التي نراها في هذا المعنى هي أن العلقة لا تنفصل عن جسد المضيف حتى تنهي تغذيتها تماماً وتمتص ما تحتاجه من الدم اللازم لغذائها وكذلك الجنين فهو لا ينفصل عن أمه إلا بعد انتهاء تشكله التام الذي يكون قد تغذى فيه من دم أمه بدون اختلاط مباشر كما نعلم ولو أننا أردنا نزعه لنزفت الأم كما يحدث إذا أردنا إزالة العلقة قبل انتهائها وهذا نراه عند بدايات العلامات المنذرة بالسقط عند المرأة الحامل فلنتأمل ونسبح ربنا عز وجل والله اعلم.

وأما الشبه النسيجي فقد ثبت أن نسيج الجنين في مرحلة العلقة ليس إلا نسيجاً ضاماً يحوي أجهزة في أطوار تشكلها البدئي (كالجهاز العصبي –الهضمي – التناسلي.) وكلها تكون بشكل نسج في طور التمايز لا تحوي نسيج داعم أبداً بل هي

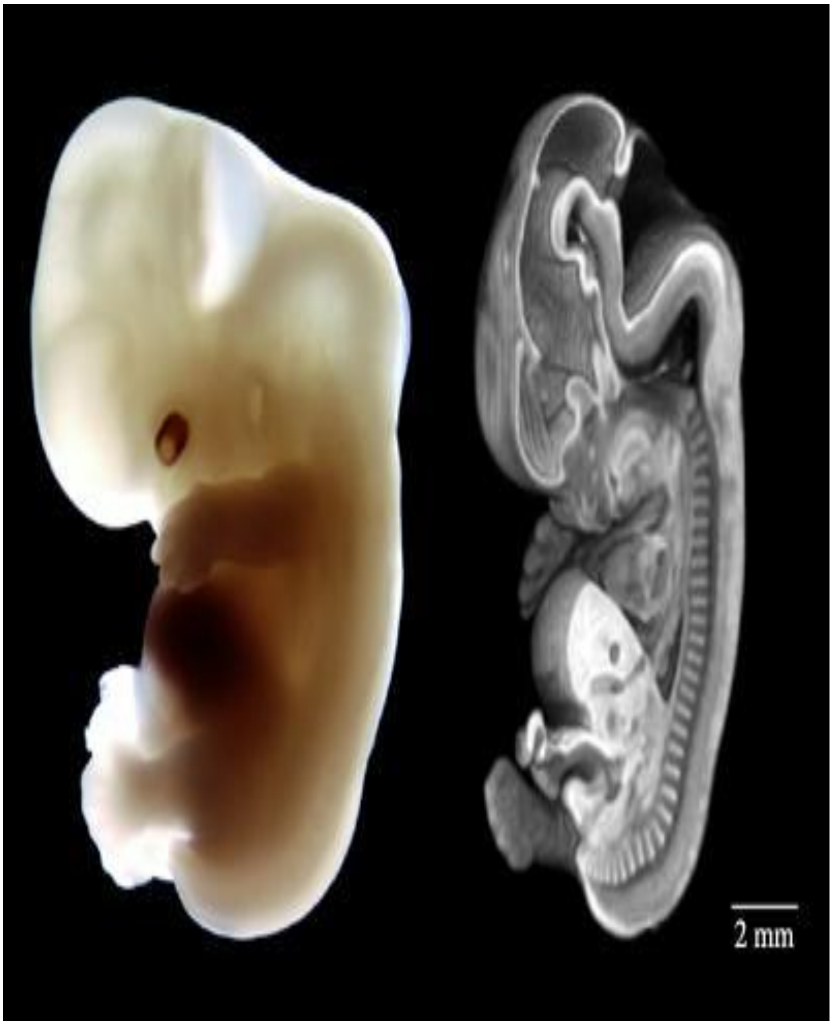
كالنسيج الضام وفيها بداءات العظام التي تكون بشكل خلايا منشئة بدئية مع بنى غضروفية لا تستطيع أن تحمل الجسد وتصلب عوده.

وبالمقابل نجد ان العلق لا يتكون جسمها إلا من نسيج ضام وعضلي قليلاً مع اختلاطه بدورة الدم طبعاً الذي يؤمن تغذيته مع بنية داعمة لا تتشكل إلا من النسج الكيتينية التي لا تصل لقوة دعم العظم الكامل بل هي مشابهة نوعاً ما للغضاريف في الجنين في هذه الفترة فتأمل هذا المعنى وكم فيه لطف رباني في تقريب البنية التشريحية الحقيقية للجنين إلينا فسبحان الله الخلاق العليم.

في الشكل نجد في الايمن مقطع في دودة العلق لنلاحظ البنى التي فيها ليس فيه إلا نسيج ضام أما في أسفل القسم الأيسر نجد التعلق في اليوم ٣٢ تقريبا وهو يتجه نحو التكامل



في الشكل التالي جنين بعمر حوالي ٥٠ يوم في مرحلة العلقة لنلاحظ البنية من نسيج ضام بحت ليس فيه شيء داعم فعلياً



وهنا أوضح شيئا قد يأخذه بعض المضللين ويعتبره مأخذاً علينا لا سمح الله وهو هذا التشبيه الذي أوردناه فكيف يشبهنا عز وجل بالعلقة التي هي دودة وهو يقول: **((ولقد كرمنا بني آدم))**[١]

وهنا أقول إن الأمر ليس إلا تقريب للوضع الذي يكون عليه الجنين ليستفيد العلماء الراسخون في العلم وليدرسوا هذا الأمر لعلهم يستفيدوا من

[١] سورة الإسراء آية ٧٠

هذه الإشارة في التوصل لحقائق لطيفة كما أوردنا ثم إن العلم التجريبي قائم على هذا المبدأ وهو التشابه بين الأحياء الذي قد يفيد في دراسة وضع كل منها وخصائصه فأساتذتنا في جامعة دمشق جعلونا ندرس جنين الدجاج والفئران وتحدثوا لنا عنها بالتفصيل ورأيناه تحت المجهر فهل الانسان كالدجاج بالواقع هذا من باب التقريب العلمي للذهن وهو مما استفدنا منه كثيراً في فهم موضوع الأجنة وكيفية تطورها التدريجي وهو من باب العلم التجريبي الذي يحضنا عليه الباري عز وجل لنستفيد من غيرنا من الأحياء في العلوم التجريبية ومنها علم الأجنة فطبعاً من غير المقبول أن نطور أجنة بشرية ونقول بتحويلها لحقل تجارب بل هو من المحرمات شرعياً وأخلاقياً ومن كل الجوانب لذا كان لا بد من رؤية أقربها إلينا شبها في تطوره أقصد أجنة الأحياء الأخرى ثم المجيء لدراسته ورؤية ما يسقط من أجنة البشر للاستفادة في مقارنتها والوصول لحقائق حولها ..إنني أرى في هذا الجانب من الامر دعوة للعلم التجريبي القائم على المشاهدة الحسية التجريبية للأمور مما يؤدي بنا إلى التوصل لحقائق فعلية محسوسة غير قائمة على التنظير فقط وهذا ما فهمه فعلياً الأطباء العرب في ذلك الوقت واستفادوا منه في تطوير العلوم التجريبية عموما رحمهم الله..

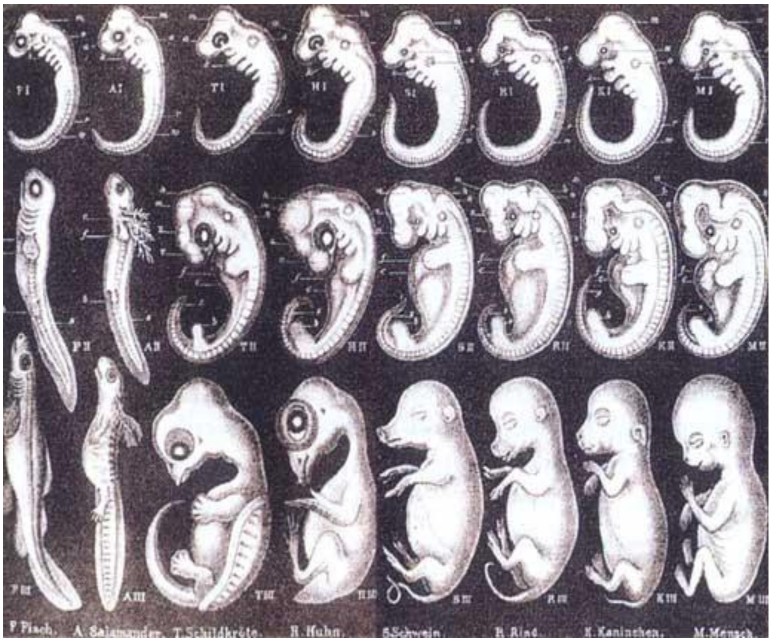
فصل: التشابه بين الجنين البشري وأجنة الفقاريات وتعديله عنها

ومن أروع الاعجازات التي أثبتها العلم الحديث ما يلي:

فمنذ الأسبوع الرابع وذلك تقريباً قرب نهاية فترة النطفة وطوال فترة العلقة وبتأمل شكل الجنين وتشكلات الأعضاء الداخلية له أنه مشابه لأي جنين من أجنة الفقاريات وكأنه ابن لأي منها ولا سيما (الاسماك والطيور والفئران والدجاج) وغيرها حتى أننا لا نستطيع تحديده إلا بالفحص النسيجي او الوراثي.

لاحظ الشكل التالي لعدد من أجنة الفقاريات ومعها الجنين البشري لاحظ التشابه الكبير في السطر الأول نجد الجنين بعمر شهر لاحظ انه مثلها تماما تبدأ التسوية فنلاحظ بدأ يختلف عنها في الأسبوع السادس تقريبا وهو في السطر الثاني ثم بعد الأسبوع ١٢ أي بداية مرحلة المضغة أصبح بشري المظهر

تماماً ولا يشابهها إطلاقا وهو مرحلة العدل عنها كما في الايات (خلقك فسواك فعدلك)



يكون له ذيل وجهاز غلصمي وحتى أطرافه تكون كالمجاديف التي عند الأسماك وأطرافه مشابهة لها ولأطراف الزواحف ومنذ حوالي الأسبوع السادس إلى السابع أي بعد دخول الجنين مرحلة العلقة نجد أنه يبدأ يفقد هذه الصفات المشابهة لتلك الأحياء الأخرى ففي اليوم ٥٢ إلى ٥٧ يزول الذيل وبعد نهاية الأسبوع التاسع تكون البنى الغلصمية قد تحولت إلى بداءات الاعضاء الفموية والبلعومية والصدرية وهي من الامور التي ستتخلق بها العلقة ليتسوى خلقها وتصبح جاهزة لأن تسمى مضغة بصفات محددة لهذه المرحلة الجديدة التي ستتحول إليها فتصبح مخلقة وغير مخلقة ولهذا بحث مفصل في أول باب المضغة سنسميه تحولات العلقة إلى مضغة وهو ما ذكره عز وجل في قوله: **((ثم كان علقة فخلق فسوى))**[١] أي أنه في بداية مرحلة العلقة وهي الأربعين الثانية يحدث التخلق البدئي للاعضاء وهو ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام بقوله في

[١] سورة القيامة آية ٣٨

الحديث: **((بعث الله إليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها ، وبصرها ، وجلدها))**[1] وهنا أود التنويه لتساؤل قد يطرح وهو كيف يخلق لها عظمها في مرحلة العلقة وهو يقول في القرآن الكريم **((فخلقنا المضغة عظاماً))**[2] ولهذا جواب شاف إن شاء الله في البحث القادم عن تحقيق فترة الاربعينيات في مراحل خلق الاجنة ولعل ملخصه أن ما يحدث هنا هو تقريري أو كما قال ابن القيم هو تصوير غير مرئي خفي وهو محقق فعلياً وطبياً في التخلق كما سنرى في البحث المذكور لاحقاً..

وهنا سأورد **ملخصاً بسيطاً لأنواع البنى الغلصمية التي هي على شكل أقواس كل منها تتحول لتشكل بنية محددة لها** لنتأمل الجدول التالي:

الأقواس الغلصمية بحسب رقمها	العضلات المتشكلة منها	العظام والغضاريف المتشكلة منها	العضو الكامل التالي لتطورها
القوس الأولى	العضلات الماضغة –عضلات العنق- عضلات الفم والحنك	غضاريف مختلفة –عظمي المطرقة والسندان	الأذن الوسطى –جزء من الوجه
القوس الثانية	عضلات الركاب في الاذن –عضلات الفم وتتماتها	غضروف العظم اللامي	الأذن الوسطى والفم
القوس الثالثة	عضلة ابرية بلعومية (البلعوم)	غضروف الركاب – الناتئ الابري للعظم الصدغي	العظم الصدغي –الأذن الوسطى
القوس (٤-٥-٦)	عضلات الحنك	غضاريف البلعوم والحنجرة	الوجه –البلعوم -الحنجرة

[1] صحيح الإمام مسلم

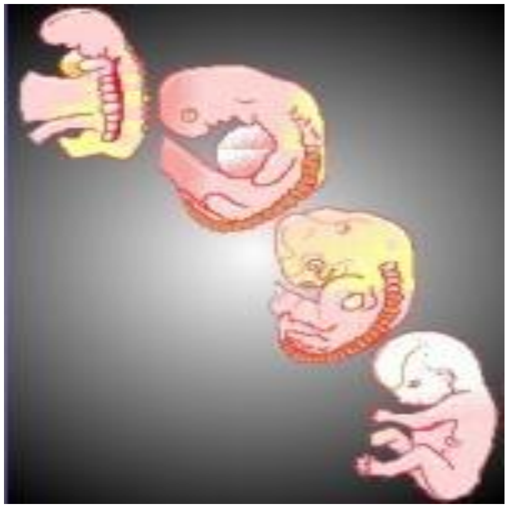
[2] سورة المؤمنون آية ١٤

وبشكل عام اللوزات وجوف الطبل والأعصاب المختلفة لمنطقة (التيموس –الدرق –وجارات الدرق.الخ كلها تتشكل من الأقواس الأخيرة وهذا ما ثبت علمياً الان.

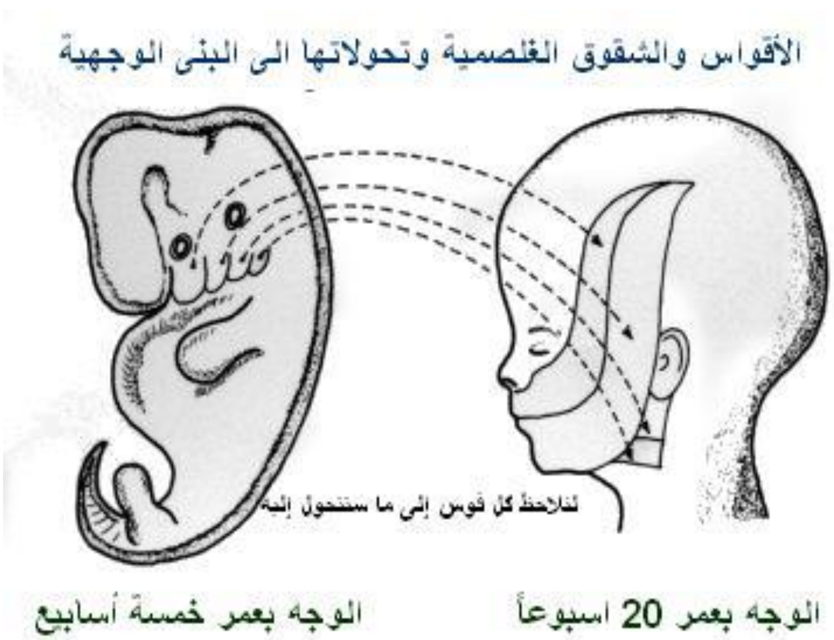
ثم نجد هذه البنى كلها تبدأ بتحولاتها المذكورة بالتحول نحو المنحى البشري الظاهري وتبدأ الأعضاء التناسلية بالتمايز نحو الشكل الظاهري لها بعد التحديد البدئي في مستواها الأول من قبل النطفة ولا تتوضح بشكل جلي إلا في نهاية الأسبوع الثاني عشر أي قرابة اليوم ٨٠ وهو نهاية فترة العلقة وبداية مرحلة المضغة وهذا تصديقاً لحديث النبي عليه الصلاة والسلام نفسه الذي فيه يقول الملك **((يا رب أذكر ام أنثى))** ولهذا باب أوسع للشرح عند حديثنا عن تشكل جنس الجنين ومستوياته..كل هذا ليأخذ الجنين أخيراً شكلاً مسوًّى واضح على أنه جنين بشري بأعضائه ومظهره ولنرى الشكل التالي الذي سيوضح ذلك :

لاحظ الأقواس الغلصمية وكيفية تطورها نحو أعضاء الوجه لتصبح واضحة المعالم قرابة اليوم ستين في حوالي منتصف مرحلة العلقة حيث يتم تحولها تدريجيا لأخذ شكل الجنين البشري المتميز ولنلاحظ الاختلاف في مظهر الوجه تدريجيا لنتأمل هذا:

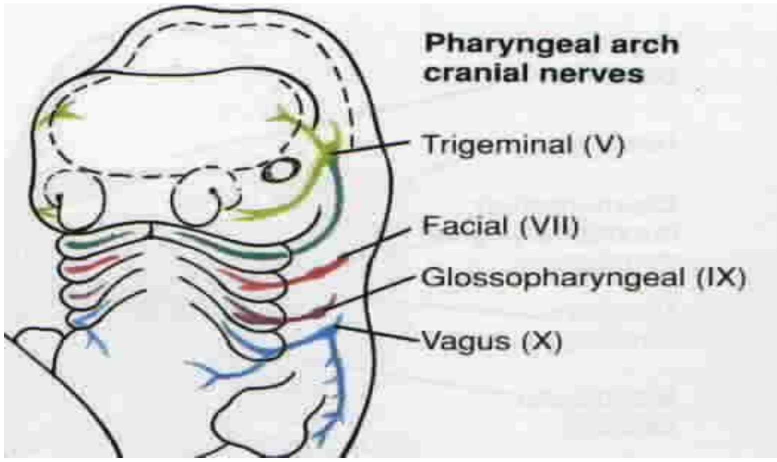




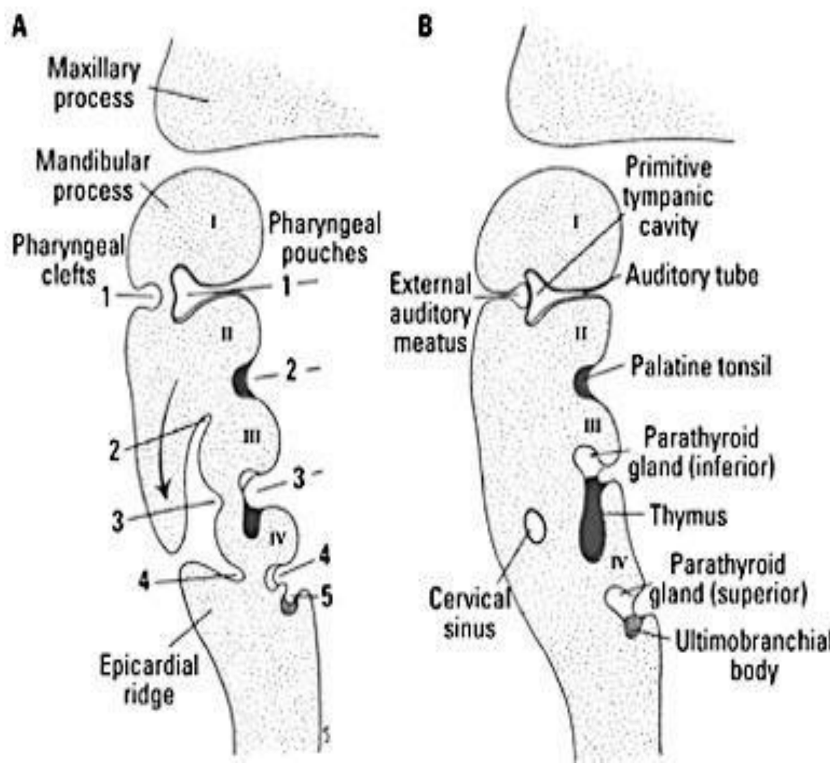
الشكل لتالي يوضح كيفية اختفاء الأقواس الغلصمية وأنها تحولت لبنى عضلية وجهية لاحظ الفرق بين الأسبوع الخامس على اليسار الذي نرى الذيل لا يزال فيه وكذلك الغلاصم ثم انظر إلى وجه الجنين على اليمين في عمر الأسبوع عشرين:



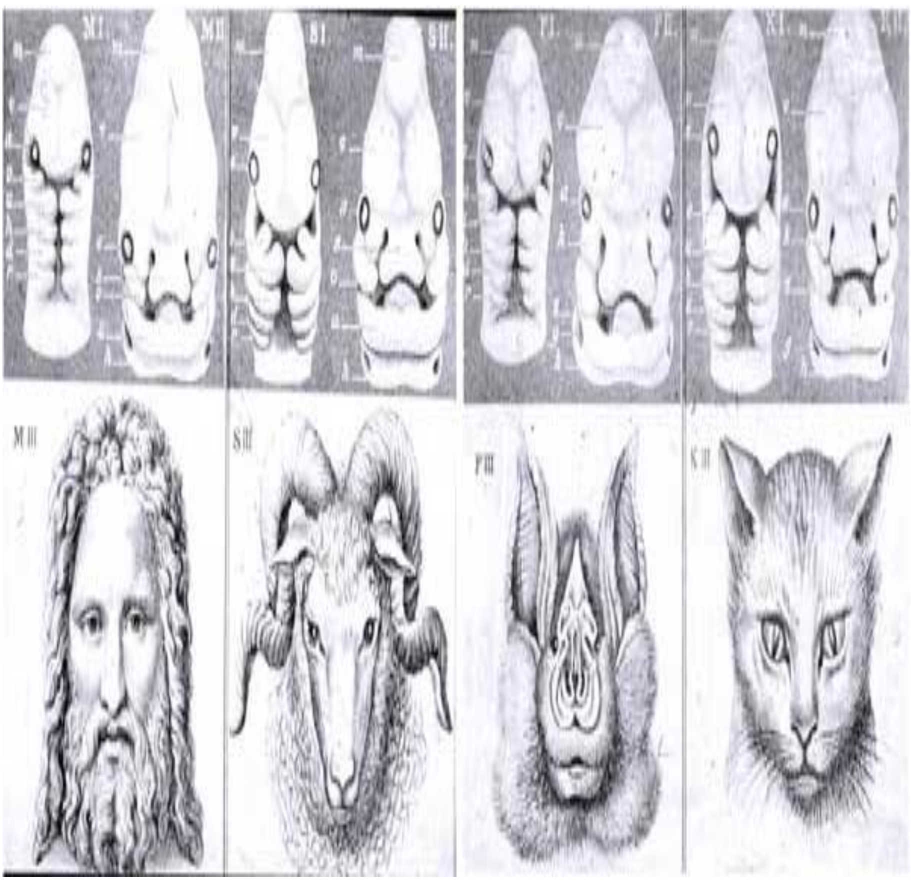
في الشكل التالي نرى التوزيع العصبي للأعصاب التي ستمتد على هذه الاقواس الغلصمية وهي نفسها ستمتد على العضلات والبنى الناشئة منها :



أما في الشكل التالي فنجد في هذا المقطع كيفية نشوء اللوزات من القوس الثانية الغدد جارات الدرق من الثالثة والرابعة وكذلك الشق السمعي بين القوس الاولى والثانية ..الخ:



الشكل التالي يوضح مدى تشابه الاجنة الفقارية الأخرى مع جنين الإنسان في الفترة الاولى لاحظ هناك شكلين لكل فقاري عمر الأول على اليمين قرابة ٢٤ يوم نجد انها كأنها من نفس الفقاري ومع ذلك لا يزال التشابه قائما في الشكل الثاني الذي هو قرابة الشهر الثاني لنتأمل:



الشكل التالي في الأعلى جنين بشري عمره قرابة بضع وأربعين يوماً العين مرسومة رسما وفتحتي الأنف لكن الأقواس الغلصمية لا تزال موجودة لم تكتمل تشكلاتها بعد لباقي البنى لاحظ أنه كمنظر سمكة أو كائن لا علاقة له بالبشر ثم تأمل الشكل أسفله الجنين هنا بعمر أربعة أشهر لقد تم تصويره تمام التصوير أنه وجه انسان تأمل هذا و سأترك تقرير الأمر لك عزيزي القارئ لذا سبح الله عزوجل وصلي على النبي عليه الصلاة والسلام:





هذا من الأمور المذهلة والتي نحتج بها على أصحاب نظرية التطور ففعلياً هذا التشكل المتشابه بين الأجنة يعلن أن الخالق واحد وأن الأمر بيده يصور هذه الأجنة كيف يشاء وهو وحده من قدر هذا الأمر بعلمه وبتقريره وتنفيذه البديع لهذا الخلق فتأمل الأمروصلي على النبي المختار صلى الله عليه وسلم.

والآن وبعد كل هذا الشرح المستفيض إليكم المفاجئة التي أزفها لكم إن في كلامنا هذا وجه إعجازي رائع تكلم عنه ربنا عز وجل وذكره بدقة بالغة في مواضع من القرآن الكريم كانت من أروع الإعجازات التي يمكن أن نقرأ عنها في كتاب ربنا عز وجل ولنتبين هذا دعونا نتأمل في الآية الكريمة التالية قال تعالى في سورة الأعلى : **((الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى))**[1]وكما جاء في تفسير العلماء لها أن الخلق هنا يشمل كل ما أوجده ربنا أي أن الله تعالى أوجد بداءات الخلائق بأشكال بدائية غير متمايزة ثم سواها لتأخذ شكلها الذي أراده لها بما يميزها عن غيرها وبالتالي تقوم بوظيفتها المطلوبة منها حسب دورها في هذا الكون ويتمم هذا قوله عز وجل عندما سأل فرعون سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عن ربه فقال معرفا به تعريفاً موجزاً ولكنه دقيق جداً وفيه معانٍ بديعة :

((قال فمن ربكما يا موسى* قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))[2]

وهي أيضاً مما يدل على الخلق العام ثم الهُدَى الذي أراده ربنا لكل مخلوق وكما جاء في تفسير ابن كثير أن الله خلق كل شيء ثم سواه أي صوره ولذلك عندما تحدث عن خلقنا نحن قال عز وجل: **((ولقد خلقناكم ثم صورناكم))**[3]

أي أنه أوجدنا من العدم أولاً كخلق أولي ثم سوى خلقه هذا ليصورنا كيف يشاء أي يخطط لكل منا الصورة التي سيكون بها وإتمام الأمر والذي فيه **الوجه الإعجازي الكبير قوله تعالى مخاطباً الانسان بالتخصيص المباشر له :**

((يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك*))[1]

أي أنه خلق الانسان كمراحل خلق الأحياء الأخرى من خلق وتسوية وهذا جلي ولكن

---

[1] سورة الأعلى آية ٣

[2] سورة طه آيات ٤٩-٥٠.

[3] سورة الأعراف آية ١١

قوله (**فعدلك**) أي جعل في خلقك تعديلاً لك عنهم مما أدى لتصويرك بصورتك التي كرمك ربك بها ولذا تمم كلامه بقوله: ((**في أي صورة ما شاء ركبك**)) **سورة** الإنفطار آية (٨)

وهذه التتمة هي الدليل الأساسي على أن هذه الآية تتكلم عن خلق جنين الإنسان بالذات وتخص علم الأجنة أي أن جنين البشر كان خلقه مثل غيره من أجنة الكائنات الأخرى ثم بدأت تسويته كذلك ولكن الله قام بعدله مما سبب أخذه لشكله الخاص الذي كرمه الله به وهذا في قوله: ((**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم**))[٢] أي في أحسن هيئة وصورة ولو لم يتم عدل الانسان عن هذه البنى التي انتابت تشكله كما وضحنا من غلاصم وذيل وشكل عام مشابه لغيره لكان من الممكن ان يأخذ أي صورة غير بشرية من تلك الأنواع الأخرى وهذا كله يبدأ في مرحلة العلقة كما أوضح ربنا بقوله ((**ثم كان علقة فخلق فسوى**))[٣] أي الخلق والتسوية تكون فيها ثم يحصل تعديله ليأخذ شكله البشري الذي يمتد تدريجياً حتى مرحلة المضغة أكثره في بدايتها وبعضه حتى نهايتها والله أعلم..

فصل: خلق جنس الجنين ومستوياته:

قال تعالى: ((**والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير**))[٤]

وقال أيضاً: ((**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تُمنى**))[٥]

وقال ايضاً : ((**ثم كان علقة فخلق فسوى *فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**))[٦]

---

[١] سورة الانفطار آيات ٦-٧-٨

[٢] سورة التين آية ٤

[٣] سورة القيامة آية ٣٨

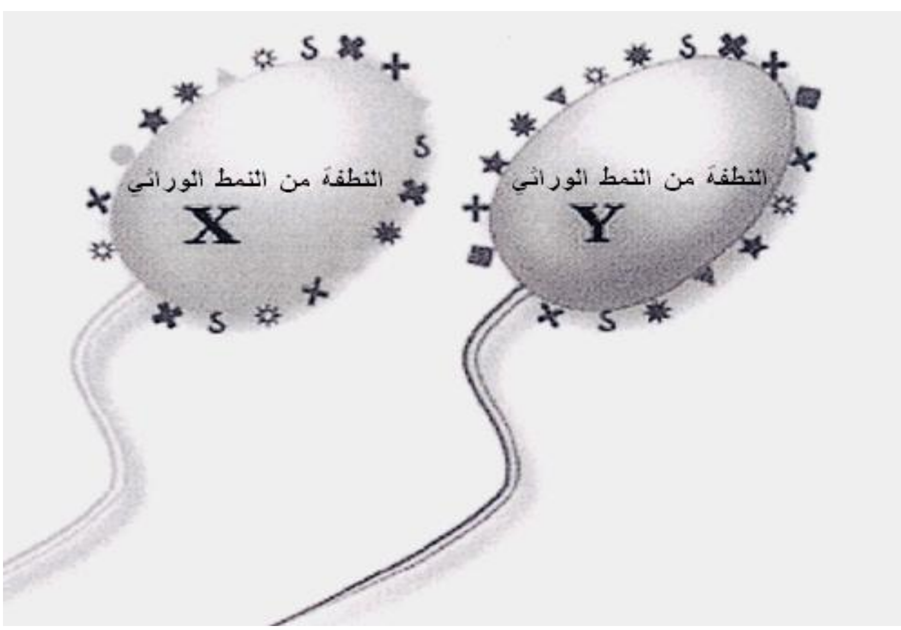
[٤] سورة فاطر آية ١١

[٥] سورة النجم آية ٤٥

[٦] سورة القيامة آيات ٣٨-٣٩

فالله تعالى خلقنا من طين وهو كما أوضحنا في باب الخلق من التراب يعود بذلك إلى خلق آدم عليه الصلاة والسلام ثم أصبحنا سلالة منه بشكل ماء متوارث مع تغير الصفات الوراثية والظاهرية فيه من جيل لآخر هذا الماء الذي يتشكل بتجميع أجزائه من الغذاء أي سلالات الطين وكله مما فصلنا به مسبقاً وهذا هو سياق السرد الذي جاءت به الآيات عموماً أما في تفسير الآية الأولى فنجد أن الله تعالى أخبرنا بأنه جعلنا أزواجاً من النطفة أي أنه خلق الجنسين الذكر أو الأنثى من النطفة وهذا في الآية الثانية ولو نظرنا على أن اللفظ القرآني دوماً يصر على أن الخلق الأولي للأزواج أي الذكر او الأنثى يكون من النطفة أي أنها تتحدد بها ويكون أول تحديد لها في هذه المرحلة وأن هذا فيه إعجاز علمي دقيق عبر عنه علماء الأجنة بالمستوي الأول لتحديد الجنس وهو فترة أولاً من نطفة الرجل على اعتبار أنها نوعان منها Y وأخرى X وهي التي تسبب تحديد أولي للجنس في الجنين وهذا من المثبتات علمياً.

الشكل التالي يوضح نوعي النطف الذكرية



حيث أنه من اللحظة الأولى لتشكل البيضة الملقحة أو النطفة الأمشاج يحصل هذا التحديد وبحسب نوع النطفة التي كما أسلفنا لها نوعان أما البيضة الأموية فنوع واحد X فقط ثم يبدأ التقدير بحسب نوع النطفة الأمشاج إما xxأو xy وهو التسجيل الأول في هذا المستوي لما سيكون ولذا كان هذا في فترة النطفة أولياً أي في بداية الأربعين الأولى وكأنها شيفرة وراثية تتوضع لتترجم بعدئذ للجنس المطلوب ولنلاحظ اللفظة ودقتها فربنا عز وجل يقول **((وأنه خلق الزوجين))** وهنا كعادة اللفظ القرآني في التمييز بين الخلق والتصوير نجد أنه قال ((خلق)) أي أوجد بداءة الأمر كما شرحنا في عدة مواضع عن هذه اللفظة فكانت بداءة خلق الجنس تقرر في بداية هذه المرحلة وهو لا يزال تطور خفي لا يمكن كشفه إلا بواسطة تحاليل المواد الوراثية الدقيقة أي إنها غير ظاهرة ومن هنا أبدع **ابن القيم** في اعتباره هذا حين يقول أن التطور مرحلتين مرحلة خفية وأخرى ظاهرة تظهر للعين بعد فترة **وإليكم نص كلامه في كتابه التبيان في أقسام القرآن صفحة ٢١٦الى ٢١٨ :**

((فإن قيل قد ذكرتم أن تعلق الروح بالجنين إنما يكون بعد الأربعين الثالثة وإن خلق الجنين يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك وبينتم أن كلام الأطباء لا يناقض ما أخبر به الوحي من ذلك فما تصنعون بحديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي قال يدخل الملك في النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيكتبان فيقول أي رب ذكر أو أنثى فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم يطوي الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص **قيل نتلقاه بالقبول والتصديق وترك التحريف ولا ينافي ما ذكرناه إذ غاية ما فيه أن التقدير وقع بعد الأربعين الأولى وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثة** وكلاهما حق قاله الصادق وهذا تقدير بعد تقدير فالأول تقدير عند انتقال النطفة إلى أول أطوار التخليق)) وهنا يقصد رحمه الله بكلامه اول مرحلة التخلق التي هي العلقة كما أسلفنا لاحظ انه يقول تقدير أولي في نهاية الأربعين الأولى ثم تقدير ثان تنفيذي في نهاية الأربعين الثالثة أي يحصل فيه إتمام للتقدير الأولي الذي..

((**فالأول تقدير عند انتقال النطفة إلى أول أطوار التخليق التي هي أول مراتب الإنسان وأما قبل ذلك فلم يتعلق بها التخليق والتقدير الثاني عند كمال خلقه ونفخ الروح فذلك تقدير عند أول خلقه وتصويره وهذا تقدير عقد تمام خلقه وتصويره**)) [1]

لاحظ أنه رحمه الله يقرر المبدأ العلمي الذي ثبت فعلياً لدينا في علم الأجنة وهو مرحلة بداءات تكون الأعضاء التي تبدأ في الأسبوع السادس كما أسلفنا ويعتبر هذا بداية تقديرية للتصوير أي تصوير خفي وما بعد الأربعين الثالثة تصوير انتهائي ظاهر يتمم ما سبق بدؤه قبل بث الروح فيه ويتابع بقوله :

((وهذا أحسن من جواب من قال أن المراد بهذه الأربعين التي في حديث حذيفة الأربعين الثالثة وهذا بعيد جدا من لفظ الحديث ولفظه يأباه كل الإباء فتأمله)) ثم يتابع في نفس البحث في الكتاب ذاته:

((وقد ظن طائفة أن التصوير في حديث حذيفة إنما هو بعد الأربعين الثالثة قالوا وأكثر ما فيه التعقيب بالفاء وتعقيب كل شيء بحسبه وقد قال تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة بل قد قال تعالى فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وهذا تعقيب بحسب ما يصلح له المحل **ولا يلزم أن يكون الثاني عقيب الأول** تعقيب اتصال وظنت طائفة أخرى أن التصوير والتخليق في حديث حذيفة في التقدير والعلم والذي في حديث ابن مسعود في الوجود الخارجي **والصواب يدل على أن الحد ما دل عليه الحديث من أن ذلك في الأربعين الثانية ولكن هنا تصويران أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة في مادة لا سيما مثل هذه الصورة ينشىء فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئا بعد شيء لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة فهنا أربع مراتب :**

---

[1] التبيان في أقسام القرآن صفحة ٢١٦الى ٢١٨

أحدها تصوير وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج

الثانية مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه

الثالثة تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد

الرابعة تمام التصوير الذي ليس بعد إلا نفخ الروح فالمرتبة الأولى علمية والثلاث الأخر خارجية عينية وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير)) انتهى كلامه رحمه الله[١].

لاحظ دقة شرح ابن القيم ومدى تطابقه مع العلم الحديث الذي فعلياً اعترف بهذين التصويرين الخفي والظاهر فعند بدأ تشكل المناسل تكون مخفية غير واضحة المعالم عيانياً وهي مع ذلك تكون موجودة وتنمو وتتطوروهذا يبدأ منذ الأسبوع الخامس ولا تظهر فعليا قبل الأسبوع الثاني عشر أي قرابة اليوم ٨٠ وهي مرحلة الظهور الذي تحققه في نهاية مرحلة العلقة ولذا لنتأمل الآيات من جديد

((ثم كان علقة فخلق فسوى)) بداية التخلق أول مرحلة العلقة لكل الاجهزة ثم عند تحدثه عزوجل عن المستوى الذي سيبدأ بالتطور وهو أول مرحلة العلقة حيث تبدأ بداءات الجهاز التناسلي بالتطور نجده يقول: **((فجعل منه الزوجين الذكر والانثى))** ولننتبه لقوله **((فجعل))** وهي هنا ككلمة تفيد معنى إضافة التصوير على الخلق الحاصل مقدماً في فترة النطفة وكأنه يقول إن ما خلقناه أي أوجدنا بداءته في فترة النطفة تمايز لنجعله ظاهراً لكم في شكل واضح وهذا يحدث خلال مرحلة العلقة حتى يصل لنهايتها فيحقق الظهور العياني الحقيقي لها وهو ما أثبتناه علمياً في طب الأجنة وهو ما ورد في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: **((يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يارب ماذا؟ شقي ام سعيد. ذكر ام انثى؟ فيقول الله فيكتبان ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص))** رواه مسلم.

---

[١] التبيان في أقسام القرآن

وقد تحدثنا سلفاً عن أن بداءات الأعضاء تبدأ بالتشكل في أول مرحلة العلقة أو ماقبلها بقليل وهذا إذا حصل بأيام قليلة لا يضر لأنه اختلاف بحسب الاجنة وهذا أثبتناه علمياً وهو ما ورد في الحديث الاخر عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعين ليلة أرسل الله عليها ملكاً فصورها وخلق لها سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها وقال يا رب أذكر أم انثى اشقي أم سعيد)) الحديث.**

فلنتأمل ونصلي على الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ولقد ناقش العديد من علماء السلف هذا الأمر فالإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم ربط بين حديث مرور الملك على النطفة في نهاية الأربعين الأولى وحديث جمع الخلق الوارد عن الأربعينيات وكان رأيه يتلخص في كون الأول تقدير وكتابة والثاني تنفيذ انتهائي للتقدير الحاصل أولاً وهو مما يصب في نفس رأي ابن القيم.

يقول رحمه الله: ((**طَرِيق الْجَمْع بَيْن هَذِهِ الرِّوَايَات أَنَّ لِلْمَلَك مُلَازَمَة وَمُرَاعَاة لِحَالِ النُّطْفَة**، وَأَنَّهُ يَقُول: يَا رَبّ هَذِهِ عَلَقَة، هَذِهِ مُضْغَة ، فِي أَوْقَاتهَا . فَكُلّ وَقْت يَقُول فِيهِ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ بِأَمْرِ اللَّه تَعَالَى ، وَهُوَ أَعْلَم سُبْحَانه ، وَلِكَلَامِ الْمَلَك وَتَصَرُّفه أَوْقَات : أَحَدهَا حِين يَخْلُقهَا اللَّه تَعَالَى نُطْفَة ، ثُمَّ يَنْقُلهَا عَلَقَة ، وَهُوَ أَوَّل عِلْم الْمَلَك بِأَنَّهُ وَلَد ؛لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلّ نُطْفَة تَصِير وَلَدًا ، وَذَلِكَ عَقِب الْأَرْبَعِينَ الْأُولَى)).

لاحظ دقة كلامه أي إن التقدير لخلق النطفة أو الجنين لا يحصل إلا بعد الأربعين الأولى عند مجيء الملك إليها ،وهذا معنى كلامه عز وجل **((قتل الإنسان ما أكفره* من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره *ثم السبيل يسره))**[١]

وهذا التقدير فعلياً يكون في هذا الوقت من عمر النطفة كما ورد في الحديث ثم يتابع رحمه الله: ((وَحِينَئِذٍ يَكْتُب رِزْقه وَأَجَله وَعَمَله وَشَقَاوَته أَوْ سَعَادَته، ثُمَّ لِلْمَلَكِ فِيهِ تَصَرُّف آخَر فِي وَقْت آخَر، وَهُوَ تَصْوِيره وَخَلْق سَمْعه

---

[١] سورة عبس آيات ١٧-١٨-١٩

وَبَصَره وَجِلْده وَعَظْمه،وَكَوْنه ذَكَرًا أَمْ أُنْثَى، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُون فِي الْأَرْبَعِينَ الثَّالِثَة، وَهِيَ مُدَّة الْمُضْغَة، **وَقَبْل اِنْقِضَاء هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ، وَقَبْل نَفْخ الرُّوح فِيهِ؛ لِأَنَّ نَفْخ الرُّوح لَا يَكُون إِلَّا بَعْد تَمَام صُورَته.))**

سبحان الله والله إن هؤلاء العلماء لو أنهم في زماننا لوجب وضعهم على الرؤوس وتقديسهم من شدة ما كانوا أنقياء في فهم المعنى وقدرتهم على التوفيق البديع والمحكم بين الأدلة رحمهم الله وألحقنا بهم عنده في الفردوس الأعلى آمين.

وهذا الكلام كله يتفق مع الآية التي أوردناها منذ بدأ الكلام في هذا الباب يقول تعالى: ((وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ))[١]

والآن لنسرد كيفية التخلق حسب ما ثبت في علم الأجنة حيث أن جنس الجنين بالذات من بين الأعضاء التي تتداخل تشكلها منذ مرحلة النطفة كما أسلفنا بحسب نوعها ثم تبدأ بتكون بنية منذ الأسبوع الثالث هي عبارة عن خلايا أمهات ليس فيها أي تطور فعلي أي كما تسمى اليوم خلايا جذعية أي قابلة للتشكل بأي شكل خلوي متمايز وتتجمع هذه البنى في بنية اتفق علماء الاجنة على تسميتها بالكلية الوسطى لأنه سينشأ منها الجهاز البولي والتناسلي لاحقا لاحظ أنها متخلقة منذ مرحلة النطفة وهو قوله تعالى **((وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى))**[٢]وقد فصلنا في شرحها سابقا.

هذه الكلية الوسطى تبقى كما هي حتى نهاية الأسبوع الخامس أي بداية السادس أي نهاية مرحلة النطفة وبداية مرحلة العلقة حيث تبدأ بالتمايز وبشكل غير ظاهر نحو بداءت الأعضاء البولية والتناسلية وهو كله بشكل داخلي غير محسوس أبدا أي لا يمكن أن نعلمه وهو التصوير الخفي الذي تحدث عنه ابن القيم وهذا التطور يستمر حتى نهاية مرحلة العلقة أي قرابة اليوم ٨٠ حيث

---

(١) سورة فاطر آية ١١

٢ سورة النجم آية ٤٥

تُجعل بشكل ظاهري عندها **((فجعل منه الزوجين))**[1] بحيث تدخل مرحلة المضغة وهي من الممكن تمييزها عيانيا أي تصوير حسي ظاهر.ويتم هذا من ثلاثة أجزاء وهي:

-المناسل أي الغدد المسئولة عن إنتاج نطاف الرجل والمرأة وهي الخصى والمبايض.

-المسالك التناسلية التي يمر بها الماء الدافق الحاوي على النطاف.

-الأعضاء الظاهرة أو الخارجية وهي التي ستعلن لنا عن التنفيذ النهائي الظاهري الذي لا يتم إلا بتشكلها بشكل محسوس.

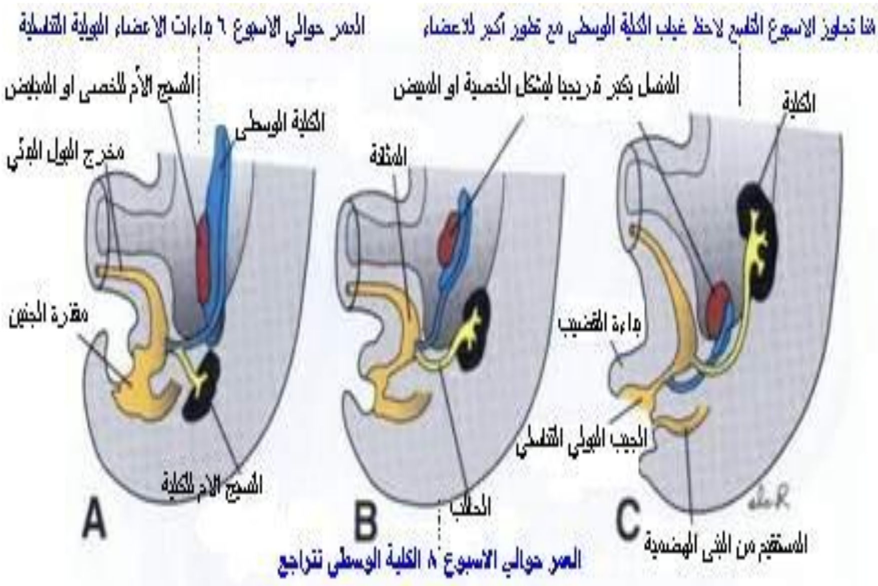
تبدأ المناسل بالتشكل منذ ظهور ما يسمى بالخلايا الأصلية المنشئة وهي مجموعة من الخلايا التي تتمايز منفردة لتشكل الخلايا الجنسية فقط أي متخصصة فقط نحو هذه الخلايا وتعطي الخلايا الامهات للنطاف الذكرية والانثوية وهذه تتشكل في الأسبوع الثالث متكاثرة بشكل خاص وتحافظ على نفسها على نفسها منذ هذه المرحلة وهي في مرحلة النطفة إلى نهاية التشكل التناسلي لاحظ أنها في مرحلة النطفة ومع ذلك مقر لها أنها إما نطاف ذكرية أو نطاف أنثوية ولذا هذا الخلق الأولي للجنس في مرحلة النطفة أي تشكل خلايا بدائية أمهات أي محددة النوع ذكرية أم أنثوية ولكن غير متمايزة وهو معنى الخلق لجنس الجنين في مرحلة النطفة ..

ثم تبدأ بالانتقال نحو النسيج البدئي للمنسل أي للجهاز التناسلي الحقيقي الذي سيتشكل من الكلية الوسطى آنفة الذكر وهذا لا يحدث قبل الأسبوع الخامس لنلاحظ أن الخلايا أمهات النطاف نشأت من خلايا جذعية خاصة لم تكن موجودة أصلاً في مكان الجهاز التناسلي ثم اتت إليه أي لا يوجد بعد في فترة تشكلها جهاز تناسلي جنسي للجنين وإنما تشكل خلوي فقط إلى أن يتشكل ما يعرف بالعرف البولي التناسلي من الكلية الوسطى قرابة نهاية الأسبوع الخامس.يوضحه الشكل التالي:

---

[1] سورة القيامة آية ٣٩

الشكل التالي لاحظ الكلية الوسطى باللون الازرق وهي نسيج أم للجهاز البولي التناسلي لاحقاً



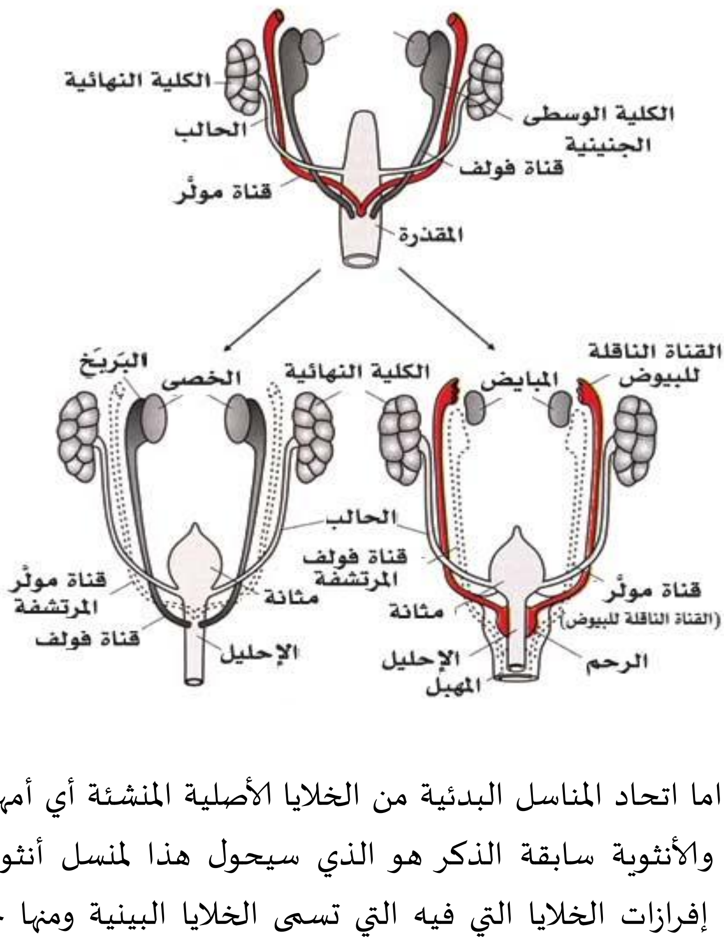
وهو تمايز لنسيج ضام ينشأ من الوريقة البينية للجنين أي الوريقة الوسطى يشكل فيما بعد الكلى ويبقى في وسطه نسيج متخصص يسمى العرف التناسلي تخصصه أنه سيشكل جنس الجنين أي الخصى والمبايض وتتمة الجهاز التناسلي وهو متوضع في منطقة الصلب أي عند الفقرات القطنية تقريباً ق١ ق٢ وهذا لا يبدأ قبل ما يقارب من نهاية مرحلة النطفة.

ثم يتتابع التمايز وهو طيلة هذه الفترة تشكل عام أي تهيئة فقط لما سيكون بحيث تتشكل بداءات فقط منسل بدئي ذكري (بداءة خصى) عند الجنين الذكرومنسل بدئي أنثوي (بداءة مبايض)عند الجنين الأنثى وتدريجياً يتجه نحو التمايز الحقيقي أي نحو التشكل الواضح على أنه خصى أو مبيض مثلاً بحسب أمور متعددة كالهرمونات التي تفرز من خلايا في المنسل البدئي تأتي من الخلايا المنشئة الاصلية أي الجذعية أيضا وهي في الذكر تسمى خلايا لايديغ التي تفرز هرمونات ذكرية تسمى الأندروجينات مسؤولة عن تمايز الجهاز التناسلي نحو الذكورة وعدم تواجدها أي تشكلها يسبب تمايز روتيني في الجنين نحو الشكل التناسلي الأنثوي وهو التمايز الطبيعي في حالة عدم وجود هذه الخلايا التي حتماً

ستتشكل عندما يكون الجنين ذكراً أما عدم تشكلها فيؤدي لمشكلة أن الجنين ذكر ولكنه ظاهريا أنثى ولله الحمد أنها حالات نادرة جداً عموماً..ثم يتشكل المنسل البدئي وله لب وقشر كما في الأشكال:

لاحظ في الشكل التالي تشكل بنية الكلية الوسطى وكيفية تشكل المناسل البدئية:

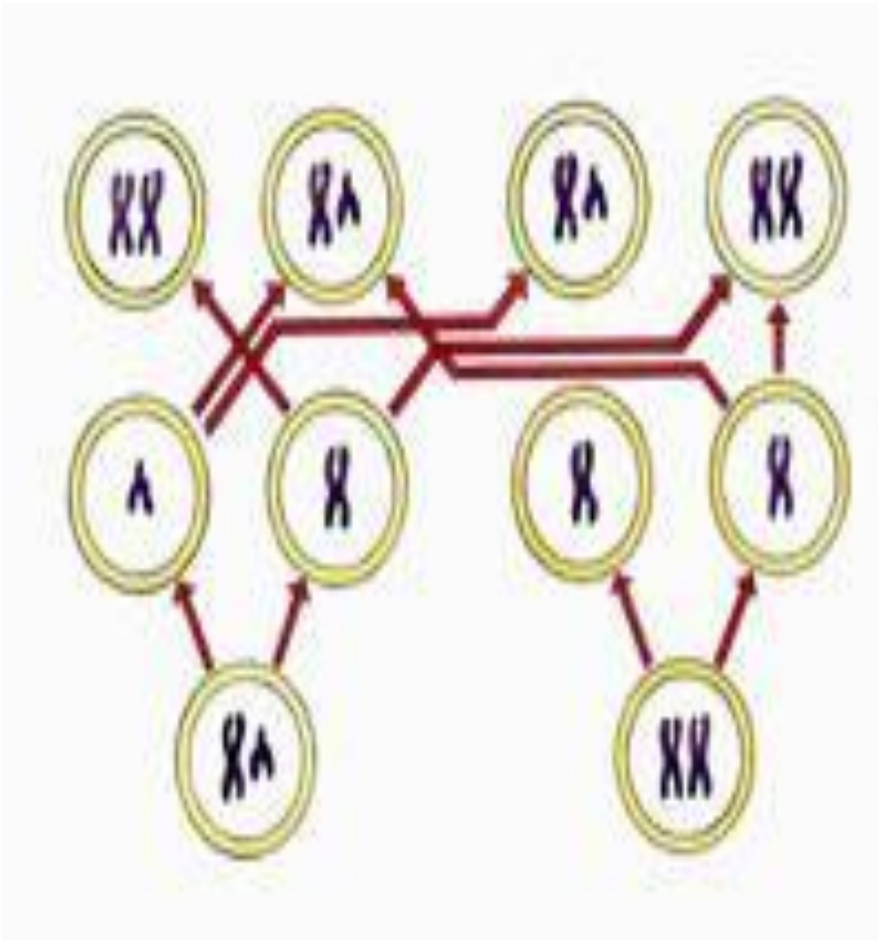
الشكل (٢) تطور المنسل والأقنية المنسلية في الثدييات يلاحظ وجود كل من قناة فولف وقناة مولّر في المنسل اللامتميز



اما اتحاد المناسل البدئية من الخلايا الأصلية المنشئة أي أمهات النطاف الذكرية والأنثوية سابقة الذكر هو الذي سيحول هذا لمنسل أنثوي او ذكري وبحسب إفرازات الخلايا التي فيه التي تسمى الخلايا البينية ومنها خلايا لايديغ التي ذكرناها هذه الإفرازات الهرمونية بالتعاون مع ينية المادة الوراثية داخل الخلايا والتي هي إما XYاو XXالأولى ذكر والثانية تعني تطور نحو الأنثى وهي

أساس التحكم في تشكل الجنس اللاحق يتلوه فوراً الهرمونات التي لها دور كيميائي فعلياً في التشكل.

في الشكل التالي لاحظ كيفية اقتران المادة الوراثية للنطفة مع البيضة وبحسب نوع النطفة سيكون جنس الجنين



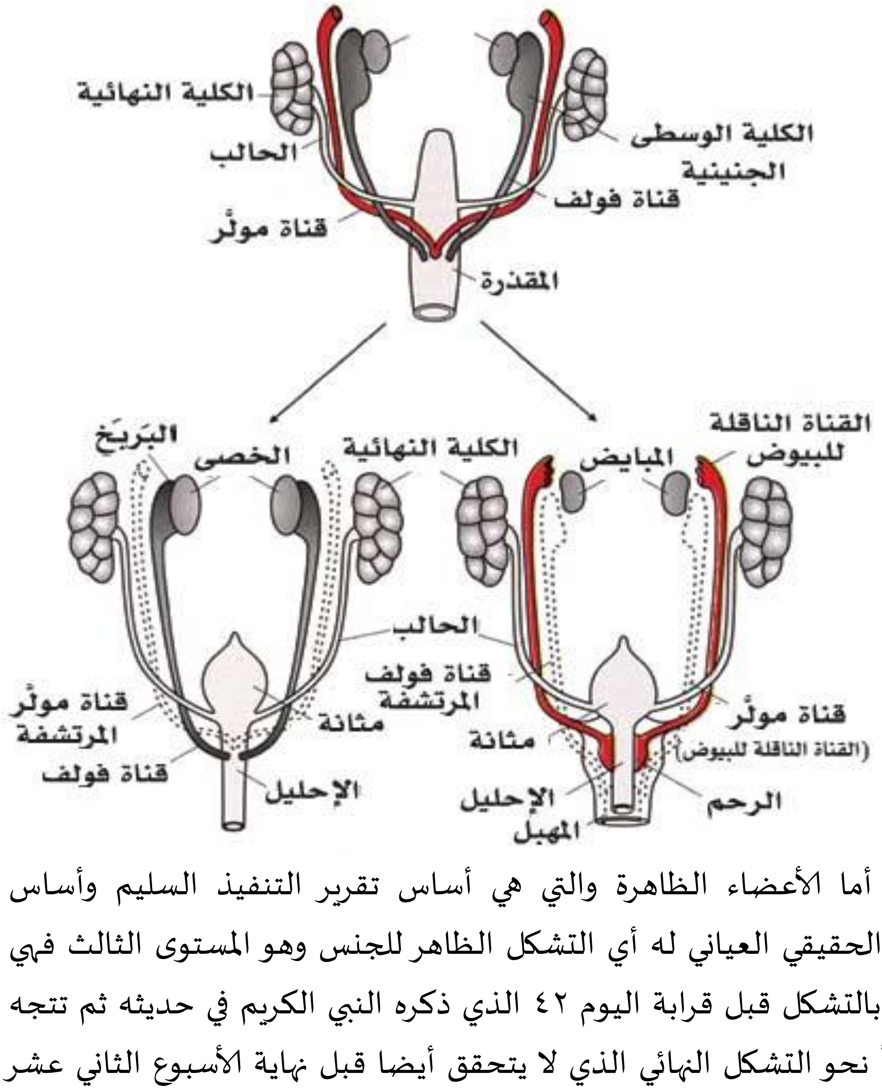
أما المسالك فهي تبدأ بنفس الفترة السابقة أي قرابة الأسبوع السادس وبشكل غير ظاهر وتتتابع بنفس الطريقة ونوضحها بالأشكال التالية.

لاحظ في الشكل التالي هو نفس السابق ولكن لتركز على تشكل المسالك من حوالب وأقنية ناقلة للنطاف والبيوض

تطور المنسل والأقنية المنسلية في الثدييات

الشكل (٢)

يلاحظ وجود كل من قناة فولف وقناة مولًر في المنسل اللامتميز



أما الأعضاء الظاهرة والتي هي أساس تقرير التنفيذ السليم وأساس التمييز الحقيقي العياني له أي التشكل الظاهر للجنس وهو المستوى الثالث فهي لا تبدأ بالتشكل قبل قرابة اليوم ٤٢ الذي ذكره النبي الكريم في حديثه ثم تتجه تدريجياً نحو التشكل النهائي الذي لا يتحقق أيضا قبل نهاية الأسبوع الثاني عشر أي اليوم ٨٢ تقريباً وهو نهاية مرحلة العلقة أي تصبح ظاهرة فعلياً في هذا الوقت أي يمكن تمييزها عيانياً بالتدقيق عليها أي بجهاز تصوير بالأمواج ما فوق الصوتية مع عين خبيرة ويصبح التمييز واضحاً بشكل صريح أي أسهل تمييزاً بعد

الأسبوع ١٦ أي بعد شهر من هذا وهو نهاية فترة المضغة تقريبا وعندها يمكن تمييزه بسهوله أكثر..

وهنا أود أن أقول: إن الخلايا الأصلية المنشئة هي المسئولة فعلياً عن مسار هذا التشكل لجنس الجنين وهي الرسالة الوراثية الفعلية التي انتقلت من النطفتين الأبوية والأموية والتي حملتها بعدئذ الخلايا التي تنشأ من جدار الكيس الحي وهو بنية خاصة توضحها الأشكال ينشأ بعد الالتواءات الجنينية التي تحقق دخول الجنين في مرحلة العلقة وهذه الخلايا تنشأ من جدار هذا الكيس من خلية أُم في الأسبوع الثالث أي كتخلق مبدأي في مرحلة النطفة ولكن لا تبدأ بالتمايز قبل نهاية هذه المرحلة وبداية مرحلة العلقة كما أسلفنا ولا تنتهي بالتشكل الظاهر قبل الأسبوع ١٢ وقد أوضحنا سابقاً أن ذكر النبي الكريم للأرقام في هذا الصدد هو ذكر تقريبي أي ضمن معدل هذه الأرقام وقلنا أن اختلاف هذه الأرقام في حديث وزيادتها في آخر نردها إلى اختلاف تشكل الأجنة وهذا إعجاز آخر في كلامه صلى الله عليه وسلم..

<u>فصل هام جداً:</u> تحديد الجنس وراثياً:

عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب وأول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد حوت . وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع إليه الولد وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزع اليها))**[١].

إن موضوع الشاهد هو آخر الكلام في الحديث فماذا قصد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بالشبه؟ وما قصده بالسبق بين المائين؟

وفي الحديث الآخر في صحيح مسلم **((عن عائشة أن المرأة قالت لرسول الله: هل تغتسل المرأة إذا حملت فأبصرت الماء.فقال: نعم. فقالت لها عائشة: تربت يداك. فقال رسول الله: دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا**

---

[١] صحيح البخاري ٣٩٣٨

ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه))[1] وهنا لنتساءل ماذا قصد النبي الكريم بقوله علا وأن الشبه يأتي بحسب علو الماء؟

وثبت في الصحيحين **((عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أم سليم سألت النبي عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل فقال: إذا رأت المرأة ذلك فلتغتسل فقالت أم سليم واستحيت من ذلك وهل يكون هذا، فقال النبي: نعم فمن أين يكون الشبه ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون منه الشبه.))**[2]

وفي صحيح مسلم عن ثوبان قال كنت قائما عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني فقلت ألا تقول يا رسول الله. فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله: اسمي محمد الذي سماني به أهلي فقال اليهودي: جئت أسألك .فقال رسول الله :أينفعك شيئاً إن حدثتك، فقال أسمع بأذني فنكت رسول الله بعود معه فقال :سل، فقال اليهودي:أين يكون الناس حين تبدل الأرض غير الأرض والسماوات .فقال رسول الله: هم في الظلمة دون الجسر .فقال :فمن أول الناس إجازة يوم القيامة، قال: فقراء المهاجرين. قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال: زيادة كبد النون. قال فما غذاؤهم على إثرها قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه .قال :عينا فيها تسمى سلسبيلا. قال: صدقت قال :أردت أن أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: ينفعك إن حدثتك ،قال: أسمع بأذني،**قال:جئت أسألك عن الولد. قال: *ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر* فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى. فقال اليهودي: لقد صدقت وإنك**

---

[1] صحيح مسلم ٣١٤

[2] صحيح مسلم

لنبي ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله: لقد سألني عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به.))[1]

وهنا أقول بعد تأمل كبير في هذه الأحاديث لنشرح معاني الإعجاز البديعة في قوله صلى الله عليه وسلم فأما قوله في الحديث الأول وبمقارنته بالحقائق العلمية الوراثية والجنينية نجد أن النبي الكريم في هذا الحديث يتكلم عن الشبه العام أي نقل تشابه الولد مع أحد أبويه بغض النظر عن الجنس واستخدم كلمة شبه الولد يكون لأحد الأبوين فإذا سبق ماءُ الرجل أشبهه وإذا سبق ماءُ المرأة أشبهها بحسب كلامه ولكن الشبه فعلياً لا يكون إلا بنقل بعض الخصائص الوراثية من الأب والأم إلى الولد وبالتالي لا يمكن أن يأتي الولد ليشبه أحد أبويه إلا بمشابهة مورثاته لأحدهما أو على الأقل أنه أخذ من أحدهما هذه الصفة المورثية فسبب أنه خرج بنفس الصفة وهذا من المسلمات علمياً في علم الوراثة ولكن كيف نستنتج أن النبي الكريم أشار لهذه الصفة الوراثية؟

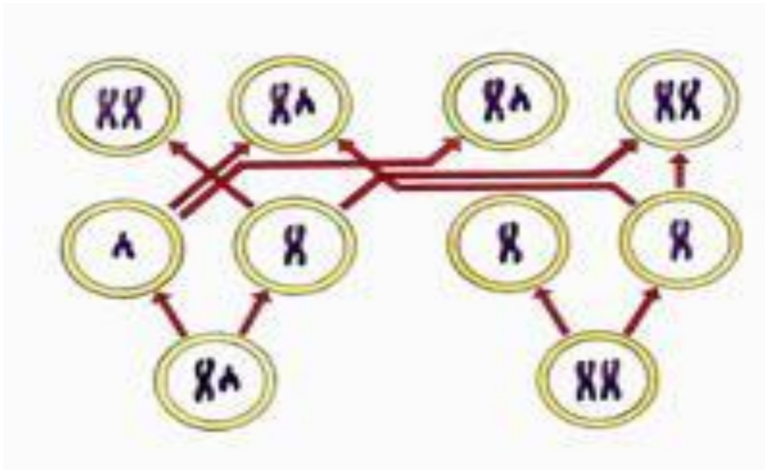
إننا نستنتج هذا من خلال مناقشة معنى سبق ماءُ الرجل ماء المرأة وبالعكس حيث نجد أنه من خلال قوله(سَبَق) وفي الحديث الآخر (عَلا) نجد أنه يتكلم عن سباق بين هذه الصفات وأن أيها سبق كان الشبه له أو نزع إليه الولد فيما نقله له من مَائِه طيب لنقول الكلام بشكل آخر ماذا ينقل الابوين للولد من مائيهما؟

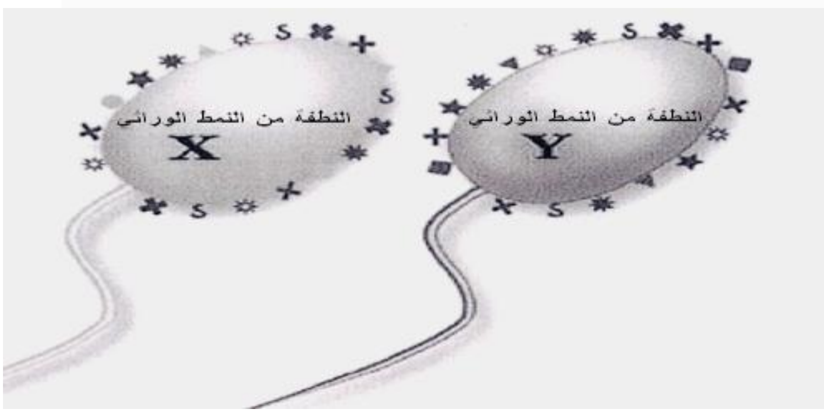
إنهما فعلياً لا ينقلان إلا الصفات الوراثية من خلال الإندماج بينهما وراثياً من خلال اندماج نواتي النطفتين الذكرية والانثوية أثناء التلقيح أو الجمع بينهما وهو ما سيكون شيفرة وراثية للولد من بعدهما ستحقق صفاته بشكل عام ومدى شبهه معهما من خلال ما سينتقل له من هذه المورثات.

---

[1] صحيح مسلم

في الشكل التالي لاحظ كيفية اقتران المادة الوراثية للنطفة مع البيضة وبحسب نوع النطفة سيكون جنس الجنين





لنعد للحديث نجد أنه أكد على أن هذا يحدث بعد اجتماع المائين من خلال قوله في الحديث الآخر الذي قدمناه: ((***ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر*** <u>**فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى**</u>))[١]

أي كل هذا بعد اجتماعهما وبيت القصيد هنا تكرر قوله عليه الصلاة والسلام: (علا)-----(سبق)

أما لفظة السبق ففعلياً نجد أنه **قبل الجمع لا معنى لهذا السبق** حيث أنه في العادة لا يوجد تسابق قبل الجمع بين الماءين أبداً حيث أن الطبيعي

---

[١] صحيح مسلم من حديث ثوبان

لحصول الالقاح هو أن تسبق بويضة أو نطفة المرأة لتتواجد في مكان الإلقاح قبل دخول النطاف إليها ولو قدر أن حدث الجماع قبل الإباضة صحيح أنه تدخل النطاف الى مكان الإلقاح لكن ما من فائدة تذكر لهذا السبق حيث أنه لا يوجد بويضة أموية أنثوية لتتلقح وبالتالي تجلس النطاف هناك ليوم أو يومين ثم تموت بدون فائدة وهذا مثبت علمياً أي لا معنى لهذا السبق قبل التلقيح أو اجتماع المائين أما الطبيعي فهو كما أسلفنا أن تكون البويضة الانثوية منتظرة هناك ثم تأتي النطاف الذكرية لتدخل إحداها وتحقق الاجتماع الذي نسميه طبياً إلقاح وهو الأمر المفترض لتشكل النطفة الأمشاج بعدها..

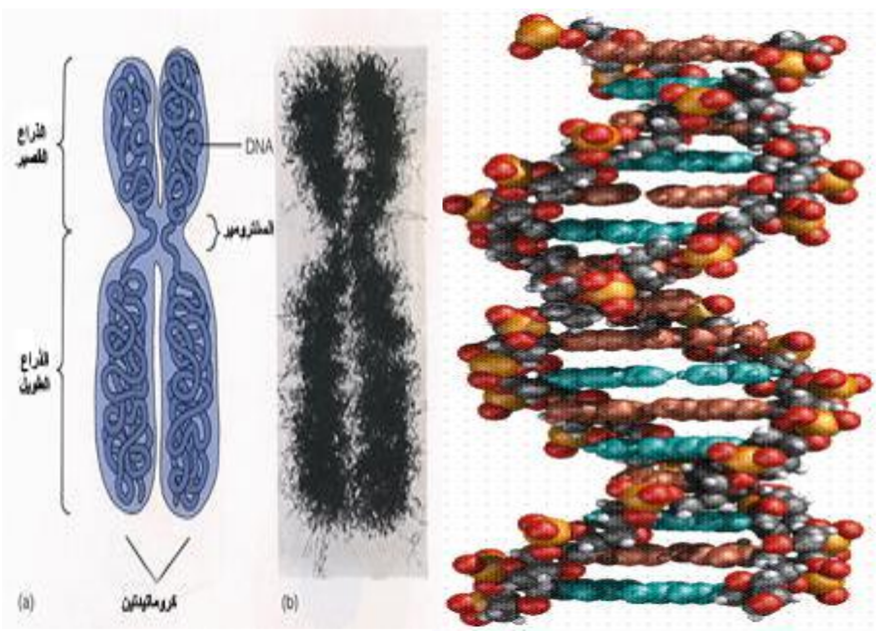
أي لا معنى للسبق الا بعد الإلقاح وهو ما نوه عنه النبي الكريم بقوله **((فإذا اجتمعا))** أي إن هذا السبق أو العلو لا يكون إلا بعد الإلقاح وهنا بيت القصيد ولهذا كان قوله في كلمته الاخرى **((علا))** وفعلياً لا يوجد علو يربط الشبه للولد أو تحديد جنسه من ذكر أو أنثى إلا من خلال السبق في القوة الوراثية وكأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول اذا اجتمع الماءان وكان أحدهما قد علا أو سبق أي كان أقوى من الآخر فإن هذا السبق او العلو هو الذي يسبب أن الولد سينزع لأحد الأبوين أي لإحدى صفات أحد أبويه الوراثية التي ستكون أقوى من من صفة الآخر وهذا فعلياً كلام يتجاوز الوصف بل فيه من الدقة العلمية ما لا أستطيع وصفه من كثرة سبقه العلمي فهذا لا يفسر فعلياً إلا بالعلو بين المورثات التي ينقلها كل من الأبوين لولدهما وإذا كان في هذه المورثات قوة أكبر ظهرت أكثر وأخذ الولد صفتها الظاهرية التي تعطيه الشبه للأب او للأم بحسب مرجعيتها وهذا علمياً يسمى بمفهوم الصفة السائدة والمتنحية التي هي ثورة في علم الوراثة كانت ولا زالت أساس علم الوراثة الحالي القائم عليه ..

ومن هنا كان **النبي الكريم قد طرح هذا المبدأ قبل ماندل بزمان بعيد(١٤ قرن)** الذي جعله الغرب مؤسس علم الوراثة وكله ادعاء باطل ليس عليه دليل بل ان ماندل نفسه لم يكن إلا حبراً من أحبار النصارى درس الأديان ثم استطاع التوصل لما توصل له، بل اني أذهب الى أن أول من علم الناس مبادئ علم الوراثة هم الأنبياء عموما من خلال الديانات التي أرسلهم الله بها وكان آخرهم وخاتمهم نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام **الذي طرح هذا المبدأ**

قبل **ماندل بزمان بعيد(١٤ قرن)** وهذا ما جاء في حديث الحبر اليهودي الذي قال انه سيسأل النبي عن أمر لا يعلمه الا نبي حقيقي والحبر هو ليس عالم عادي بل من الراسخين في العلم عندهم ولذا كما رأينا أنه في آخر الحديث نجد أنه شهد لنبينا عليه الصلاة والسلام بالنبوة ولذا ان مبادئ علم الوراثة والتوسع فيها كان كله على اسس علم الصفات الوراثية والافضلية بينها ..

هذا بالنسبة للصفات الجسمية مثبت وواضح حيث أن الصفة الوراثية تكون بشكل مادة وراثية قوامها الحمض النووي الدي -إن-إي أو ما يسمى (الحمض الريبي النووي منقوص الاوكسجين)

الشكل التالي في الايمن للحمض الريبي النووي دي إن إي حامل البرمجة الوراثية للخلية الذي يشكل المادة الوراثية وفي الايسر شكل الكروموزوم او الصبغي الحامل له في الخلية على اليسار

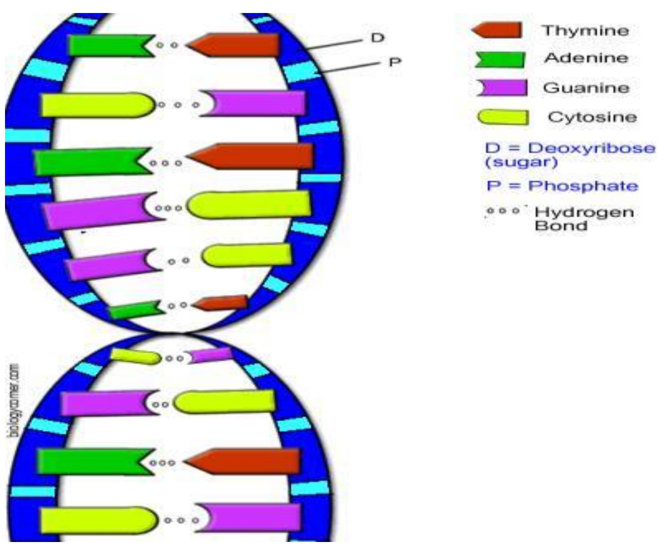


وهو فعلياً الحامل للتعليمات الوراثية أو ما يسمى المادة الوراثية فعليا ودائماً الصفة لا تظهر إلا في أزواج أي كون الصيغة مزدوجة هو الذي يعطيها صفة أي نصفها من الأم والنصف الآخر من الأب منذ تشكل النطفة الامشاج وهو يمثل ملخص معلوماتي عن كل الوظائف التي ستكون في الإنسان المقبل التشكل

أي بشكل شيفرة أو رموز خاصة يتلخص فيها ما هي صفات الإنسان القادم وحتى ما سيحصل له من أمور ويكون مكتوب فيه سلفاً كل هذا ولنتأمل قوله تعالى((**وكل شيء أحصيناه كتاباً**))[1] أي مكتوب سلفاً ومن هنا ما اكتشف حديثا عن الخريطة المورثية لكل إنسان ولهذا بحث آخر في مكان آخر..

ويتكون -الدي -إن -إي -من عناصر تسمى النكليوتيدات وتتوضع بشكل شيفرات ثنائية تدل كل منها على صفة وراثية معينة مثل لون العيون أو الجلد أو الشعر أو شكل الوجه أو غيرها من الصفات التي ستتوضع في الانسان الكامل لتشكل بدءاً منها ما يسمى الصفات الظاهرية للصفة المورثية أي إن الصفة المورثية هي برمجة مسبقة لما سيظهر مكتوب فيها بصيغة خاصة وراثية ثنائية أو متعددة التركيب الكيميائي وأقصد بهذا أنها تتواجد في كل بنية كيميائية مورثية ثنائيات قسم منها من الأب والقسم الآخر من الأم وأنه بحسب قوتها يحصل النمط الظاهري الناتج أي حتى إذا كانت موجودة معاً فإذا كانت قوة إحداها أعلى من الاخرى تظهر وبالعكس وهذا ما يسبب ظهور صفة ظاهرية ناتجة عنها اذا كانت اقوى وهي ما يحدث جسمياً وبالنتيجة يكون شبه الولد لأبيه أو أمه..

لاحظ في الشكل التالي بنية الدي إن إي وأنواع النكليوتيدات وهي مركبات حمضية الطبيعة

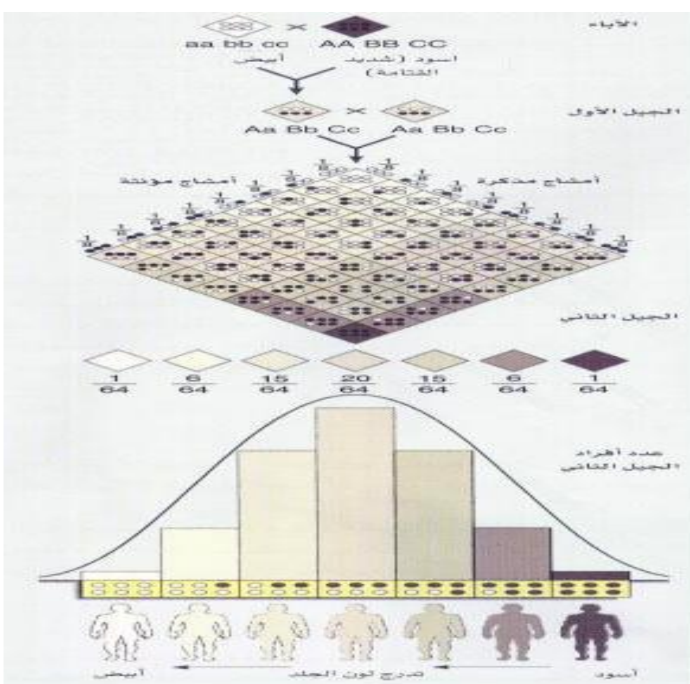


[1] سورة النبأ آية ٢٩

وأما عندما قال عليه الصلاة والسلام أنه ينزع لأخواله أو أعمامه وفي قول آخر أعاد هذا الشبه للأب والأم نفسهما ففي هذا إعجاز آخر رهيب جداً بل بديع جداً جداً وهو أن صفات الولد ستأتي في بعض الحالات لأبيه وأمه فيكون يشبههما وهذا أمر مفهوم أي انه أظهر ما حمل منهما بذاتهما فوراً ولكن في أحيان أخرى قد ينزع أي يشبه الولد أخواله أو أعمامه من جهة أمه أو أبيه على ترتيبها وهذا يحدث أيضا بقوة أحد المائين وهذا لا يمكن فهمه إلا أن هاذين المأين يحملان صفات فيهما على شكل بنى تدخل في تركيب النطفتين الأبوية أو الأموية وهي تحمل المورثات من الأجداد لأن الأب والأم من أين أتيا؟

من الأجداد طبعاً فكيف سيشبه الولد أخواله أو أعمامه إذا لم يكن قد أخذ من مادة أجداده الوراثية التي دخلت في تركيبهم منذ الإلقاح في زمنهم وهذا أمر بديع يتكلم فيه نبينا الكريم عن حمل الصفات الوراثية من الأجداد وأنه أحيانا قد لا يحمل الأب صفة ما وتكون في أخيه ونجدها في ولده وهذا لا يكون إلا بحمله للمورثات ممن هم قبله فتأمل كلامه صلى الله عليه وسلم وصلي عليه وكلامه ليس الا وحي يوحى.

لاحظ الشكل التالي عن توارث صفة لون الجلد من الآباء الى الأب



إن هذا الشرح الذي أوردناه هو بشكل موجز ما يسمى بسيادة الصفات والتنحي فيها وقد فصلنا به ما يكفي وهذا ينطبق على الصفات الجسمية عموماً.

أما الصفات الجنسية وقوله عليه الصلاة والسلام ((**فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى))** [1] إننا نجد في الجنس تحديد أكثر بكثير من الصفات الجسمية فعلى الرغم من أن الصفات الجسمية عموماً تسير مع قضية العلو والتنحي فإنها أحياناً تكون معقدة وتتداخل مع بعضها ولكن عموماً تطبق المبدأ الذي ذكرناه بينما الجنس نجد أنه خاضع مبدئياً لنوع النطاف الذكرية التي ستجتمع مع نطفة أو بويضة الأم وهنا لنعرج قليلاً على البنية المورثية للإنسان حيث نجد أن مجموع الصبغيات لدى الإنسان هي ستة وأربعين صبغي اثنين منها تختص بالجنس هما الصبغيان (إكس) الأنثوي الطبيعة والآخر هو (واي) الذكري الطبيعة

وإن هذه الصبغيات هي مناصفة أي إن نصفها يأتي من المادة الوراثية للأب والنصف الآخر من الأم ومن هنا كانت الثنائيات التي ذكرناها وصفة علو وتنحي الصفة فيها وهي ٢٣ صبغي من الأب ومثلها من الأم تندمج مع بعضها بعد الإلقاح وتحدد الصفات الجنينية للإنسان القادم وكما أسلفنا أن النطفة الذكرية تلعب الدور الأول فيما يسمى المستوى الأول في تحديد الجنس حيث أن نطف الرجل كما سبق ونوهنا في مناسبة سابقة نوعان منها إكس ومنها واي بينما بويضة الام دوماً تحمل المورثة إكس ولهذا قلت إنها أنثوية الطبيعة حيث أن اجتماع النطفة الذكرية إكس مع البويضة سيعطي جنين صيغته الوراثية الجنسية إكس إكس وهذا سيتطور لأنثى حتما حيث أنهما من نفس القوة ولا سبق أو علو بينهما وهذا معلوم من تشابههما بالضرورة أما في حال تواجد الصيغة

إكس واي نجد أن الجنين سيكون تطوره جنسياً نحو الذكر وهذا لم يكتشف حتى بداية السبعينات وذلك في بدايات التعمق في علم الأجنة وعلم الوراثة وتبين فيها هذا التقسيم في نوعي النطف وكأنه هو المتسبب الأول لصفة

[1] صحيح مسلم

المورثات المسؤولة عن الجنس في الجنين القادم وهو نجده في قوله تعالى: **((وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى))**[١]

ومن أجمل الأمور المكتشفة أن هناك سبق فعلي في الصيغة إكس واي وهو أن الصبغي واي هو إذا تواجد مع إكس دوماً أقوى منه وحتى لو تواجد مع أكثر من إكس وهذا ما يحصل في بعض التشوهات الصبغية للأجنة فإن الجنين سيأتي ذكراً مع ذلك وهذا من تمام إعجازه صلى الله عليه وسلم في قوله:

((فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر)) وهذا ليس تأقلم جبل الله سبحانه هذه المورثات عليه لتعطي ما أمرها أن تعطيه وكله قائم على مبدأ العلو أو السيادة والتنحي ومن هنا كان الشبه بأمه أي تأنيثه أو الشبه بأبيه أي تذكيره وهذا اذا أخذناه من ناحية الصفات الجنسية أيضا والله أعلم..

وأضيف فكرة بسيطة ولكن هامة هنا تزيد من حسن فهمنا لقوله صلى الله عليه وسلم وإعجازه بقوله:**(فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى)**

وهي أن العلم الحديث أثبت فعلا هذهالفكرة من سيادة المورثة واي على اكس عموما ولكن أضاف عليها مساندة عوامل كثيرة أخرى منها الهرمونلت التي ستفرز وتطور الخلايا البينية التي سبق وذكرناها التي ستفرز هذه الهرمونات وتلعب دورا مهما في اتمام التطور لجنس الجنين بمستوياته التالية كما شرحناها سابقا ومن هنا قوله صلى الله عليه وسلم (بإذن الله تعالى) أي إن أذن الله سيكون هذا التذكير أو التأنيث وفي هذا لفتة هامة لمن أراد اللعب بهذا الأمر وقاموا بتحديد جنس الولد من خلال فقط اختيار نوع النطفة وهذا من الأمور التي لم تنجح معهم حتى الآن ولن تنجح إلا أن يشاء الله..

ومن معنى السبق نعرف أيضا أنه إذا سبق بعد ذلك إفراز الهرمونات الأنثوية سيحصل تعاضد مع هذه الصيغة الوراثية إكس إكس وسيتطور الولد نحو الأنثى وإذا كانت الهرمونات الذكرية قد أُفرزت تعاضدت مع هذه الصيغة الوراثية إكس واي وخرج جنس الولد ذكراً إلا أنه إذا حصل قصور في إنتاج

---

[١] سورة النجم آية ٤٥

الهرمونات الذكرية فإن التطور الآلي هو أنثوي الطبيعة رغم وجود صيغة إكس واي فلنتأمل قدرة ربنا عز وجل ونصلي على نبيه المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والله أعلم.

فصـل هام:

قال تعالى ((فلينظر **الإنسان مم خلق *خلق من ماء دافق *يخرج من بين الصلب والترائب.))**[١] الآيات

لننظر إلى الآيات الكريمة السابقة ولنتأمل في الآيتين الأخيرتين **((من ماء دافق *يخرج من بين الصلب والترائب))** فقد فكرت كثيراً في هذه الآيات وما قصد منها وراجعت التفاسير لها فما وجدت سوى تأويلات للصحابة الكرام مثل إبن عباس رضي الله عنهما وغيره والذين قالوا أن الصلب هو صلب الرجل والترائب هي ترائب المرأة وأن الماء الدافق لكل منهما يخرج من هذه المناطق على الترتيب. وهنا أكرر قولي نقلاً عن كتب اصول التفسير أنه إذا لم تذكر آية أو حديث صحيح في حقيقة علمية من الحقائق التي طرحها القرآن وكان الصحابة قد اجتهدوا في تفسيرها وأوجد العلم الحديث ما يناقض كلامهم مما هو ثابت علمياً فان أخذه ومخالفة تفسيرهم لهذه الحقيقة لا يعد تفسيراً بالرأي إذا كان الرأي العلمي الحديث يظهر إعجازا من إعجازات القرآن الكريم وهو مما يتوافق مع قواعد أصول التفسير التي أوردها الشيخ إبن كثير في بداية كتابه ((تفسير القرآن العظيم)) حيث يفسر القرآن بالقرآن وإن لم يوجد فبصحيح السنة وإن لم يوجد فبأقوال السلف من علماء الصحابة فإن لم يوجد فباللغة العربية وهذا إذا كانت الآيات في الأحكام أما الآيات العلمية فيمكن إذا لم يتواجد حديث أو آية أن ننتبه للغة العربية فوراً للحصول على المعنى في حالة تخالف رأي المفسر مع ما هو مثبت من العلم..

---

[١] سورة الطارق آيات ٥-٦-٧

والله شاهد علي أنني لا أريد الا إظهار الحقيقة العلمية التي رأيتها في الآية الكريمة وفقاً للعلم الحديث في علم الأجنة فقوله تعالى: **((يخرج من بين الصلب والترائب))** يشير لعدة إعجازات علمية أوضحها كما يلي:

<u>إن معنى الصلب لغوياً</u> كما في العديد من القواميس هو ما تلا الفقرات الظهرية وحتى العجز أي علمياً يمتد على طول الفقرات القطنية متماديا مع الخاصرتين وظاهرياً لنا تتوضع عند هذه الفقرات وبشكل ظهري نحو الأسفل.

<u>أما الترائب</u> فهي كما أجمع اللغويون ما تلا الترقوة من عظام الصدر ويمكن ان تكون الحواف الضلعية للأضلاع الثالثة والرابعة ويمكن أن تمتد حتى الحافة الضلعية السفلية للضلع الثانية عشر وبتأملنا لهذا المعنى نجد ان الأضلاع متمادية وهي ليست كالفقرات متميزة عن بعضها بمواقع معينة ((قطنية وظهرية ...الخ)) أي أن الترائب تتواجد في منطقة تقع من أسفل الترقوة متمادية مع الأضلاع ليس فقط في الصدر بل ظهرياً لأن الضلع يتمادى للخلف ولا يزال اسمه ضلع فلا نقول ضلعاً ظهرياً وآخر بطني بل هو كله ضلع واحد وهذا لا يتنافى مع التفسير اللغوي بل يتممه حسب علم التشريح الطبي وبالتالي فإن المنطقة المحصورة بين الصلب والترائب تتوضح بمنطقة الظهر حسب الشكل التالي:



لنرى التمادي بين القسم العلوي وهوالترائب مع القسم السفلي وهو الصلب:

ولو عدنا للآية ونظرنا **<u>لقوله تعالى</u>** **<u>((من بين))</u>** فهي تحدد منطقة بينها أي ظرف مكان ولغة هذا إعراب ((بين)) وليس منهما ولو كان يقصد منهما لكان لغوياً اللفظ <u>من الصلب والترئب</u> ولكن البيان الإلهي لم يصرح بذلك...

لماذا أوضحت كل هذا حتى الآن أقول إن هذه المنطقة تمتلك العديد من الأعضاء التي تتحكم وراثياً (الخصى

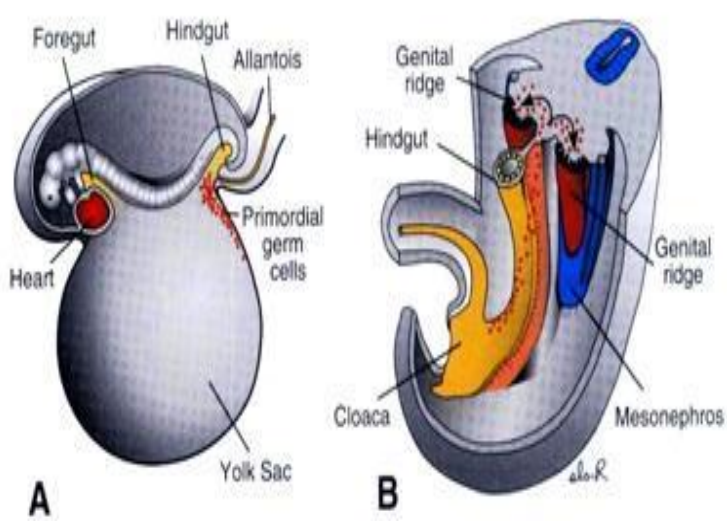
والمبايض) وهرمونياً ووظيفياً (الخصى والمبايض والغدة الكظرية) بالقذف وخروج الماء الدافق الذي سيخرج منه الإنسان لاحقا((أي الجنين البشري))

فحسب ما أثبته الطب في علم الأجنة أنه منذ التشكل الجنيني تمتد على طول هذه المنطقة وفي الجانبين ما يدعى بالكلية الوسطى التي هي بنية جنينية نسجية تعتبر أمهات للمناسل أي ستعطي فيما بعد المناسل وهي المبيض والخصى وهي البنى الأساسية في الماء الدافق الذي سيتولد منه الانسان فيما بعد..

وقد وضحنا سابقاً أن الماء الدافق هو السائل الذي يمتلك الأعراس وذلك لأن البيان الإلهي يوضح أن تشكل الإنسان سيكون منه وبالتالي فوجب بذلك احتواؤه على الأعراس قطعاً وخروجه من مكان ما يقتضي إن هذا المكان ينتج الأعراس ويخرجها مع الماء أو يتحكم بإفرازها وهو ما يدل بشكل مباشر على المناسل وما يساعدها من غدد داخلية فيها مثل خلايا لايديغ في الخصى المفرزة للأندروجين الذكري أوخارجية كالكظر تدفع على تشكل السائل أو الماء الدافق وفيه الأعراس المذكرة كانت أم المؤنثة وهذا المكان يتواجد بين الصلب والترائب وفقا للآية السابقة.

أي إن أصل الخصى والمبايض موجود في هذه المنطقة وهو فعلاً كذلك من خلال ((الكلية الوسطى)) التي ستتحول لما يدعى بالعرف البولي التناسلي الذي يتابع التشكلات القادمة من خصى ومبايض وجهاز بولي. وهو ما نوضحه بالشكل:

الشكل التالي هو مقطع في الجهة الظهرية توضح الكلية الوسطى وقربها بداءة الكلية التي هي منها بالأصل أيضاً:



أما فيما بعد فإن تشكل كل من الخصى والمبايض يتم في هذه المنطقة بدءاً من العرف البولي التناسلي كما أوضحناه بالشكل وهما يحققان العديد من صفات الأعضاء المسؤولة عن الماء الدافق وما يخصه مما تحدثنا عنه (أي تشكيل الاعراس والتحكم بالدفق هرمونياً وباتصالاتها العصبية مع المراكز الدماغية العليا)

فهي كما نعلم تقوم بتشكيل الأعراس (النطاف والبيوض) ووضحنا هذا بالنسبة للمبيض في فصل ماء المرأة كما أنها تدفق منها من خلال دفقتة الإباضية عند المراة ودفقة خروج السائل المنوي عند الرجل عبر المسالك الخصيوية

كما أنها تفرز الهرمونات التي تتحكم بالدفق للماء أو السائل وبتشكل الأعراس فالخصية تفرز الأندروجينات الذكرية والمبيض يفرز الأستروجينات الأنثوية وهذه الهرمونات تقوم بدورها بالإستثارة العصبية وتستنفر الجسم كله للقيام بالدفق المطلوب قبل وأثناء الاقتران من أجل الإخصاب كما أنها تساهم بتشكل الأعراس طبعاً منذ أول مراحله.

وللعضوين المذكورين اتصالات أساسية مع المراكز العصبية العليا وبها يتم السيطرة على كل هذه الحالة والتحكم بها مركزياً

وبالتالي فإننا نجد تحقق تكون المناسل من هذه المنطقة وأن بداءتها تكون هنا أيضاً فيما بين الصلب والترائب حسب البيان الإلهي فلو قبلنا بالتفسير الأول وهو صلب الرجل وترائب المرأة لكنا وقعنا في مغالطة من ناحية تحميل الآية معنى ليس فيها حيث أن (من بين) ظرف مكان كما أوضحنا ولعطلنا هذين الأمرين اللذين هما من أروع الإعجازات العلمية في هذه الآية

وهنا أتابع فبالمقارنة بين المبيض والخصية نجد أن المبيض يتشكل ويبقى مكانه وفق ما قدمنا وهذه حقيقة تشريحية رائعة ذكرها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منذ ألف وأربعمئة سنة حيث لم يكن هناك لا تصوير شعاعي ولا أمواج فوق صوتية فسبحان الله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق

أما الخصية فتهاجر نحو الصفن قبل الولادة فكيف ينطبق عليها ما ذكرناه؟

ولذا أقول إن هذا ليس تناقضاً وانما هو إثبات لحقيقة أخرى تتفق مع الآية الكريمة وتزيد عليها إعجازاً جديداً وهو أن الخصية قد تشكلت فعلاً هنا قبل الولادة ولكنها هاجرت قبلها أيضا أي أنها تشكلت هنا ولكنها تركت مكانها الأساسي نحو المكان الأكثر ملاءمة وذلك مما تستلزمه عملية تشكل النطاف فيما بعد((حيث تحتاج لحرارة أقل من حرارة الجسم الطبيعية وهي حوالي ٣٣ الى ٣٤)) وذلك في مراحل الإخصاب الذي سيلزم في مرحلة البلوغ بدءاً من خلايا أمهات النطاف وبالتالي تكون الآية الكريمة قد أشارت لهذا الكلام وهو الهجرة الخصيوية عند جنين الإنسان والتي تحدث قبل الولادة ولكن بشكل غير مباشر وهو إعجاز علمي كبير آخر..

وقد يتطرق البعض لهذا التأويل ويعتبرونه تحميلاً إضافياً للمعنى وهنا أشير إلى أن ألفاظ القرآن الكريم هي ألفاظ شاملة ومجملة ولكنها بنفس الوقت مفصلة ولا يحدها معنى علمي واحد في كثير من الأحيان أي قد تحتمل الآية عدة معان في إطار موضوع واحد تناقشه وهو من إعجازات القرآن الكريم قال تعالى:

((قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً))[1]

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه): (لا تفقه حتى تجعل للقرآن وجوها)[2]

وهو يقصد طبعا آيات العلم الذي يحتمل التأويل وليس الآيات المحكمات كالعقيدة أو صفات الله وأسمائه أو الأحكام التي ورد فيها أمر أو نهي ثابت ويكاد يكون يتحدث عن الآيات العلمية بالذات رضي الله عنه ولو لم يصرح بذلك.

ومن الحقائق الأخرى التي تطرحها الآية الكريمة هي تواجد عضو له علاقة بالدفق وهما غدتي الكظر على السطح العلوي للكليتين وتمتدان تقريباً من الحافة الضلعية وحتى الفقرات القطنية الأولى والثانية وتتجه نحو الأعلى ضمن التقبب الحجابي ((وهو تقبب عضلة الحجاب الحاجز بين البطن والصدر)) وقد تبين أن هذه الغدة تتحكم أيضاً ولو جزئياً بالماء الدافق من خلال الهرمونات

---

[1] سورة الكهف آية ١٠٩

[2] شفاء الداء من كلام أبي الدرداء صفحة ٣٥

التي تفرزها وهي هرمونات من النمطين الذكري والأنثوي وبنسب متقاربة حسب الحالة التي يكون فيها الجسم وحسب الجنس من ذكر أو أنثى وهي تمارس دورها من خلال صعودها نحو المراكز الدماغية العلوية ((المهاد والقشرة المخية)) وهي مراكز أساسية تتحكم بالعديد من الأعمال الجسمية ومنها الوظيفة التناسلية وعملية الدفق الآلية الحاصلة للأعراس وقصور هذه الغدة قد يحدث العقم كما في قصور المبيض او الخصية او حتى التأثر الدماغي في بعض الحالات..

فصل مناقشة

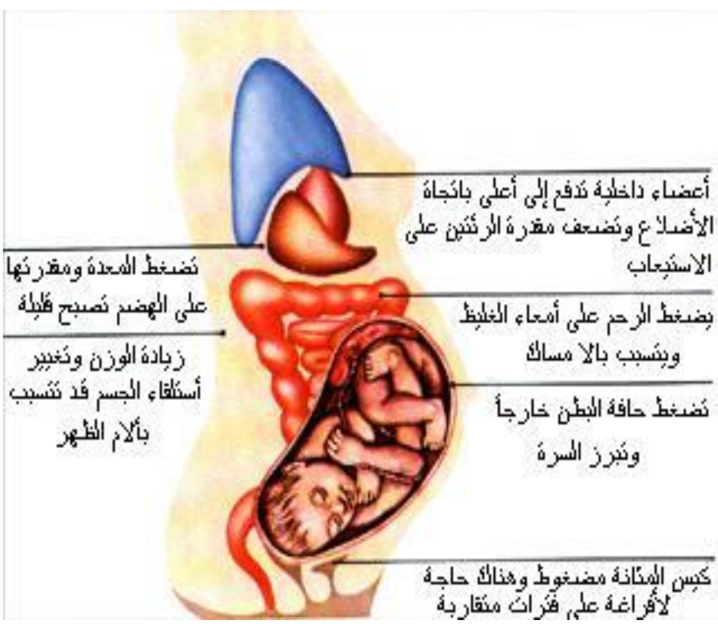
لقد طرح بعض العلماء فكرة رد كلمة (يخرج) الى الانسان أي إن معنى الاية يصبح أن الانسان خلق من ماء دافق وأنه يخرج في نهاية الحمل من بين الصلب والترائب وهنا نجد انهم خالفوا ظواهر التفاسير المختلفة لمعظم أهل العلم وهنا أنا لا أتحدث عن هذا لأنه ليس فيه نص صريح من حديث أو آيات أي لا أسمح لنفسي من التفسير فيه ما لا أسمح لغيري على اعتبار القاعدة في أصول التفسير التي ذكرناها أول كلامنا في هذه الاية ولكن نرد هذا الفهم للمنطق العقلي.

فأولاً لغوياً ظاهرياً نجد أن الخروج يعود على الماء الدافق وهو ما فهمه أكثر المفسرين ورغم مخالفتنا لتفسيرالعلماء الكبار ومنهم صحابة كرام كإبن عباس رضي الله عنهما في كون المنطقة هي ما بين الصلب والترئب وتوصلنا لإثبات الإعجازات المتعددة المذكورة سابقاً في تحديدها بهذا الشكل لغوياً وعلمياً كما سلف إلا أن كبار المفسرين عموماً حتى بتفسيرهم لها على أنها من الصلب والترائب قد فهموا الاية على أنه تعود على الماء الدافق أي أن الماء الدافق هو الذي يخرج من الصلب والترائب كما شرحوها

إما إعادته على الانسان ففيه نظرلغوياً حيث احتج هؤلاء بأن الإنسان يتوضع في نهاية الحمل فيما بين الصلب الذي اعتبره بعض العلماء أنه العمود الفقري كاملاً مخالفين للمعنى اللغوي الذي يفهمه العرب منه وهو منطقة القطن وما دونها أي الفقرات القطنية الى الأسفل حسب الفهم الطبي لها والترائب التي تصل للترقوة والاضلاع العليا كما أسلفنا.

فأي جنين يصل لعظام الترقوة فقد نجد أنه يتوضع سفلياً في الصلب عموماً وهو القطن ولكن لا يمكن أن يصل للاضلاع العليا أبداً وإلا لاستولى على جسد أمه وهذا مما ليس بحقيقي أصلاً لا طبياً ولا ظاهرياً فهو ممتد في أكبر حالاته مابين القطن والى الأسفل أي في منطقة القطن وحتى العجز وليس بين القطن أو الصلب والترائب التي تصل للأعلى فهو يستند لظهر أمه صحيح ولا يصل إلى أعلى الأضلاع وإنما القسم السفلي منها فقط وأما المنطقة التي يقع فيها الجنين فهي علمياً كما أسلفنا لا تقع بينهما ولا يمكن للجنين ان يتجاوز إلى الأضلاع العليا وإلا لكان قتل أمه اختناقاً ولذا نجد أنه لا تتحقق البينية للجنين أبداً في حالة خروجه هذه أو حتى تشكله إذا اعتبرنا أنه يتشكل هنا في جوف الرحم ومنها ما أشار لها هؤلاء بكونه يدفق الماء السائل من بطن الأم أي الرحم فيخرج الإنسان وهنا أعود لأقول لغوياً قد نؤول عدة تأويلات ولكن هذا في الأمور الغيبية وليس في العلمية المثبتة أي لو صح التأويلان لغوياً فرضاً وثبت أحدهما علمياً وجب ترك التأويل المخالف لما ثبت بالرؤية والحس أي العلم المباشر المحسوس

لننظر توضع الجنين في مرحلة ما قبل الوضع كيف أنها تكون فيما دون القطن وليس بين الصلب والترائب...



ولعل من المؤيد لقولنا هذا تتمة الآية حيث قال تعالى **((إنه على رجعه لقادر))**[1] حيث وجدت في بعض الكتب التي تدرس موضوع الأجنة كإعجاز في القرآن الكريم فمنهم من قال أن هذا يعود على الماء الدافق وهنا أرادوا الإشارة لبعض حالات العقم التي تحدث من القذف الخلفي للمني أي نحو الجهاز البولي فتسبب العقم أو الحركة التراجعية لبعض النطاف الشاذة التشكل التي تسبب العقم أيضا وهذه على أهميتها إلا أنها حالات نادرة

فهو هنا يرجع للانسان لأنه بقوله **((يوم تبلى السرائر.))**[2] **إشارة** ليوم القيامة أي انه على إعادة هذا الإنسان لقادر كما خلقه من ماء دافق في منطقتة الموصوفة لكم فإنه يمكنه إعادته للخلق بعد موته وبلائه يوم القيامة

وهنا وكما أشرنا إن هذا مما لا تحتمله الآية ومن سياقها نستدل على ذلك كما قلنا **((يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر)) سورة الطارق**. أي هو بكل وضوح وكما فسره أهل العلم يوم القيامة وهنا فعلاً يعود الضمير على الإنسان وهو من الأسلوب القرآني الذي دوماً يقدم ربنا فيه الإعجاز على أنه كما خلقه يمكنه أن يعيده يوم القيامة خلقاً جديداً والله أعلم.

---

[1] سورة الطارق آية ٨

[2] سورة الطارق آية ٩

الباب الخامس

خلق الإنسان من مضغة

<u>فصل:</u> تحولات العلقة إلى مضغة ونهاية الأربعين الثانية وبداية الأربعين الثالثة

إن هذه التحولات هي الأساسية في إعلان انتهاء مرحلة العلقة وبدء مرحلة المضغة وعلى اعتبار أنها مراحل متداخلة فالفصل بينها هو فصل اعتباري على أساس ما وصلت إليه المرحلة السابقة أثناء تطورها أي مثلا وكما أوضحنا سابقاً نجد بدء تحول النطفة إلى علقة منذ اليوم ٢١ تقريباً أي في النصف الثاني من الأربعين ولكن لا يتم هذا لتدخل مرحلة النطفة قبل قرابة ٣٧ إلى ٤٠ يوم وهذا وضحناه سابقاً وبالتالي فقد كان حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم إبرازاً للملامح التي سيبلغها تطور الخلق لكل مرحلة ووصفاً لأهم ما يميزها عند مرور هذا الزمن المحدد وهنا نجد أن هذا الجنين في مرحلة العلقة يبدأ بالتشكل نحو مرحلة جديدة هي المضغة ويتتابع الخلق لبداءات الأعضاء التي نشأت في بداية الأربعين الثانية بشكل تصوير خفي لا يظهر منه إلا التخطيط الخارجي عموماً لهذا الجهاز أو ذاك وتتطور نحو التمايز الفعلي لبنى تصبح وظيفية أي قادرة على القيام بالوظيفة التي سيراد لها أن تقوم بها أي تصبح هذه البنى بعد أن كانت بداءات نسيجية أي أمهات للنسيج الذي سيتشكل منها كأمهات العظام وأمهات العضلات وغيرها ستتحول نحو بنى حقيقية التمايز وتتصور بشكل فعلي نحوها ولنشرح هذا مع قليل من التفصيل :

<u>قبل كل شيء لنعرف المضغة</u> فكما قيل هي القطعة من اللحم بحجم ما يمضغ وفعلياً هذا يتحقق بكون الجنين يدخل مرحلة الأربعين الثالثة بقطر بين٣ ونصف إلى ٦ سنتمتر أي بحجم ما يمضغ أي بقدر المضغة ولكن أريد أن أقول إن مفهوم أن المضغة هي قطعة من اللحم هو كلام دقيق نسبياً ففعلاً نجد أن العلقة في نهاية فترتها وعند دخولها في مرحلة المضغة هي ليست إلا نسيج ضام أي خلايا لحمية وحتى الغضاريف التي تبدأ بالتشكل منذ قرابة الأسبوع الرابع لا

تشكل عظماً حقيقياً أي لا يمكن أن يرتفع صلب البدن بها ولا يمكن أن تسنده بحيث يصبح قائماً وإنما تكون عبارة عن نسيج بدئي ستتوضع به المعادن بعدئذ وذلك قرابة اليوم ٥٧ أي نهاية الأسبوع الثامن تبدأ عملية التمعدن في العظام البدئية وفي مرحلة المضغة أي في نهاية الأسبوع الثاني عشر تكمل تمعدنها في أغلب العظام ولاسيما العظام الطويلة المغطاة بالعضلات المخططة كما في الآيات وتحقق تشكل العظام الأساسية التي ستحمل الجسم وتصلبه..

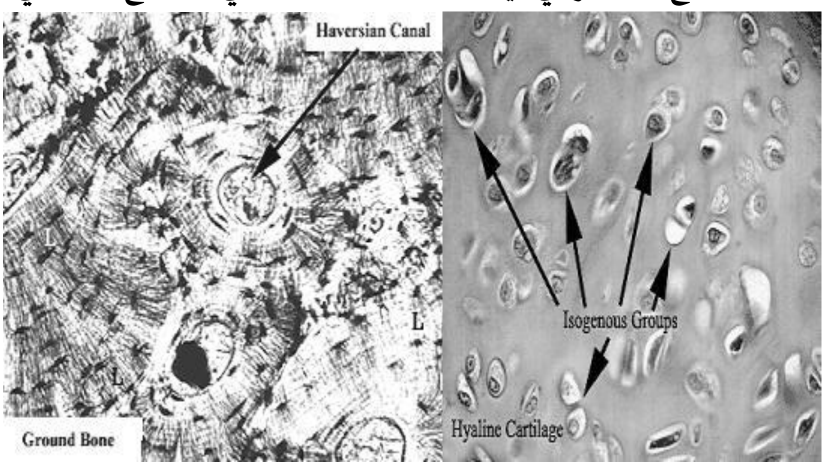
وكتعريف أولي بعبارة أخرى **إن المضغة هي قطعة لحم بحجم ما يمضغ** وهذا ما اتفقنا عليه مع الدكتور محمد علي البار عند نقاشنا عن هذا الأمر **وإن أهم ما يميزها هو إتمام تمايز البداءات التي كانت نشأتها في مرحلة العلقة ومن الأمور الهامة فيها هي بدء نشز العظام أي عملية التعظم في العظام الطويلة ليأخذ الجنين في نهايتها الشكل البشري الواضح عيانياً تماماً والذي ليس فيه أي مجال للشك وتكون مخلقة أي تامة التخليق** ولذا من أهم هذه الأجهزة نجد:

اتمام التعظم للغضاريف الناشئة في فترة العلقة ولذا قال ربنا كتسلسل فوري بعد دخول الجنين مرحلة المضغة **((فخلقنا المضغة عظاماً))** أي كان التخليق لها فوري لأنه تتابع لما كان وليس تخلقاً متراخياً وإنما هو متسلسل وفي هذا رد على من قال أن المضغة تتشكل في الأسبوع الرابع وأن نهاية مرحلتها في اليوم ٤٢ حيث أنهم أغفلوا فكرة تسلسل الخلق الذي تحدث عنه ربنا فكيف تجلس المضغة من اليوم الأربعين إلى ما بعد أربعين يوما حتى تبدأ بالتعظم قرابة نهاية الأسبوع الثامن وتستمر بالتدريج وأما المراكز الأخرى التي تتشكل في اليوم ٨٢ تقريباً وهو بداية مرحلة المضغة باعتبارها أربعين ثالثة فأهميتها أنها تعلن أن مرحلة تشكل العظام قد وصلت لمرحلة تامة وطبعاً غير كاملة لأنها ستستمر لمابعد ذلك كما سنوضح ولكن يكون العظم المتشكل قادراًعلى حمل الجسم ورفع صلبه لتكون تامة التخليق في عظامها ومع ذلك يلزمها إكمال لهذا التخلق لاحقاً..

ومن أهل العلم من اعتبروا أن تخلق الغضاريف الذي يبدأ قرابة الأسبوع الرابع هو تعظم وهذا خاطئ من أوجه كثيرة منها لغوي فلغوياً الغضروف ليس كالعظم وإنما هما مفهومان مختلفان وأما علمياً فنحن نعرف أن النسج

الغضروفي مختلف من حيث كونه عبارة عن نسيج ضام فقط لا يمكن أن يسند جسماً أو أن يرفعه بينما المطلوب من العظم أن ترفع الجسد وتجعله قائماً وحتى من الناحية النسيجية نجد ترسب أملاح الكلسيوم في النسيج الغضروفي ليتحول إلى نسيج عظمي ولولا هذا لبقي كما هو وهذا من خطأهم رحمهم الله في التمادي في إسقاط القرآن على العلم الذي في علم الأجنة اعتبروا هذا بينما لا بد من إسقاط ما ثبت من العلم على الحقيقة القرآنية وهذه القاعدة التأصيلية ناقشناها سابقاً..

في الشكل التالي على اليمين نسيج غضروفي والعظمي على اليسار لنلاحظ الفروق بين النسيجين فكيف لنا أن نقول إنهما نسيج واحد ولنلاحظ البنية اللينة للنسيج الغضروفي بينما القساوة واضحة في النسيج العظمي



أما ما ورد عن مرور الملك في حديث الأربعين الأولى وأنه يمر على النطفة ويصورها ويخلق لها سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها فلنتأمل **قول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في شرحه لحديث الأربعينيات الوارد في الأربعين النووية** وهذا نصه يقول الإمام النووي:

الحديث الرابع: ((**(إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة)**

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ؟ **قال حدثنا رسول الله؟ وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتْبِ رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد،**

فو الله الذي لا إله إلا غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[١] رواه البخاري ومسلم))

يقول الشيخ في شرحه لهذا الحديث: ((قال: ؟ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة؟ لفظ **"يُجمع" كأنه كان قبل ذلك متفرقاً فجُمع نطفة**، والنطفة معروفة، وهي: ماء الرجل وماء المرأة، أو ما شابه ذلك قبل أن يتحول إلى دم، **والعلقة قطعة الدم التي تعلق بالشيء** وهي تعلق بالرحم، **والمضغة هي قطعة اللحم**

ولاحظ تعريفه للمراحل بحسبها وهذا بحثناه سابقاً.

يعود ليقول: ((**وهل يعني استمرارها هذه المدة أنها في هذه المدة لا يكون فيها أي نوع من التصوير أو الخلق أو نحو ذلك؟ لا يدل هذا الحديث على ذلك وإنما يدل على أن هذه المدة تكون نطفة، أما مسألة التصوير، ومتى تكون فهذه لم يعرض لها في هذا الحديث**، وإنما في أحاديث أخرى))[٢]

شرح الاربعين النووية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في مسجد ابن تيمية صدر منها الكتابوهذا الرابط لشرح الحديث الرابع:

https://taimiah.net/index.aspx?function=item&id=944&node=34
59

أقول: أي إن هذا الحديث ليس فيه تصريح عن عدم التحول في كل مرحلة إلى تاليها وهو لا ينقض ذلك بل إن تفصيل هذا في أحاديث أخرى.

يعود الشيخ حفظه الله ليتكلم عن حديث التصوير على رأس الأربعين الأولى فيقول: ((وقد جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيل؟ أن النبي؟ قال: **(إذا بلغت النطفة ثِنتين وأربعين ليلة أرسل إليها الملك فيأمره الله -جل وعلا- بتصويرها، ثم يقول: أي ربي، أذكر أم أنثى؟ فيأمر الله ما شاء ويكتب**

---

[١] صحيح البخاري ومسلم

[٢] كتاب شرح الأربعين النووية للشيخ عبد العزيز آل الشيخ

المَلَك، ثم يقول: أي ربي، شقي أم سعيد؟ فيقول الله أو يأمر الله بما شاء ثم يكتب المَلَك ، ثم يقول: أي ربي، رزقه؟ فيقول الله ما شاء ثم يكتب الملك)

فهذا يدل على أن التصوير سابق لتمام هذه المدة، وأن التصوير يكون بعد ثنتين وأربعين ليلة.))

أقول وهذا ما يقع فعلاً أي يكون هناك تخطيط لما سيكون وليس كمال التنفيذ وإنما كمال التنفيذ لايكون إلا في نهاية الأربعين الثالثة وهذا فضلاً عن أنه واضح في كلامه حفظه الله إلا أنه طبياً واقع أيضاً فنحن نجد بدء تشكل البنى الوظيفية للأذن في الأسبوع السادس تقريباً رغم أن شق الأذن الأولي الذي يكون كالإلتواءات الجنينية أي مجرد تغير شكلي لتخطيط مكان الأذن يتم قرابة الأسبوع الرابع وكذلك العين منظرها كخط أسود يدل على العين أما إتمام تشكلها فلا يكون إلا في نهاية مرحلة المضغة وهي في نهاية ١٢٠ يوماً كتشكيل وظيفي فعلي ومع ذلك قد ينقصه بعض الأمور التي تعتبر تتمات وهذا ما يحدث في مرحلة **(ثم أنشاناه خلقاً آخر)** وهو بعد بث الروح..

أوردت هذا لأوضح أن جل مرحلة المضغة هو تتالي لتمايز ما بدأ وهذا شرعاً محقق فلنحقق علمياً بحسب علم الاجنة **ولذا لنذكر نمو الأعضاء من العظام إلى القلب وغيره.**

أعود لأتكلم عن العظام فربنا سبحانه يخلق في مرحلة العلقة العظام وهذا وارد في صريح حديث قدوم الملك على رأس الثنتين وأربعين ليلة وأنه يخلق لها عظمها.

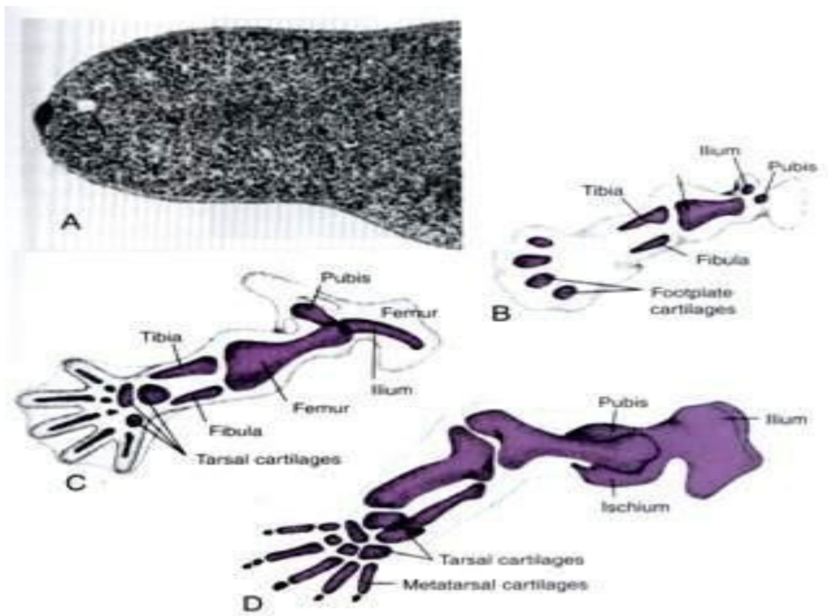
طيب ربنا سبحانه قال **(فخلقنا المضغة عظاماً)** كيف هذا وما تفصيله؟ وهنا أقول:

إن الله سبحانه في خلقه للعظام في أول الأربعين الثانية وهي أول مرحلة العلقة نجد أنه وكما وضحنا هذا المعنى سابقاً يضع بداءة الأعضاء وهو على سبيل التصوير غير الظاهري كما قال ابن القيم وهذا أثبتناه شرعاً وأما علمياً فنجد أنه فعلياً لا يوجد تشكل ظاهري للعظام في هذا الوقت وإنما هو تشكل بدئي خفي يفيد في تخصيص بعض خلايا النسيج الضام بتشكيل ما يسمى أمهات العظام والتي فعلياً لا تتشكل قبل الأسبوع الخامس إلى نهاية السادس ومنها ما

يبقى بهذا الشكل ومن ثم يتعظم بما يسمى التعظم الغشائي أي فوري فيها وسنفصل فيه لاحقاً..

أو ستشكل ما يسمى القوالب من الخلايا الغضروفية التي ستتعظم لاحقاً وهو ما يحدث فعليا بشكل خفي حيث أن الجنين لا يزال لا يستطيع أن يسند جسده كما يجب فلو خرج لوجدناه منكمش على نفسه..

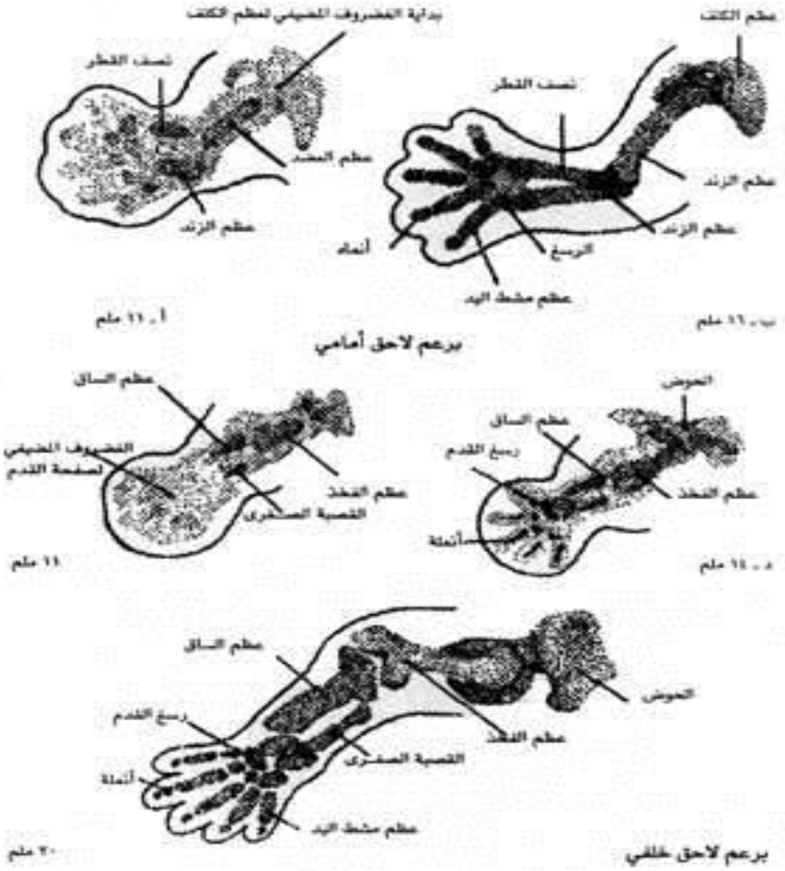
لاحظ في الاشكال اي بي سي نجد هذه البنية الغضروفية المتشكلة بينما الشكل دي هو بعد التعظم لنلاحظ الفرق بالتوزع وأنه في مرحلة

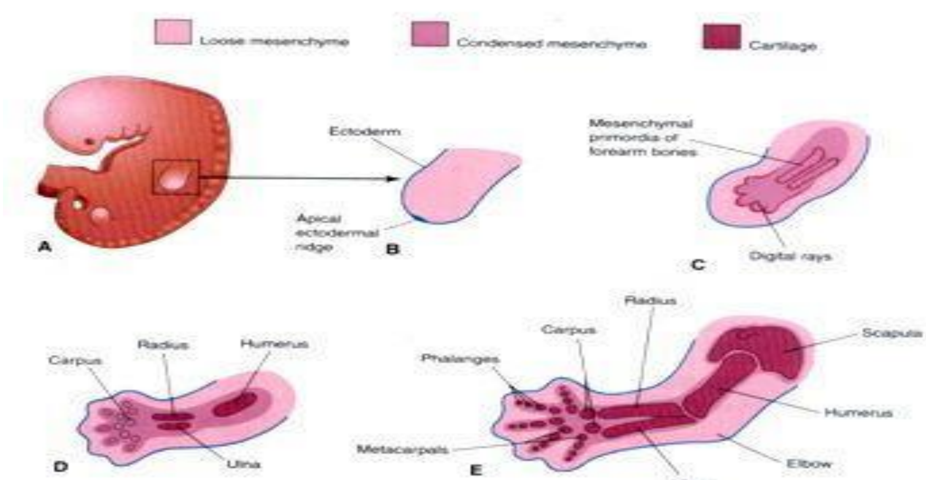


الغضاريف لا يزال هنالك تخلخل فعلي في البنية لا يزول إلا بعد التعظم الذي يسند الجسم ويرفعه.

ولولا التشريح النسيجي لما تبيننا أن هنالك نسيج غضروفي مختلف عن العظمي حيث أنه شعاعياً ولو اختلف عن اللحم قليلاً إلا أنه ليس له كثافة عظمية حقيقية لأنه ينقصه الترسيب المعدني فيه ليقسو وهذا لا يتكامل فعليا ليكون حامل للجسد الا في نهاية اليوم ٨٢ كما أضحنا مرارا حيث يبدأ التعظم في العظام الطويلة كما نعلم وهو التخلق الثاني الذي ورد عن المضغة نحو التعظم.

الشكل التالي يوضح بداية التعظم من القوالب الغضروفية الأولية التي تنشأ اولاً ثم تظهر فيها نقاط التعظم





فلماذا لم يقل ربنا سبحانه **<u>صورنا</u>** وإنما قال **<u>خلقنا</u>**؟

أقول وبالله التوفيق إن في هذا اعجازاً رهيباً بل رائعاً وبديعاً حيث أن عملية التعظم للعظام الطويلة الحاملة للمفاصل الأساسية تبدأ فعلاً في مرحلة المضغة أي في بدايتها قرابة نهاية الأسبوع الثاني عشر كما أشرنا وتستمرولذا تخلق المضغة نحو العظام في بدايتها لا يمكن أن نسميه تصويراً لأن التصوير يقتضي ظهور هذا الامر على الاقل كتخطيط ظاهري وانتهاؤه كتشكل حقيقي في نفس المرحلة وهذا لا يكون عندها وإنما هو خلق متسلسل سيتلوه إتمام له لا ينتهي حتى نهايتها وهنا ستصبح مضغة مخلقة أي مصورة ولذا قال العلماء عموما إن المضغة قبل نهايتها لا تصوير فيها أي انتهاء التصوير بشكل نهائي لأنه يلزمه ليتم فترات متتالية أخرى وحتى لو أنه بدء في هذه المرحلة إلا أنه يستمر تباعاً في هذا الباب يقول ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن صفحة ٢١٦ -٢١٨:

(وقد ظن طائفة أن التصوير في حديث حذيفة إنما هو بعد الأربعين الثالثة قالوا وأكثر ما فيه التعقيب بالفاء وتعقيب كل شيء بحسبه وقد قال تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة بل قد قال تعالى فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وهذا تعقيب بحسب ما يصلح له المحل <u>ولا يلزم أن يكون الثاني عقيب الأول تعقيب اتصال</u>)

قلت: <u>أي لا يكون إلا بشكل تدريجي تسلسلي لا يظهر فجأة بدون مقدمات</u>

ولذا يتابع قوله رحمه الله (وظنت طائفة أخرى أن التصوير والتخليق في حديث حذيفة في التقدير والعلم والذي في حديث ابن مسعود في الوجود الخارجي) **لاحظ ما سيقوله الآن:**

<u>(والصواب يدل على أن الحد ما دل عليه الحديث من أن ذلك في الأربعين الثانية ولكن هناك تصويران أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة في مادة لا سيما مثل هذه الصورة ينشىء فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئا بعد شيء لا وهلة واحدة</u> كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة فهاهنا أربع

مراتب أحدها تصوير وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج الثانية مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه الثالثة تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد الرابعة تمام التصوير الذي ليس بعد إلا نفخ الروح)[١]

قلت أي إن التصوير الحقيقي التام لا يكون إلا في نهاية مرحلة المضغة بعد بث الروح وهو أمر ممتد لمرحلة النشأة الأخرى.

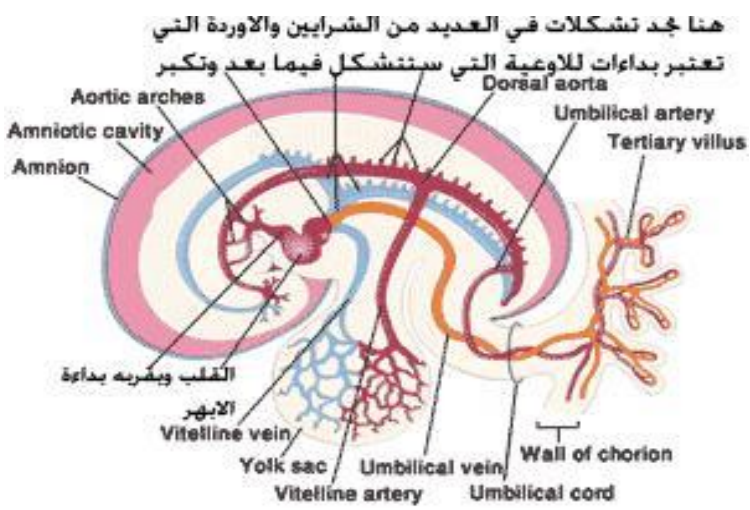
وقد تكون المضغة غير مخلقة في نسيج أو جزء آخر أي لا يزال ينقصها بعض التصوير والتمايز النهائي يستكمل هذا في المرحلة القادمة وهي مرحلة الإنشاء في خلق آخر ومن هنا دقة التعبير القرآني التي نتحدث عنها مراراً ومراراً.

فأين من يقول إن مرحلة المضغة تنتهي في اليوم بضع وأربعين؟

أين هو؟؟ من إتمام التعظم فور دخول الجنين في مرحلة المضغة وهو ما أشار إليه البيان الإلهي وهو من الأمور الواضحة لقد خلطوا الأمور سامحهم الله.

هذا في النسيج العظمي والآن لنتمم كلامنا عن النسج والأعضاء الأخرى ولنتابع في الجهاز القلبي الوعائي حيث أنه يبدأ بالتشكل منذ وقت مبكر فهو من أهم الاعضاء في تلك الفترة والتي ستتابع تشكلها فوراً لتؤمن تغذية الجنين ولذا لم يذكره النبي الكريم عندما فصل في أهم الأعضاء التي تتشكل بعد الأربعين الأولى ومع ذلك فنحن نجد أنه ليس إلا أنبوب أولي بسيط.

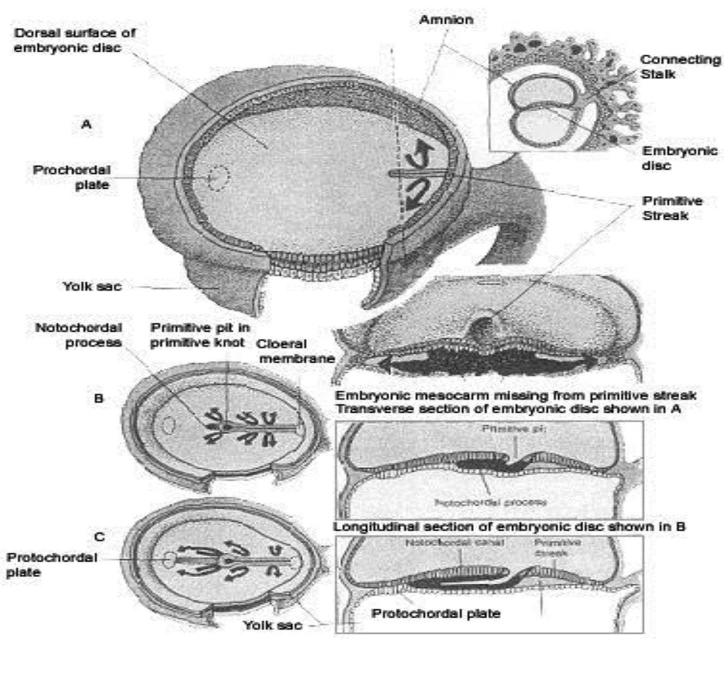
الشكل التالي ترسيمي لنطفة عمرها ٢١ يوماً القلب فيها بشكل أنبوب واحد



[١] التبيان في أقسام القرآن لابن القيم صفحة ٢١٦-٢١٧-٢١٨

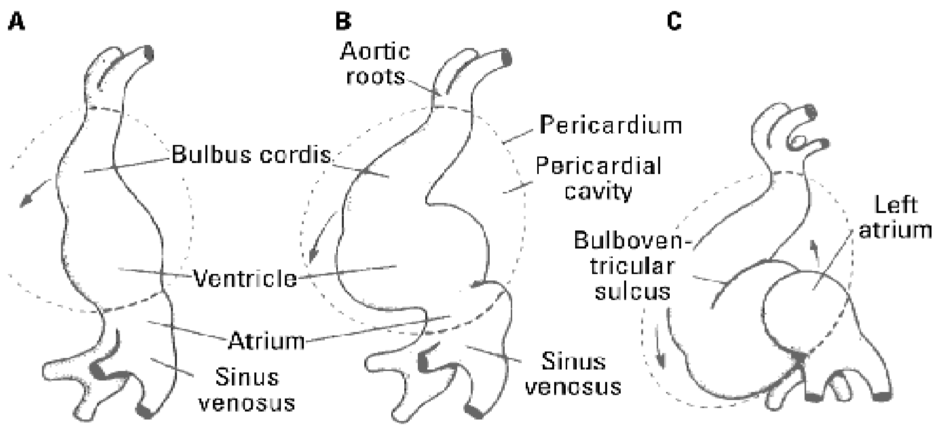
صحيح أنه يبدأ بالنبضان منذ اليوم٢٢ إلا أنه فعلياً لا يكون ناضجاً ليشكل الدورة الدموية المعروفة وإنما يساهم فقط في جعل بداءة نسيج الدم يدور في جسم الجنين دون حاجة إلى أن يكون قد تنقى الدم من دوران رئوي حيث أن الرئتين لا تكونا قد تشكلتا حتى كبداءات في هذا الوقت فضلاً عن أن الجنين يعتمد طوال فترة الحمل على الدوران الدموي المشيمي الذي له الأهمية الأساسية في إعطاء الدم الجنيني التنقية والمغذيات اللازمة له من دم أمه عن طريق التبادل الحاصل معها على مستوى أنسجة المشيمة وهنا نجد أنه على الرغم من هذا إلا أن أنسجة الجنين لا تزال عبارة عن وريقات تبدأ بالالتواءات التي ذكرناها سابقاً في النصف الثاني من مرحلة النطفة وهي بالواقع لا تزال تتغذى بالتشرب على السائل الأمنيوسي المحيط بالنطفة في ذلك الوقت ويمتد هذا حتى تنتهي بالإلتواءات ويبدأ يتشكل الأوعية الدموية التي لا تبدأ بالتشكل قبل اليوم عشرين تقريباً وعندها فترة تحولات النطفة لعلقة وعندها يكون إنتاج الدم في طوره الأولي أي لا تتواجد إلا خلايا أمهات للكريات الدموية فقط أي لا يزال لا يوجد دم حقيقي في النطفة ولا يظهر الدم الحقيقي إلا بعد الأسبوع السادس حيث تدخل في فترة العلقة أي عندها تختلط بالدم فننتبه لدقة هذا الأمر..

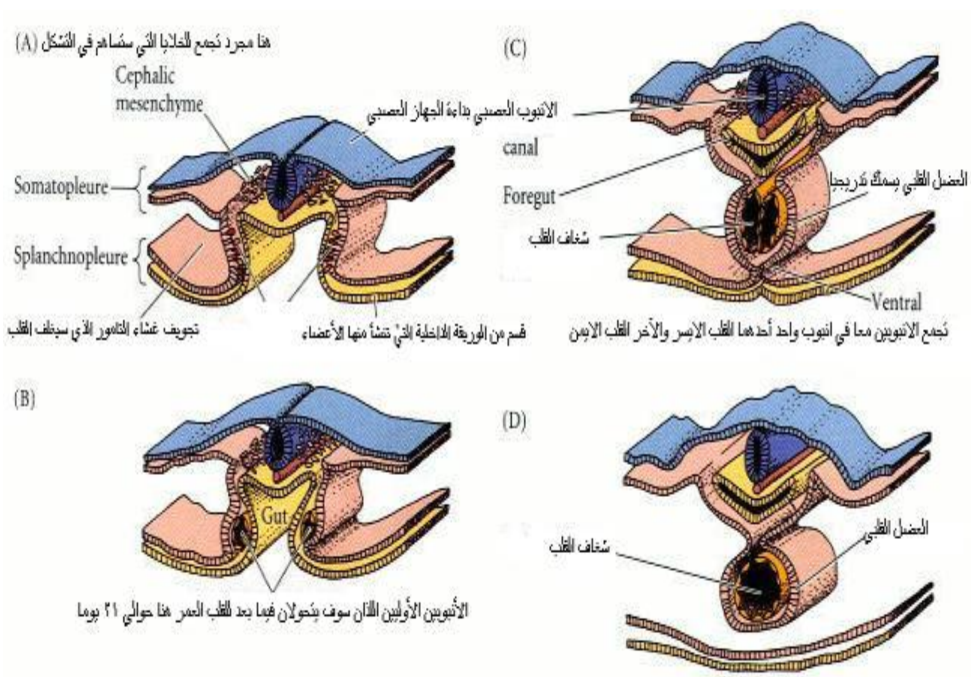
في الشكل التالي لاحظ الوريقات الجنينية وكيف أنها محاطة بالسائل الامنيوسي



إذا إن القلب في اليوم ٢٢ يتشكل من أنبوب واحد وعلى الرغم من كونه ينبض في تلك الفترة إلا أنه غير وظيفي وهذا والله أعلم على سبيل التمرين التمهيدي الذي سيحدث له حيث سيكون جاهزاً فيما بعد ليكون مضخة حقيقية رباعية الأجواف وهذا لا يتحقق قبل الأسبوع السابع.

الشكل التالي يوضح كيفية تشكل القلب في مرحلة الأنبوب الواحد وبعدها تتشكل أجوافه



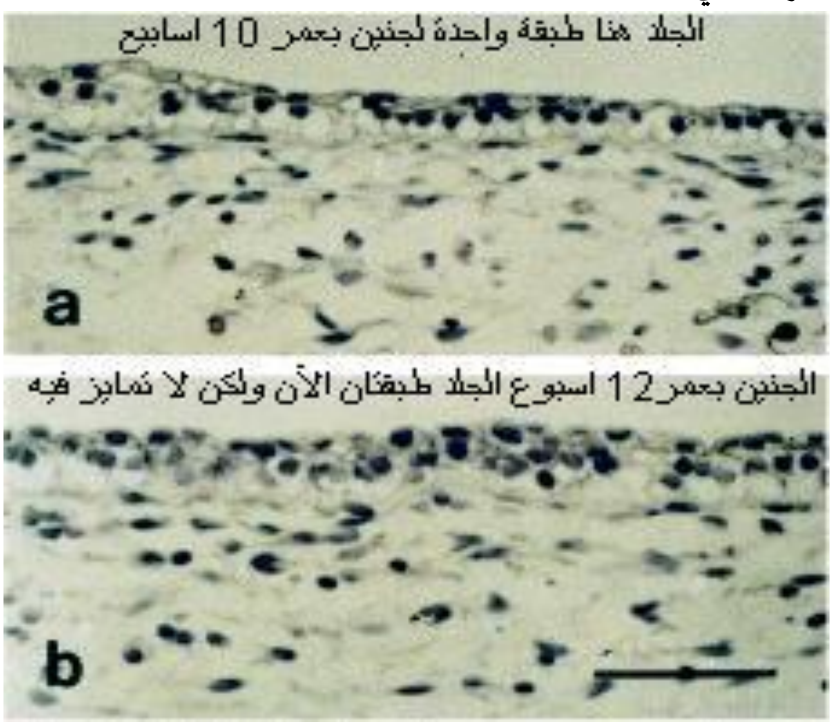


ويتشكل القلب بشكله رباعي الاجواف في نهاية الاسبوع الثامن

أي هذه العمليات كبداءة للقلب سنجد أنها تظهر عملياً في بداية فترة العلقة وما يحدث قبلاً هو تمهيد مثل ما حدث في العرف العصبي الذي فيما بعد سيتطور للجهاز العصبي وقد فصلنا به مسبقاً أما بعد الاسبوع الثامن فنجد القلب شكليا رباعي الاجواف ولكن لا يزال ينقصه تمايزات وتصويرات أخرى لتجعل منه وظيفياً أي قادراً على القيام بعمله هذه التغيرات لا تنتهي قبل نهاية الشهر الرابع وقد وضحناها بالاشكال المرافقة فلنتأمل هذا.

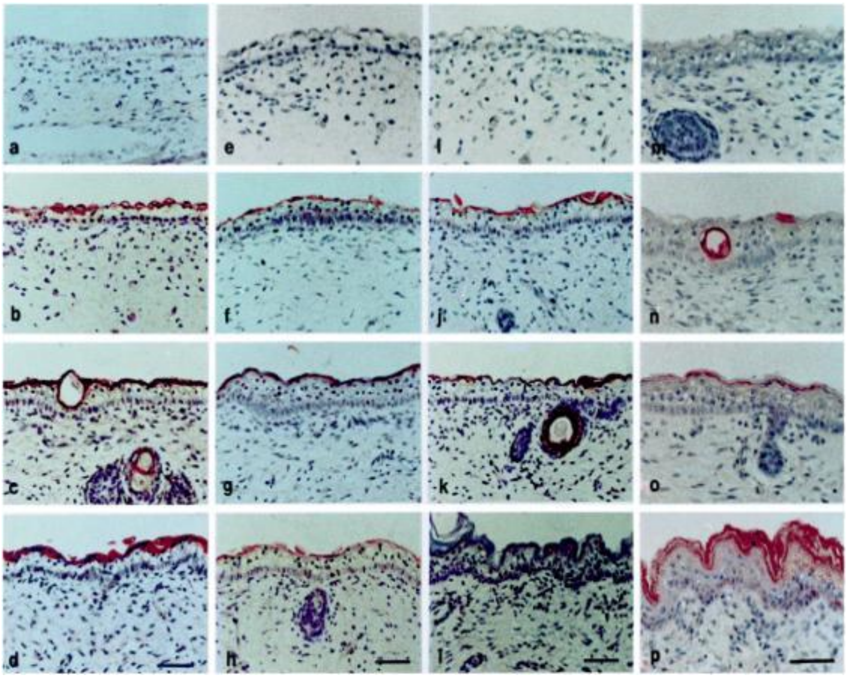
ولنتكلم عن الجلد حيث نجد أن بداءته لا تبدأ بالظهور قبل نهاية الشهر الثاني بشكل طبقتين من الخلايا الغير متمايزة أي لم تتصور بعد بل تكون قد انقسمت لطبقتين فقط بدائيتين.

الشكل التالي يوضح تشكل الجلد الشكل العلوي الجنين بعمر ١٠ أسابيع أما الشكل السفلي (ب) فهو لجنين ١٢ أسبوع لاحظ طبقتين فقط ولا يوجد تمايز حقيقي



أما تشكل البنى الجلدية الحقيقية من الأدمة فلا تكون قد أخذت الشكل الأولي لها قبل نهاية الشهر الثالث والدخول بالرابع.

الشكل التالي يبدأ من الأسابيع ١٢ إلى ٢٤ أسبوع لاحظ تطور البنى الجلدية الأخرى من طبقات الأدمة مع المتقرنه

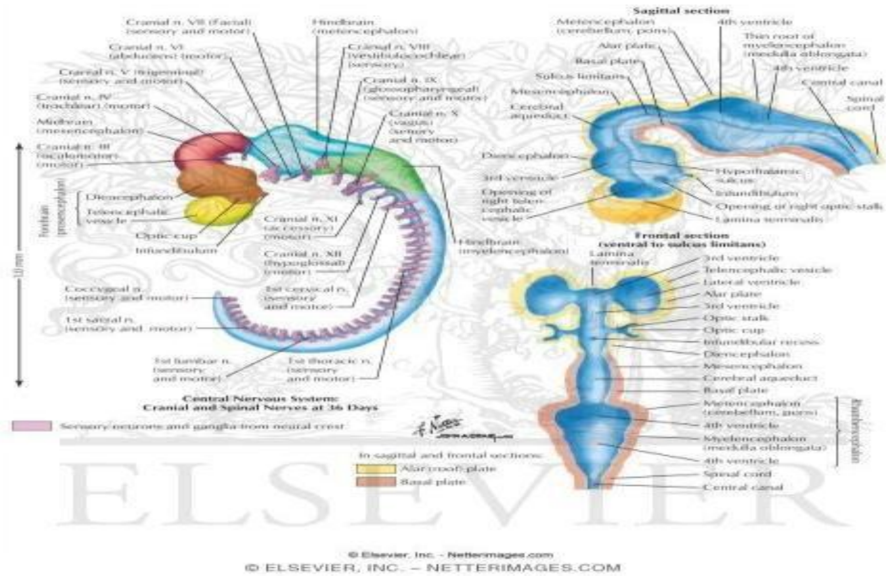


حيث عندها سيحدث تشكل الجلد بكامل طبقاته حتى أن الخلايا الميلانينية المسؤولة عن لون الجلد لا تهاجر نحو الجلد من أصلها الذي هو خلايا العرف العصبي قبل مرور الأشهر الثلاثة الأولى أي دخول الجنيني في مرحلة المضغة لا تظهر الأشعار بشكل بدائي قبل نهاية الشهر الثالث أي خلال الفترة الماضية كانت لا تزال بداءات وهي في فترة العلقة فلا تبدأ بالتشكل من بداءاتها قبل قرابة الأسبوع السادس ولا تتمايز فعلياً قبل الدخول في مرحلة المضغة بل نهايتها لنتأمل الصور المرافقة.

أما خط الغدد الثديية فنجد أن أول تشكل لها يكون أيضا في الأسبوع السابع من خلايا خاصة أيضا وأكثرها يزول وهو ما يحدث في مرحلة العدل التي يعدل جنين الإنسان فيها عن غيره من الأجنة ولا يبقى له إلا فتحتين فقط لثديين وإن الخلل في هذه المرحلة يشكل عدة أثداء للجنين وهكذا لا يأخذ الجلد مظهره قبل انتهاء الشهر الرابع أي نهاية مرحلة المضغة.

بداءة الأنبوب العصبي شكلياً فقط تبدأ فعليا منذ اليوم ٢٣

الشكل التالي يوضح بدء تشكل الدماغ في اليوم ٣٧



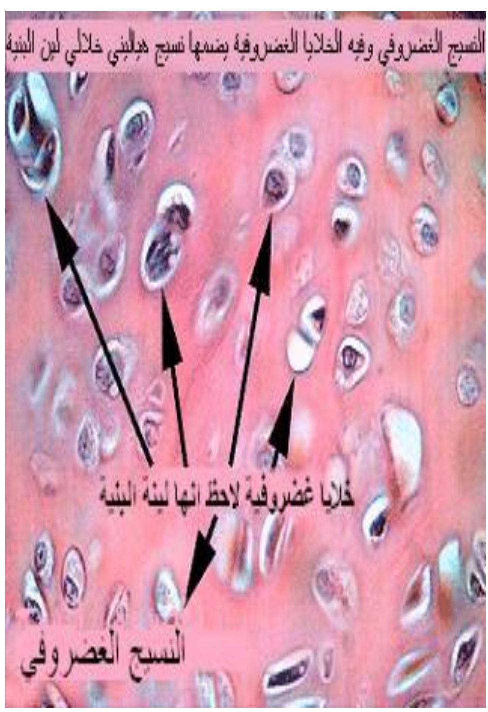
والشكل التالي لنطفة بعمر أسبوعين لاحظ الإلتواء الأولي الذي سيشكل العرف العصبي



ولكن هذه ليست إلا التواءات شكلية تشكل ما يسمى بالعرف العصبي الذي يشكل خلايا أمهات لغيرها من الأنواع الخلوية مثل الخلايا العصبية للجهاز والخلايا الميلانينية في الجلد وغيرها أي ما يحدث ليس إلا تغير التوائي في وريقات الجنين النطفة ستعطيه شكلاً فقط إلا أن التشكل الفعلي نحو الخلايا الوظيفية من البطينات في الدماغ والقشرة المخية وبداءة المخيخ في الأسبوع السادس تقريباً ولا تأخذ وضعها المشابه تقريباً للوضع عند الولادة أي الوضع الوظيفي الذي ستعمل به بكل طاقاتها كنسيج متخصص إلا بعد الشهر الرابع.

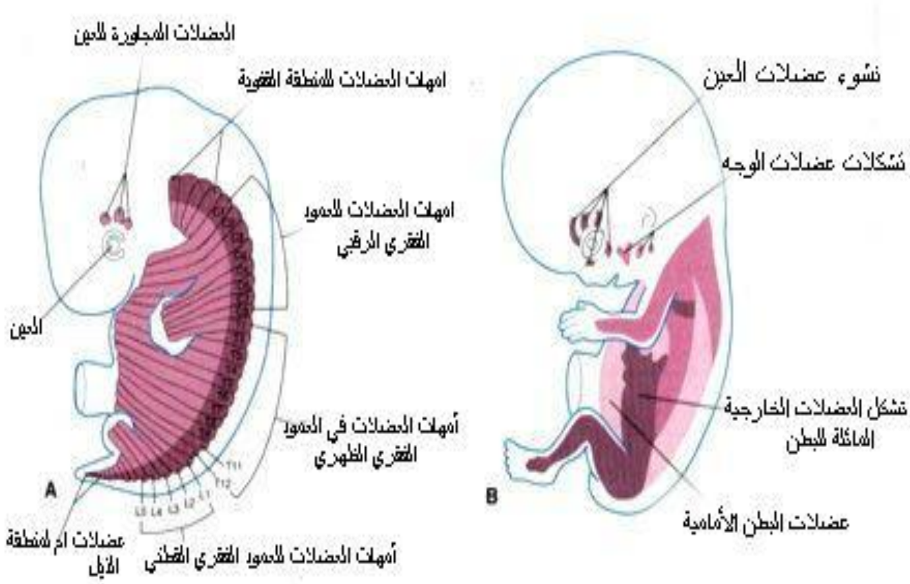
أمهات العظام وتشكيلها للعظام تحدثنا عنها بشيء من التفصيل وكلها عملياً لن تبدأ بالتشكيل للعظام التي تتمعدن بإضافة الكلس عليها إلا في مرحلة المضغة ولا تكون بمعالم مميزة قبل نهاية الشهر الرابع.

في الشكل التالي على اليمين نسيج غضروفي اما في الأيسرفنجد نسيج عظمي لاحظ الفرق

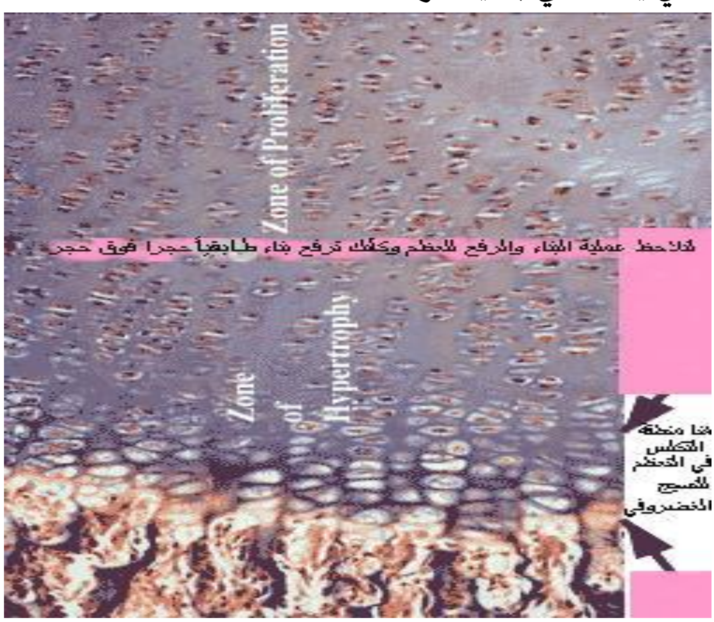




الشكل التالي يوضح أماكن تشكل العضلات في جسم الجنين تأملها بدقة وصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم

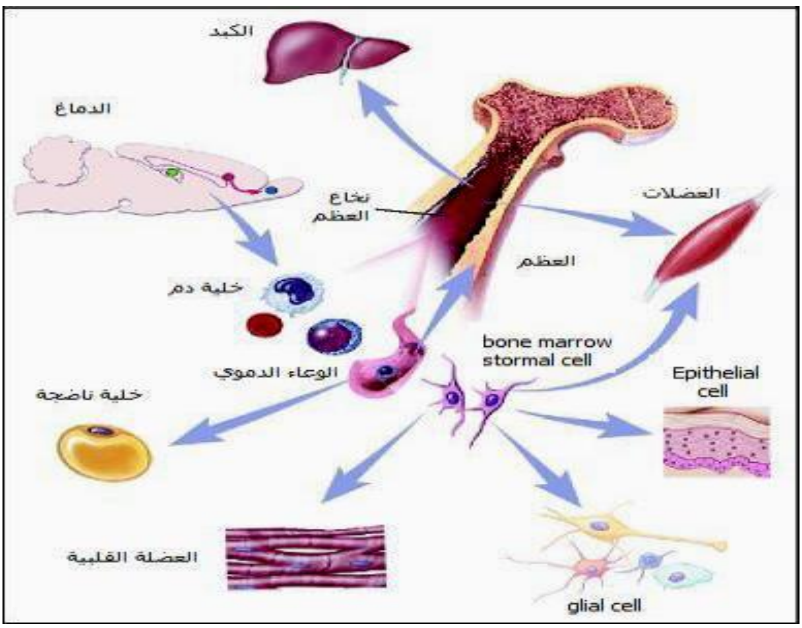


في الشكل التالي نجد عملية التعظم الغضروفي أو ما يسمى بنشز العظم الذي يحدث في بداية مرحلة المضغة



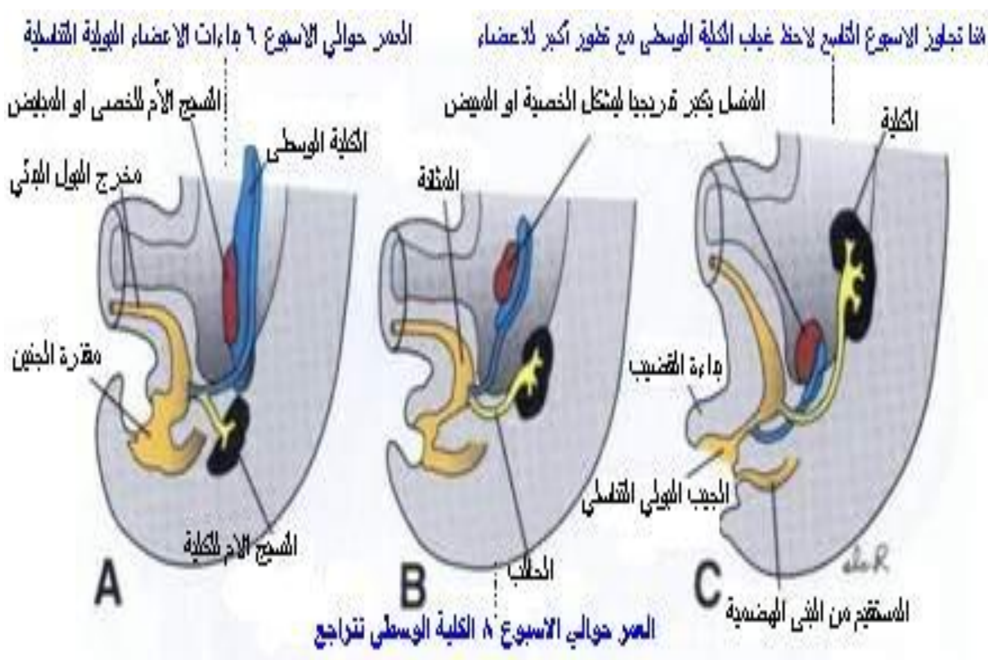
وأمهات العضلات تبدأ بالتمايز بعد نهاية الأسبوع الخامس ولكنها أيضا لا تشكل عضلات حقيقية إلا فيما بعد وهذا سنفصل فيه عند حديثنا عن كساء العظام.

الشكل التالي نجد أمهات النسج المتخصصة (أمهات العضلات-أمهات العظم-أمهات الخلايا الدموية-أمهات الجلد.) والمنحدرة من الخلايا الجذعية الأصلية للجنين وكيفية تحولاتها نحو النسج المختلفة من عضلات وعظام وغيرها

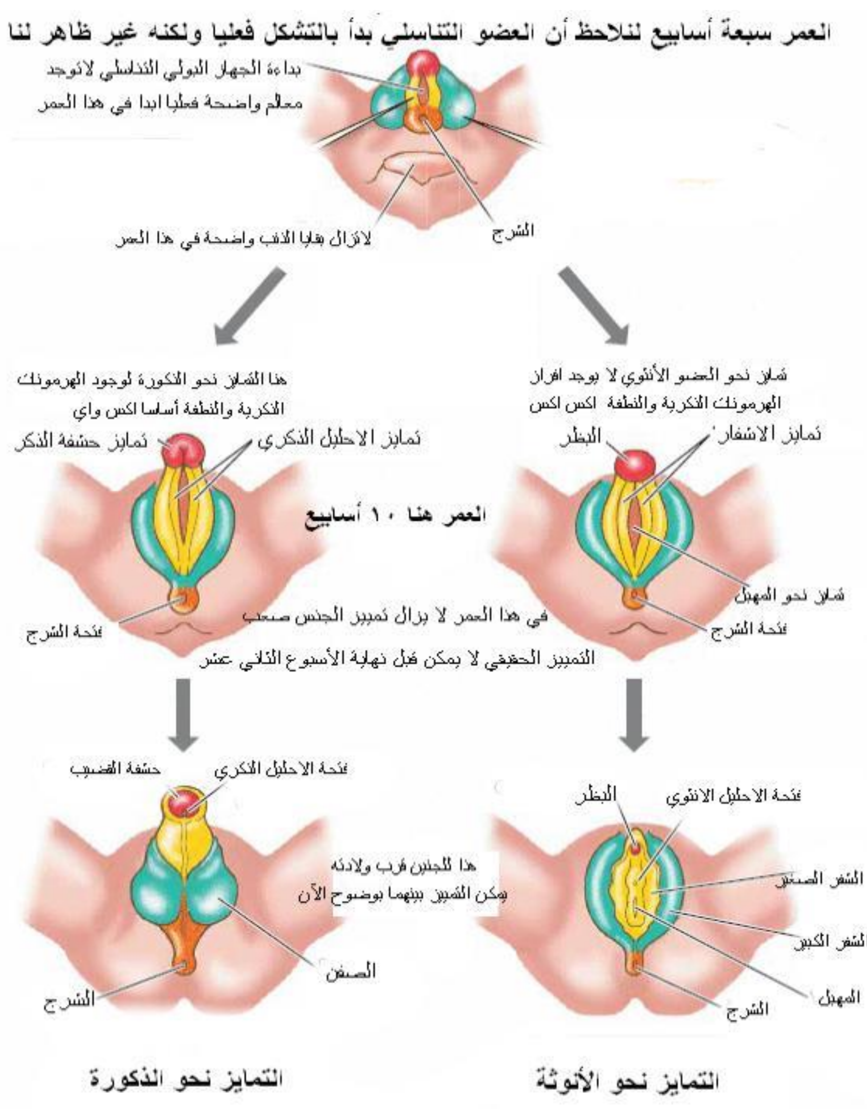


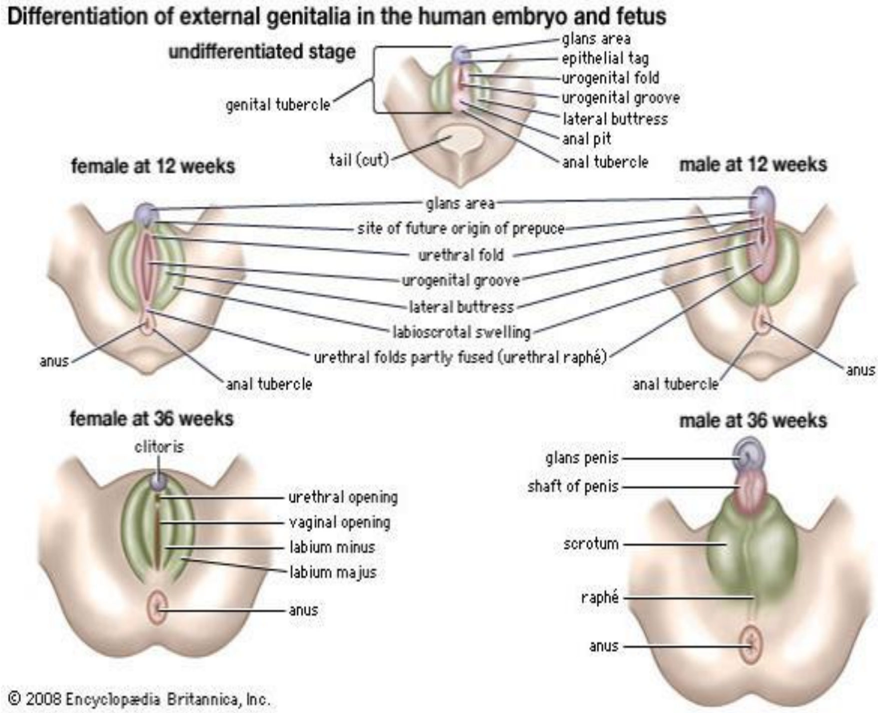
أما المناسل أي جنس الجنين بمستواه الثاني فيبدأ بالتشكل من بنية تسمى الكلية الوسطى بدءاً من نهاية الأسبوع الخامس ولا تصبح ظاهرة ممكنة التمييز قبل الأسبوع الثاني عشر ولا يكون بإمكاننا قبل هذا أن نميزه ظاهرياً أبداً وهو ما أسميناه بالمستوى الثالث الظاهري في تشكل جنس الجنين والجميل في الموضوع أنه في نهاية الأسبوع السادس عشر يمكننا تمييزه بسهولة بالتصوير بالأمواج فوق الصوتية وهذا من إتمام تخلقه الأمر الذي يجعله سهل التمييز عندها فلاحظ أننا ميزناه بشكل مبدئي قد يقع فيه خطأ في أول مرحلة المضغة وأصبح أسهل تميزاً بل واضح تماماً في آخرها وهو تمام الخلق الذي عنيناه وأراده البيان الإلهي لأنه فعلياً واقع عملي نراه بأعيينا تجريبياً فنتأمل هذا والله أعلم..

في الشكل التالي شكل رقم A يوضح تشكل الكلية الوسطى في الاسبوع الخامس وهي فيه ملونة باللون الأزرق ثم في B_C نجد تدرجها نحو الجهازين البولي والتناسلي لاحظ القسم الخاص بالجهاز البولي منها لونه أسود أما القسم الخاص بالجهاز التناسلي فلونه أزرق والخصى منه لونها أحمر وهذا تشكل خفي عن العين أي داخلي.



في الشكل التالي نجد تشكل الجنس الظاهري وهو لا يظهر فعلياً قبل الأسبوع ١٢ بشكل مبدئي وتمييزه بالتصوير بالأمواج فوق الصوتية يكون سهلاً بعد الأسبوع ١٦ تقريباً لاحظ الفروق بين الأعلى والإِسفل فالشكل العلوي بعمر ١٢ أسبوع أما السفلي فهو بعمر ٣٦ أسبوع فتأمل





القلب يبدأ بالتشكل قرابة بضع وعشرين ولا يصبح رباعي الأجواف قبل الأسبوع الثامن أي ضمن مرحلة العلقة ولا يتكامل في أجوافه قبل الشهر الرابع.

تعال إلى الاسنان لا تبدأ تشكلاتها إلا في الأسبوع السادس وهو نهاية مرحلة النطفة وبداية العلقة ويتشكل بتطورات متتالية خلال الشهر الثالث.وهكذا.

أعضاء الفم والبلعوم تبدأ بالتشكل من غلاصم الجنين (بنى غلصمية سنتكلم عنها لاحقا) منذ الأسبوع السادس تقريباً ولا تنتهي قبل نهاية مرحلة العلقة عموماً.

وهكذا لو عدنا لكل الأعضاء لوجدنا أنها ستبدأ بالتشكل نحو التشكل الأولي قرابة الأسبوع السادس ثم ستنضج بعد ذلك في نهاية الشهر الرابع وتصبح حقيقية التمايز وبالتالي كله في خلال مرحلة العلقة التي في نهايتها أي نهاية الاربعين الثانية ستصبح مصورة قطعياً لتتحول إلى المضغة.

وهكذا فلو أردنا ذكر كل قطعة في أعضاء الجسد لوجدنا أن بداءتها تتشكل كما ذكر المصطفى عليه الصلاة والسلام في أول الأربعين الثانية تقريباً ثم نجد أنها تتمايز تدريجياً لتصبح أكثر تمايزاً وفي نهاية مرحلة العلقة تأخذ الشكل الظاهري الفعلي لها ثم خلال مرحلة المضغة ستتم تخلقها وتمايزها أكثر لتصبح وظيفية وفعالة في آخر هذه المرحلة ليضاف عليها نضج آخر يجعلها أنسب للحياة وهذا ما يتم بعد بث الروح

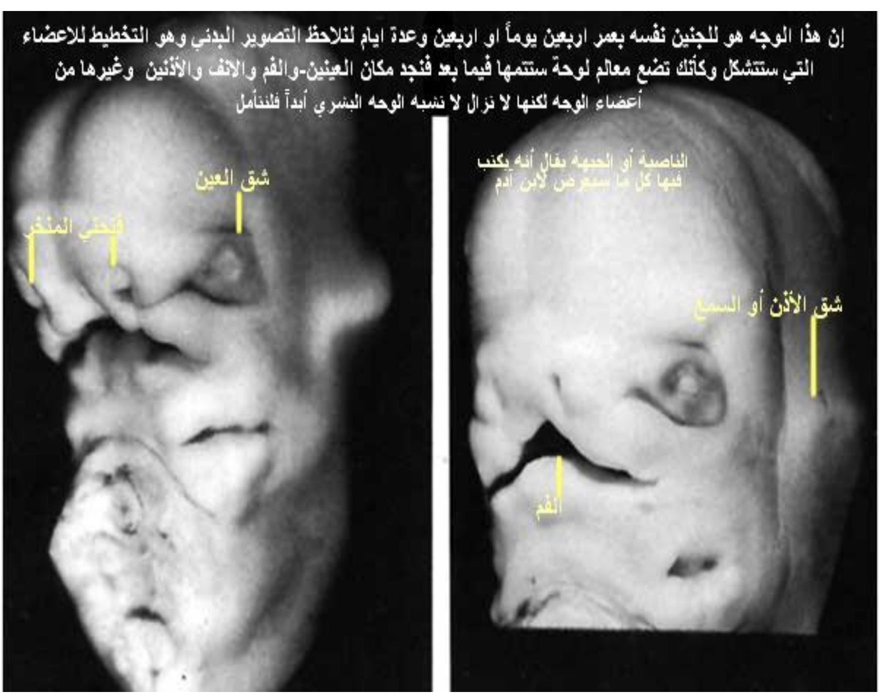
في الجنين بعد نهاية الشهر الرابع(١٢٠ يوم)وهي مرحلة تمتد لمدة شهرين على الاقل أسماها البيان الالهي بمرحلة الانشاء في خلق آخر في قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) فلنتأمل حيث ان هذا كله من المثبتات حسب علم الاجنة وما ثبت فيه مؤخراً ولنصلي على افضل الخلق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى..

إضاءات جديدة على معنى مخلقة وغير مخلقة:

إن معنى مخلقة وغير مخلقة له وجهان فمن العلماء ما قال إن مضغة مخلقة اي تكون تامة التخلق فتتابع نموها وتصبح جيدة التمايز عموماً أي تامة التشكل وبالتالي تصلح لأن تبث فيها الروح وعندها تبث فيها الروح بعد انتهاء مدة المضغة وهي الأربعين الثالثة أي بعد مرور مئة وعشرين يوماً

ومنها ما تكون غير مخلقة أي لا تتشكل وتتمايز بشكل تام أي هناك خلل في تمايز أعضائها وهذه تكون من الأساس لم يقدر لها أن تعيش وتتابع حياتها منذ أن مر الملك عليها وتسورها على رأس الثنتين والأربعين ليلة كما مر معنا بالحديث الصحيح

الشكل التالي لجنين بعمر بضع واربعين يوماً وهو لا يزال بشكل غير مخلق فعلياً حتى ان وجهه غير واضح انه بشري وإذا لم تقدر هذه النطفة قد تسقط وطبعاً لا يتجاوز قطرها هنا نصف الى سنتمتر واحد فقط



وبالتالي فمنها ما يسقط منذ الاسبوع السادس ومنها ما يتابع تخلقه بدون تخلق جيد فلا تبث فيها الروح وتسقط قبلها حيث نقول إنها لم تصبح مهيأة لبث الروح فيها.

هذه الصورة في نهاية مرحلة المضغة بعمر ١٨ أسبوع تقريباً لاحظ شكلها ومظهرها البشري المفصل فهي مخلقة أي تامة التخلق



ولعل هذه حقيقة فعلية علمياً حيث أن المضغة المتمايزة أي بعد أن تتشكل بداءات الأعضاء فيها بشكل جيد في الأربعين الثانية وتنضج بشكل سليم وجيد التمايز أي دون تشوه كبير في أحد أعضائها الهامة فإنها عندها ستنجو وتعيش كجنين طبيعي وتبث الروح فيها وفعلياً ستنمو بشكل طبيعي لتعطي الإنسان المطلوب أما إذا ما تعرضت قبل الشهر الرابع الى تشوه في تمايز أحد أعضائها الهامة من القلب أو الجهاز العصبي أو غيره من الأعضاء فنجد بأن هذا غالباً ما يكون مانعاً لمتابعتها الحياة وحتى إن حصل وتابعت حياتها تكون معطوبة أي غير صالحة في جانب ما من جهة العضو المصاب بسوء التمايز وعموماً فإن

التشوهات التي تقع في بين فترة تشكل بداءات الاعضاء إلى تمايزها بشكل صحيح وهو نهاية الأسبوع ١٩ تقريباً اي نهاية فترة المضغة تكون جوهرية وأساسية في حياة الإنسان القادم وغالباً ما تكون مميتة أما ما يحدث بعدها فيكون له أثر لا يخفى ولكن أقل نسبياً ومن هنا كان تشبيهها من قبل النبي في الحديث الصحيح الذي ورد عنه صلى الله عليه وسلم :

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)). متفق عليه[1]

لنلاحظ قوله عليه الصلاة والسلام فهو يتكلم عن سلامة القلب وأن في سلامة القلب سلامة الانسان أي في صلاحه صلاح صاحبه وبالعكس ولكن بماذا شبهه؟

والجواب أنه شبهه بالمضغة.

طيب وهل القلب بحجم المضغة؟

طبعا لا فهو بحجم قبضة اليد تقريباً أي أكبر من ذلك بكثير ومن يقول هذا؟

إنه الذي لا ينطق عن الهوى

إنه بالواقع بحسب فهمي للحديث يشبهه بمرحلة المضغة في جنين البشر والتي إذا ما صلحت نتيجة إتمام تشكلاتها وتمايزاتها صلح الجنين الناتج وإذا ما فسدت وفسد تصورها وتطورها فسد الجنين ولم يعد يصلح او على الأقل سيصبح معطوباً بعطب ما بحسب مكان التشوه الحاصل.

وهذا ما نجد بالتشبيه الحاصل مع القلب فإذا ما فسد إيمان القلب وتصديقه فسد ما تلا ذلك من العمل حتى ولو كان خيراً وعندها يعجل لصاحبه في إثابته على صالح عمله في الدنيا كي يحتج به عليه في الآخرة وأما إذا دخله الخلل فيفسد على صاحبه عمله أو على الأقل ينقص من ثوابه ويورده موارد الشر التي سيعاقب عليها فيما بعد.

---

[1] صحيحي البخاري ومسلم.

لو نظرنا لهذا التشبيه لوجدنا أنه تشبيه بديع رائع المعنى وهو بنفس الوقت حقيقة علمية أوردها صلى الله عليه وسلم فلنتأمل ونسبح بحمد ربنا الذي علمنا ما لم نكن نعلم لا إله إلا هو إليه المصير.

هذا وجه أما الوجه الثاني لمعنى مخلقة وغير مخلقة فهو أن هذه المضغة ستكون مخلقة في بعض أجزائها أي تامة التخلق وستكون محتاجة إلى تخلق إضافي في أجزاء أخرى ولعل هذا المعنى دقيق أيضا وبشكل كبير

وفعلاً المضغة تكون متخلقة أي متصورة في أجزائها عموماً إلا أنه لا يزال ينقصها بعض التمايز في أعضائها عموماً أي يوجد كما يقال بعض اللمسات الأخيرة التي ستجعلها إنساناً كاملاً فعلياً وهو من جسد من جهة وتضاف إليه الروح لتصبح المضغة إنساناً كاملاً أي جسداً وروحاً ولذا كان لا بد من أن تكمل تمايزها في بعض الأجزاء بعد بث الروح لتتوالف هذه الروح مع الجسد ويصبحان كلاً واحداً متناغماً هو الإنسان الكامل فعلياً وهذا أيضا معنى بديع.

فالجنين لا يزال في بطن أمه ولكنه لكي يستطيع بعد ولادته أن يتنفس من رئتيه لا بد مما يسمى النضج الرئوي الذي لا يحدث إلا بعد الشهر الرابع حيث تتشكل في رئتيه مادة زيتية الطبيعة اسمها العامل السطحي أو السورفاكتنت الذي سيكون السبب في نضج الرئتين فتصبح قادرة على التخلص من انكماشها الذي كانت عليه في داخل الجوف الأمنيوسي داخل بطن الأم حيث تكون مليئة بالسائل الأمنيوسي ولا بد من إزالته عنها وهذه المادة لا تنهي تشكلها ونضجها قبل بداية الشهر السابع ليصبح الجنين قادراً على أن يزيل هذه السوائل من رئتيه بعد أول صرخة يقوم بها حيث تكون من الأهمية بمكان بحيث تطرد كل هذه السوائل من رئتيه وتجعله يأخذ أول تنفس يبقيه حياً متنفساً بعد ذلك طيلة حياته..

الشكل التالي يوضح الطفل وصرخته وبكائه فور الولادة أنه أول زفير يخرج من رئتيه السائل يتبعه أول شهيق في حياته تأمل



هذا مثال بسيط وسنذكر عدة أمثلة عن هذا عند كلامنا عن نضج وتمايز الجنين المتمم له في مرحلة الانشاء في خلق آخر حيث عندها يكون قد أصبح بكينونته انساناً كاملاً والله اعلم.

فصل: الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ((فخلقنا المضغة عظاماً))[1]

لقد أفردت هذا الموضوع بفصل خاص على الرغم من أنني ذكرت أهم تفاصيله إلا أن الخلل في فهم هذه الآية من قِبل البعض هو ما جعلني أهم بكتابتي له حيث أن ربنا عز وجل قال **(فخلقنا المضغة)** لنلاحظ أن المضغة معرف بأل أي مقصودة بذاتها وهو سبب تعريفها بأل وهي الجنين في مرحلة المضغة وهو كل من كل أي أن الجنين كله مضغة وهذا لا أظن أن يخالفني به أحد أما تتمة كلامه عز وجل فهو: **((عظاماً))** ولنتنبه إلى أن عظاما هي نكرة أي هي غير مقصودة لذاتها أي كأنه يقول إنا خلقنا هذه المضغة عظاماً أي تفيد معنى البدل بعض من كل أي بعض المضغة خلقناه عظاماً وهذا ليس في محل إعرابها بالضبط وإنما في مقصد التعبير

[1] سورة المؤمنون آية ١٤

اللغوي منها كما هو واضح وهذا مشابه لقوله تعالى **(خلق الإنسان من علق)**[1] أي خلق الإنسان كله من شيء علق ببطانة رحم أمه وهذا فصلناه سابقاً وقلنا إنه لا يخلق من كل العلق الانسان كاملاً وإنما من بعضه أي من بعض خلايا النطفة الأمشاج وليس من كلها وهذا مثبت طبياً علميا وحتى شرعاً كما نوهنا له وقتها وهو ما يتفق مع قوله صلى الله عليه وسلم: **((ما من كل الماء يكون الولد، إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء))**[2] أخرجه مسلم.

وهذا لو اسقطناه على أن الماء هو البيضة الملقحة نفسها يكون متوافقاً مع الآية وفيه وجه إعجازي بديع وهو وجه من وجوه التفسير المعتبرة فتأمل يا رعاك الله ..

ما أريد أن أقوله أن تخلق المضغة لعظام يكون في بعض أجزائها ولا يكون في كلها وهذا جلي واضح واقعياً فضلاً عن المعنى اللغوي الذي أشرنا له ولذا لم تكن فترة تخلق العظام مرحلة خاصة وإنما كانت من ضمن مرحلة المضغة وإلا لكان النبي صلى الله عليه وسلم أشار لذلك عند كلامه عن تسلسل المراحل الجنينية ولذا لا يمكننا أن نجعلها مرحلة وإنما هي ضمن مرحلة أخرى هي مرحلة المضغة وهنا اقول إن ما أورده بعض العلماء الكرام في مجال الأجنة وجعلوا له باباً خاصاً أو مرحلة خاصة أسموها مرحلة تحول المضغة الى عظام لا وجه له أي أننا صحيح نتكلم عن خلق العظام في مرحلة المضغة لكن لا نجعلها مرحلة خاصة وإنما هي من ضمن تسلسل التخلق الذي تحدثنا عنه وحتى النبي صلى الله عليه وسلم عندما تحدث عن الملك قال **((فيخلق لها سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها))**[3]

أي أن الجنين لا يتحول كله إلى عظام لنقول مرحلة تحول المضغة الى عظام أو ما شابهه من الكلام وإنما نتحدث عن تخلق العظام كعضو من الأعضاء التي بدء تخلقها في أول الاربعين الثانية (أول مرحلة العلقة) وتتالى ليبدأ بالتصور والتمايز في أول مرحلة المضغة ثم ليتتالى نضجه تباعاً في أواخرها بل ليمتد حتى ما

---

[1] سورة العلق آية ٢

[2] صحيح مسلم كتاب النكاح

[3] صحيح البخاري ومسلم

تلاها في بعض أقسامه وهذا في حد ذاته إعجاز هائل في ذكر تخلق العظام في أول مرحلة المضغة.

وفعلاً فانه في بين الأسبوع الخامس الى السادس وهي بداية مرحلة العلقة تقريباً تبدأ القوالب الغضروفية بالظهور

وتتتابع طوال مرحلة العلقة هذا في العظام الطويلة التي ستتعظم بطريقة تسمى علمياً تعظما غضروفياً أي بدءاً من نسيج غضروفي سيحدث فيه ترسبات معدنية لاملاح الكلسيوم مما سيسبب تصلبها وتحولها الى بنى عظمية فعلياً ولكنها تكون لحمية او اقسى قليلا في هذه المرحلة وهي القوالب الغضروفية وهي عبارة عن ألياف هيالينية البنية أي كالجيلاتين السميك الذي هو نسيج ضام تقوى بالألياف هذه القوالب تعتبر بنى بدئية للعظام ومن هنا قلنا أنها التخلق الاولي للعظام ولذا قال عن أول العلقة أنه خلق لها عظمها وهو إيجاد لبداءة عظمها فعلياً كما اتفقنا على معنى الخلق أنه إيجاد لبداءة الشيء وقد ناقشناه سابقاً..

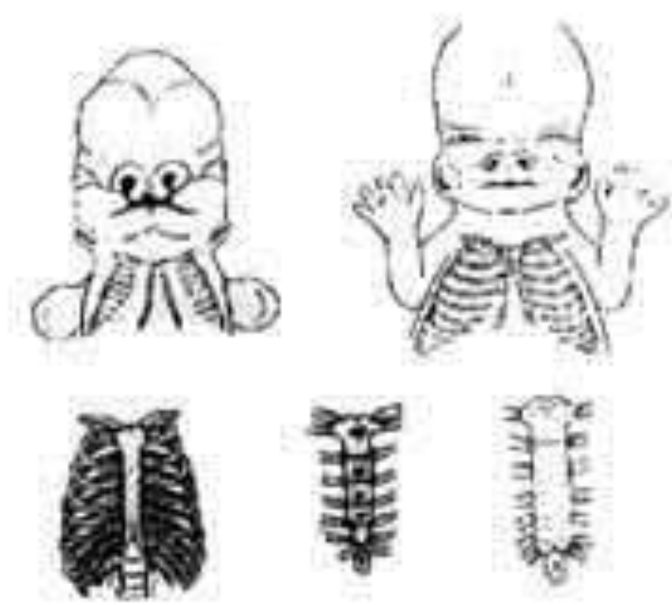
لاحظ بالشكل التالي كيفية نشوء بداءات الاطراف بشكل نتوء من اللحم أي النسيج الضام في الشكل أ-

أما الشكل ب -و ج-فنجد بداءة الغضاريف قرابة الأسبوع الخامس الى

ال ـر



أما مناطق التعظم الغشائي وهي المناطق التي لن تحتاج إلى بنى غضروفية قالبية وإنما ستترسب الأملاح الكلسية والمصلبة لها فوراً في النسيج الضام المؤسس لها وهو مانراه في عظام الجمجمة مثلاً أو القص أو الأضلاع وغير من العظام المسطحة في الجسم فنجد أنه في في الأسبوع السادس نجد تمايز بعض الخلايا الأولية إلى ما يسمى بأمهات العظام اي الى نسيج ضام ميزته أنه سيتملك صفات النسيج العظمي لاحقاً هذه النسج أيضاً تكون طرية لحمية الطبيعة كلها أي لا يمكن أن تسند نفسها يبدء التعظم فيها مباشرة في ترسب أملاح الكاليسيوم فيها مباشرة وهو ما يسمى علميا التعظم الغشائي .**لاحظ الشكل التالي العظام غشائية التعظم**

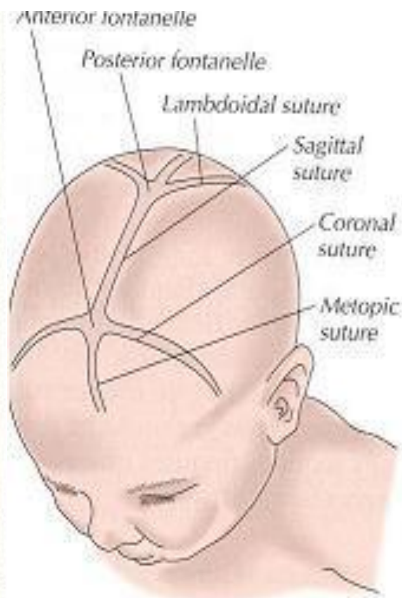


والبديع كما أوردنا بشكل موجز سابقاً أن ربنا عز وجل قال حتى عن أول مرحلة المضغة (**فخلقنا المضغة عظاماً**) ولم يقل صورنا وهذا من براعة اللفظ القرآني وهو كلام الخالق الذي يعلم ما يخلق ففعلا إن الذي يحصل في الأسبوع الثاني عشر وهو أول مرحلة المضغة ليس تصويراً نهائياً للتعظم وإنما هو بدء لعملية التعظم في العظام الطويلة فحسب سواء كان هذا تعظماً غشائياً ام غضروفياً أي إن بدء التعظم يتابع في أول مرحلة المضغة قرابة اليوم ٨٢ ولكن سيتمادى ويتتالى تدريجياً ولن ينتهي هنا بل سيبقى في بعض بُناه ليّناً ولا يتعظم

إلا بعد الولادة بل بعضه يبقى حتى سن الثامنة عشرة أو يزيد ومن أمثلة ما يبقى ليّناً اليوافيخ الدماغية التي تبقى لينة حتى قرابة العام من عمر المولود حيث أنه في هذه المرحلة سينمو الرأس ومعه الدماغ بسرعة في حجمه وتفيد هذه المناطق بتمدد الرأس معه بشكل سليم لا يأخذ شكلاً مشوهاً وإنما يتمادى معه بما يتناسب مع حجمه وشكله المتناظر ولو قدر أنه تعظم بشكل كامل لأدى لتشوهات ومشاكل خطيرة أوضحها بالأشكال المرفقة..

الشكل التالي على اليمين نجد اليوافيخ عند الطفل بعد ولادته وكيف أنها تساعد في تمدد الجمجمة ونمو الدماغ داخلها أما الشكل على اليسار يوضح يافوخ مقدمة الجمجمة عند الجنين لاحظ أنه يبقى فواصل غير متعظمة بين العظام



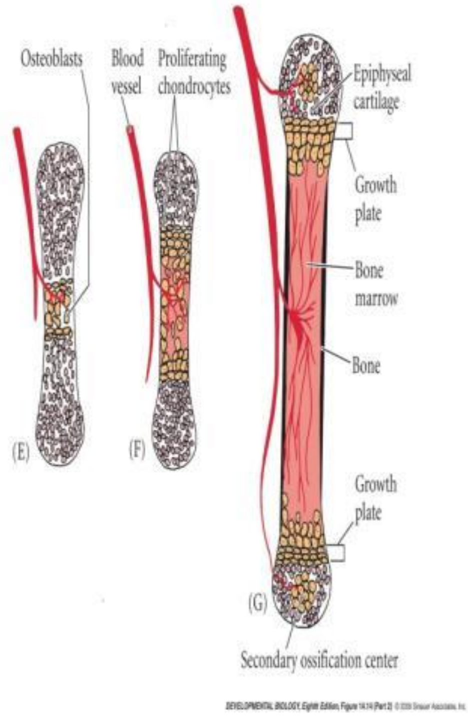


أما عدم إتمام التعظم في العظام الطويلة وهو أمر يلازم الطفل حتى سن الثامنة عشرة ومنها ما يزيد فهو هام جدا في قضية النمو الطولي حيث أنه بالقرب من مشاشات العظام يبقى غضروفياً ليساعد على تمطط العظم مما يساهم في هذا ويتأثر بالإفرازات الهرمونية ولا سيما الهرمونات الجنسية منها بعد البلوغ أما لوتعظمت هذه البنى التي تسمى علمياً غضاريف النمو لأدى هذا إلى عدم قدرة العظام الطويلة على التمطط أو التطاول وبالتالي يؤدي هذا الى القزامة فلنتأمل

دقة اللفظ القرآني الذي قال **(خلقنا)** ولم يقل صورنا فسبحان الله **((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))**[١].

في الشكل التالي على اليمين لاحظ تشكل المشاش العظمي وكيفية بقاء ما يسمى بخط النمو الذي هو من طبيعة غضروفية لا تتعظم أما الشكل على اليسار فهو صورة شعاعية لعظم الساق عند الطفل ونجد فيه بقاء فواصل بين العظام هي غضاريف النمو التي لا تتعظم حتى سن الثامنة عشرة تقريباً وقد تزيد وهي التي ستساعد في نمو الطفل الطولي



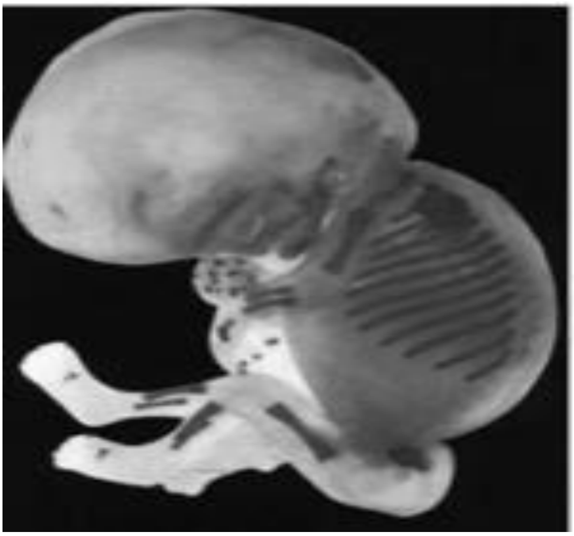


إن بدء تخلق عظام الأطراف يكون حوالي الأسبوع الرابع إلى الخامس حيث أنها تبدأ بالظهور كسماكة في النسيج الضام تسمى بالقلنسوة وكلها نسج بدئية ضامة وهي تحرض الأطراف على النمو وفق آليات مجهولة حتى الآن ونجد آنه في طور تشكل بداءات الأعضاء قرابة الاسبوع الثامن نجد أنه تكون قد تقسمت الى أصابع وظهرت شبه واضحة المعالم نسبياً ونجد أن فيها في هذا

---

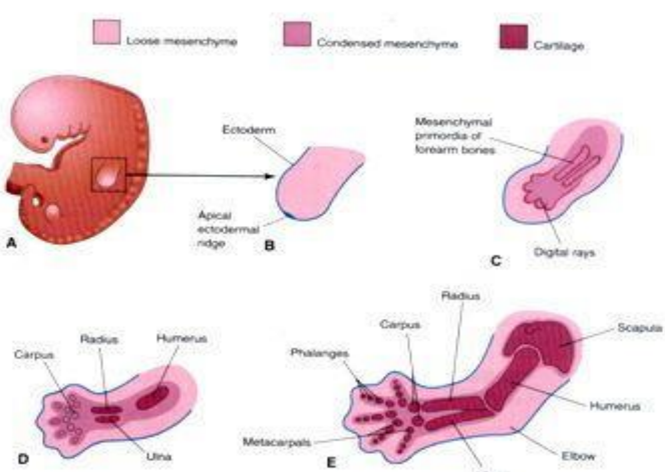
[١] سورة الملك آية ١٤

الوقت القوالب الغضروفية التي ستؤسس لما سيتعظم فيما بعد وهي العظام الطويلة فيها وهنا نجد خلايا أمهات للغضاريف مع تليفات حولها أي نسيج ليفي ثم تبدأ عملية تعظمها منذ نهاية الاسبوع الثاني عشر واليكم الاشكال لتوضيح هذا:



الشكل التالي لجنين بعمر ثمانية اسابيع تقريباً نجد فيه بدء تشكل الهيكل الغضروفي الذي سيتعظم لاحقاً لاحظ الغضروف نفسه غير مكتمل بشكل كامل وبينها فواصل كبيرة الجنين لا يمكن أن يحمله مثل هذا التشكل لا يزال يحتاج لتصلبه الذي سيحصل لاحقاً

في الشكل B– A نجد تشكل بداءة الاطراف من القلنسوة التي تتشكل أولياً من اللحم أي النسيج الضام ثم حوالي الأسبوع الخامس ثم تأخذ شكلها الحقيقي في الأسبوع الثامن أما البنى الغضروفية فنرى بدء تشكلها في الشكل c ثم تشكل العظام الطويلة كما هو واضح في الاشكال D –E فتأمل وسبح الله..



فصل: قوله تعالى **(فكسونا العظام لحماً)**[1]

والمقصود باللحم هنا هو العضلات الهيكلية والسبب أنه عز وجل يخبرنا بان العظام قد نصبت الجسم وجعلته قائماً وأنه فرشها وكساها باللحم الذي سيتمم وظيفتها ويحولها من بنية صلبة جامدة لا معنى لها بذاتها إلى بنية وظيفية تقوم بالحركة وهو الغرض الثاني منها فهي من جهة ناصبة للجسم ورافعة له ومن جهة أخرى لها أهمية في حركة الجسم الوظيفية فالهيكل الداعم الأول هو العظام والهيكل الداعم الثاني هو العضلات المخططة التي تثبت العظام قرب بعضها وتقوم بكسائها وتثبيتها على رؤوس المفاصل فتعطي الجسد القوام الحسن وتقدم بطريقة تثبيتها هذه للمفاصل الحركة الضرورية لها وكله مأخوذ من معنى عميق لكلمة فكسونا سنفصله لاحقاً..

وبالفعل فقد تبين أن بداية القوالب الغضروفية لا تبدأ بالتشكل قبل الاسبوع الرابع ثم تتكامل لتأخذ شكلاً جاهزاً للتعظم فيما بعد وهو أمر يسبق التصوير الأولي الذي سيقوم به الملك حيث أن معنى هذا التصوير أن معداته قد تم إعدادها سلفاً لتأخذ الشكل العام لها وفي حوالي اليوم بضع واربعين تصبح واضحة ومصورة كتخطيط أولي لما سيكون.

تكون بدايتها بشكل خلايا أمهات للغضاريف أي بشكل نسيج ضام أُم للنسيج الغضروفي وهو بهذه الصورة لا يزال لحمياً ضاماً لا يستطيع أن يصلب نفسه في حين أن بداية تشكل النسيج الضام الطرفي أو ما يسمى بالبرعم الطرفي والذي ستتشكل فيه العظام والعضلات تكون في الاسبوع الرابع الى الخامس كما أسلفنا.

أما الخلايا أمهات العظام ايضاً التي ستكون بداءة للنسيج العظمي القادم وكلها لاتزال بشكل نسيج لحمي الطبيعة عموماً كما أن شكل الأطراف الكامل وتطوره ليأخذ شكله العام لا يكون قبل نهاية الاسبوع الثامن وبالتالي فان الخلايا الاصلية للنسيجين العظمي والغضروفي تبدأ بالتشكل والتوضع بشكل متساير وهنا أخص بالذكر النسيج العظمي الذي يتوضع في مكانه الأولي التي هي القوالب

[1] سورة المؤمنون آية ١٤

الغضروفية التي تأخذ شكل العظم ثم تبدأ فيها عملية التعظم الغضروفي التي نوهنا عنها سابقاً أي إنها تتواجد في نفس مكان العظم وبشكله ذاته لتأمين توضعه الصحيح في مكانه لاحقاً ولذا نجد أن النسيج الأم للنسيج العظمي عملياً يختلف عن الغضروفي فلا مجال لأن نقول أنهما سواء حتى في أصلهما أما بقاء الغضاريف فقلنا أنه مهم لعملية إتمام النمو الطولي ونمو الدماغ داخل القحف بعد ذلك حيث أنه لو حدث التعظم بشكل كامل لصلبت العظام ولما حصل هذا النمو للانسان بعد ولادته ومن هنا كانت براعة اللفظ القرآني في وصف خلق المضغة عظاماً كما أوضحنا..

ولذا اقول إن النسيج العظمي يختلف ببداءته عن هذه النسج البدئية وهو لا يظهر أقصد عملية التعظم فيه إلا بعد تمام نمو الاطراف تماماً وأخص هنا الأطراف لأنها الأوضح لنا ظاهرياً ونسيجياً إلا أن باقي العظام في الجسد وفي كل العمود الفقري نجد أنها ستمر بنفس المراحل وهي تشكيل أولي للنسيج الضام اللحمي لبداءة العظم ثم نزول القوالب الغضروفية فيه ثم بدأ عملية التعظم حيث أنها لا يمكن أن تبدأ أي عملية التعظم هذه سواء كان غشائيا مباشراً على أمهات العظام أو تعظماً غضروفياً إلا بعد تهيوء الطرف أو مكان نشوء العظم له حيث أن بداية تشكله كعظم ستقضي بتصلب مكانه فلا يمكن بعدها أن يأخذ أي شكل آخر له ومن هنا كانت أهمية القوالب الغضروفية في استعداد الأطراف له وتكون النسج أمهات العظام أو التي ستتعظم متسايرة في تشكلها لنسج أمهات العضلات وتتوضع جنباً إلى جنب ولكنها تسبقها قليلاً على العموم أما عملية التمايز نحو النسيج المطلوب سواء عظمياً أم عضلياً فتحدث أيضاً بشكل متساير حيث أن بداءات الغضاريف تشكل القوالب الغضروفية التي تتوضع فيها أمهات العظام وكذلك العضلات أما عملية التثبيت التي ستحقق الكسوة الحقيقية فلا تتم إلا بعد انتهاء تشكل النسيجين العظمي والعضلي فأنت عندما تضع ثوبا على جسمك لا يحقق الكساء عليك قبل تثبيته على نفسك بحيث إذا تحركت لا يزول عنك أو يقع وهذا يتم بوسائل التثبيت الخاصة من أزرار وخياطة أماكن ارتكازه بشكل يتمسك فيه بجسمك وكذلك الأمر هنا لأنه لو وقع لكان غطاء لا كساء وهذا هو الحال هنا أي أن النسج تتشكل مع بعضها وتتابع تشكلها وتمايزها ولكن

تثبتها مع بعضها هو الذي يتأخر لما بعد التشكل وهنا المثبت للعضلات على العظام أمرين أماكن ارتكاز تكون للعضلات على جسم العظم وأماكن ارتكاز أوتار العضلات على المفاصل وهي الأهم لأنها ستحول البنى كلها لبنية متحركة ذات وظيفة وهو الأمر الذي لا يحدث فعلياً إلا بعد انتهاء التشكل للبنى جميعاً أي انتهاء تشكل العظام والعضلات وفي مرحلتها هذه تتم عملية التثبيت تلك..

ولو عدنا للآية الكريمة لوجدنا أن البيان الالهي يصرح بوجود العظم وهذا واقع وأنه سيكسو هذا العظم باللحم الذي هو العضلات أي وكأنه عز وجل يدلنا بشكل غير مباشر على أن اللحم أي العضلات المخططة (علمنا أنها العضلات المخططة من لفظة **كسونا** سنوضح هذا بعد قليل) التي ستقوم بهذا الكساء موجود قرب العظم وهي معه متشكلة بنفس المرحلة أي أنه جهز العظم وجهز اللحم ثم أتى بالكساء فوضعه على المكسي به وهذا هو الطبيعي لأنك إذا أردت كساء جسمك تقوم بإعداد الكساء ثم تثبته عليك وهذا هو الواقع هنا وما يؤيد كلامي حديث النبي الكريم الآخر **((إذا مر بالنطفة ثنتان واربعين ليلة أرسل الله عليها ملكاً فصورها وخلق لها سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها))**رواه مسلم.

ونجد فيه إعجازاً كبيراً جداً من خلال أنه لم يرتب بل جعل العطف بالواو وهي لا تفيد الترتيب عموماً في اللغة وقال البعض أنها تفيد الترتيب على التراخي وهنا ما المخرج فنحن أمام آية كريمة وحديث صحيح والجواب هو التالي:

إن في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ما يخرجنا من هذه المشكلة وببساطة فهو يقول إن الملك يبدأ بتصوير النطفة أي تخطيطها ويبدأ بتشكيل اعضائها وهذا في إعجاز رائع تحدثنا عنه عندما تكلمنا عن تشكل بداءات الاعضاء في أول مرحلة العلقة وهو ما يعتبر سبق رائد له عليه الصلاة والسلام في كلامه مما ثبت علميا.

طيب قبلنا بهذا ولكن لا زال الإشكال موجوداً ولذا أقول إذا اعتبرنا أن الواو لغة لا تفيد الترتيب كما هو معلوم فإننا نجد أنه لا مشكلة لأنه يقول إن الملك يخلق العظام واللحم بشكل متساير أي سويَّاً وهذا صحيح فعلياً حيث أن النسج كلها تكون لحمية ضامة بالأصل ولو أن أمهات الغضاريف والعظام (تبدأ

بالأسبوع الخامس)تسبق قليلاً أمهات العضلات(تبدأ بالأسبوع السابع) إلا أنها تتشكل مع بعضها وبجوار بعضها البعض ولا يكون تثبتها فعلياً إلا بعد انتهاء تشكلها وهو فكرة تثبيت الأوتار التي أوردناها حيث أن هذا الكساء لا يحصل إلا بتمام تعظم نهايات العظم التي تحقق هذه الثباتية وهو أمر لا يحصل إلا بانتهاء عملية التعظم في مكان الوتر المناسب لكل مفصل ولا يتم هذا إلا متأخراً أي أنها تنشأ معاً وبشكل متساير ولكن تعظم منطقة الكساء يكون قبل تمام تشكل العضلات كلها..

أما لو كانت الواو تفيد الترتيب على التراخي فهنا إشكال بسيط ومحلول وهو أن أمهات العضلات والعظام والغضاريف كلها في الأساس هي نسيج ضام لحمي الطبيعة صحيح أنه يختلف بترتيبه نسبياً بحيث لا تظهر التخططات في العضلات المخططة قبل نهاية الشهر الثالث مثلاً ولا تبدأ التعظم في أماكنه إلا في نهاية الاسبوع الثاني عشر إلا أنه كله كان لحماً أي نسيجاً طرياً ثم دخل عليه التعظم وهذا إعجاز آخر وهو أن أسس هذه البنى كلها كان لحمياً فيزول الإشكال بعونه تعالى.

أما ما ورد في الآية فنحن نجد أن هنالك نسيج ما حول العظم وهو النسيج الضام الذي حولها ومنهما تحدثنا عنه من أمهات عضلات وغيره من بنى أخرى كلها لحمية ولكنه تعالى خص هذا اللحم بالكساء فهو هنا قصد بالذات العضلات التي ستثبت العظم وتمنحه وظيفته الداعمة والحركية كما أسلفنا بحيث تنشأ معا لتؤمن هذا التثبيت فور انتهاء تشكل أركانه الأساسية. وهنا نجد فكرة هامة جداًوهو فكرة الكتابة التقديرية التي يكتبها الملك على رأس الاربعين الثانية أي في أولها أي أنه سيضع الأمر التقديري من ربنا عز وجل لخلق هذه البدءات وكل هذا لا يكون ظاهرياً وهو التشكل الخفي الذي نوه عنه ابن القيم كما أسلفنا فكل هذه البداءت تنشأ معا في بداية مرحلة العلقة ولكن بشكل خلايا أمهات ثم تعطي العظم والعضلات والتي لا تكون ظاهرة عيانياً قبل بداية مرحلة المضغة حيث أن التعظم يبدأ في اليوم ٥٧ تقريباً بشكل خلايا أمهات للعظام تحل محل الخلايا الغضروفية ولكن مراكز التعظم مع التكلس المصلب لا تظهر فعلياً قبل الاسبوع الثاني عشر وكذلك تخططات العضلات المخططة أيضاً

ولا يحصل التثبيت إلا في مرحلة المضغة بعد تمايزها المذكور من عظم أو عضل ثم تحدث عملية التثبيت بواسطة تمايزات في نهايات العضلات أي أماكن الأوتار لبنى تسمى الياف شاربي هي المسؤولة عن هذا الربط للعضلات على العظام ومن هنا قوله تعالى: **((نحن خلقناهم وشددنا أسرهم))**[1] أي أن شد الأسر هو تثبيت الجسم بواسطة هذه البنى التي تؤمن الإستفادة من صلابة العظام في شد الجسد وجعله قادراً على القيام واقفاً فضلاً عن حركيته **ولذا كان غياب العضلات التي تتوضع في الأطراف جنينياً يسبب غياب في المفاصل المرتبطة بها وهذا من المثبت علمياً حيث أن أوتار العضلات لن تتواجد فلا يتم تشكل المفصل أبداً**

ولذا قال تعالى **((وانظر الى العظام كيف نُنشزها ثم نكسوها لحماً))**[2] وفي هذه الاية ما يثبت كلامنا في هذا الباب بل ويزيده وضوحا فربنا بكلامه عز وجل يقول أنه ينشز العظام أي يرفعها أي يقيمها ويشكلها ثم تأتي عملية الكساء وهو يتم بلحم كما أوضح لم يحدد فيما إذا خلق قبل العظم أم بعده وإنما كان الذكر له على سبيل السرد والتتالي للعمليات الحاصلة التي ستؤدي الى تبيث اللحم أي العضلات المخططة على العظام الحركية أي التي ترتبط بالمفاصل ولذا أقول إن في الآية أصلاً لا إشارة إلى موضوع سبق خلق العظم على اللحم وإنما الترتيب للكساء وليس للخلق أي الكساء يأتي بعد نهاية التخليق وهو ما أوضحناه بكلامنا تفصيلاً بل إن حديث النبي الكريم أتى ليتمم معنى الآية بشكل رائع حيث يخبرنا بوجود العضلات منذ بداية الاربعين الثانية وهو معجز بهذا الكلام حيث أنه عيانياً لا يظهر هذا قبل بداية اليوم ٨٢ تقريبا أي بداية فترة المضغة كما أسلفنا فتأمل هذا وصلي على النبي الأمي الذي **(إن هو الا وحي يوحى)**[3] صلى الله عليه وسلم..

---

[1] سورة الإنسان آية ٢٨

[2] سورة البقرة آية ٢٥٩

[3] سورة النجم آية ٤

فصل: الإعجاز في معنى (فكسونا)[١]:

وهنا لدينا تساؤل مهم جداً وهو لماذا قال ربنا عز وجل **(فكسونا)** ولم يعبر عن هذا بكلمة اخرى مثل غطينا مثلاً.

أقول استنادا لدقة التعبير القرآني وبراعته في إيصال الفكرة بل إنه أحيانا وفي كثير من المواضع يكون للتعبير القرآني الواحد عدة معان وكلها صحيحة وهذا ما يراه المتأمل والباحث في ألفاظ القرآن وعلاقتها مع العلوم المختلفة نجد أن لا بد لهذه اللفظة من معنى خاص ولهذا خصها ربنا عز وجل بالذكر في هذا الموضع.

إن المعنى هنا ليس محصوراً بالتغطية البسيطة فقط من جانبين أولاً إن التغطية لا تقتضي التثبيت فبمجرد تغطيتك لي بثوب ما تكون قد غطيت جسمي ولكن لا تكون كسوتني أي إذا قمت واقفاً مثلاً فإن غطاءك سيسقط حكماً فلا أستفيد منه بعدها ومن هنا كان اسمه غطاءً أما كسوتك لي أي أنك فصلت لي ثوبا على قدر جسدي وثبتته على لكي يتحرك مع حركتي ويبقى علي بغض النظر عن وضعيتي واقفاً أو قاعداً أو غير ذلك.

إن هذا يقتضي تثبيت هذا الكساء علي بأماكن تثبيت خاصة وهذا المعنى العميق لكسونا أظن أنني وضحته عندما تكلمت عن أن ترتيب الكساء للعظم يتم بعد انتهاء تشكل العضلات عليه بشكل عام وبعد انتهاء تشكل أماكن ارتكازها عليه بشكل محدد أكثر لتحقق هذا الكساء أو التثبيت اللازم للعضل أو اللحم على العظم وهذا المعنى الأول وهو هام جداً.

<u>أما المعنى الثاني</u> الدقيق لهذه الكلمة فهي أنها تدل على أن الكساء كان بثوب منسوج أي الكسوة تأتي من كسا يكسو والكساء هو الثوب المفصل الذي غالب أمره أنه منسوج نسجاً كالقماش وهو المعنى اللغوي للكلمة.

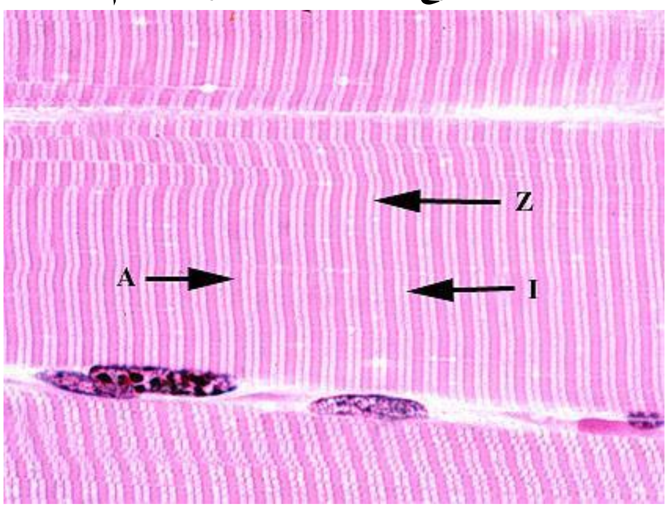
طيب ما هي علاقته بحديثنا إن لهذا المعنى هنا وجه إعجازي بديع فهو يوضح لنا أن هذا اللحم الذي سيكسو العظام هو لحم منسوج كالقماش وهذا يفيد بأن بنيته ليست إلا ألياف متداخلة كالخيوط المشكلة لقماش الثوب أو

---

[١] سورة المؤمنون آية ١٤

نسيجه وكأنه يقول لنا إن بنيتها هذه تشبه هذا القماش على وجه التقريب وهي تكون مخططة الشكل لأنها لييفات متداخلة فتعطي هذا التخطيط لها وهذا فعلياً ما وضحته لنا المجاهر مؤخراً فعلياً فالبنية المجهرية للعضلات التي تثبت وتكسو العظام هي فعلياً بنية مخططة الشكل وهي متداخلة مع بعضها كقطعة النسيج القماشية فسبحان الله لنتأمل الاشكال ونرى دقة هذه الكلمة..

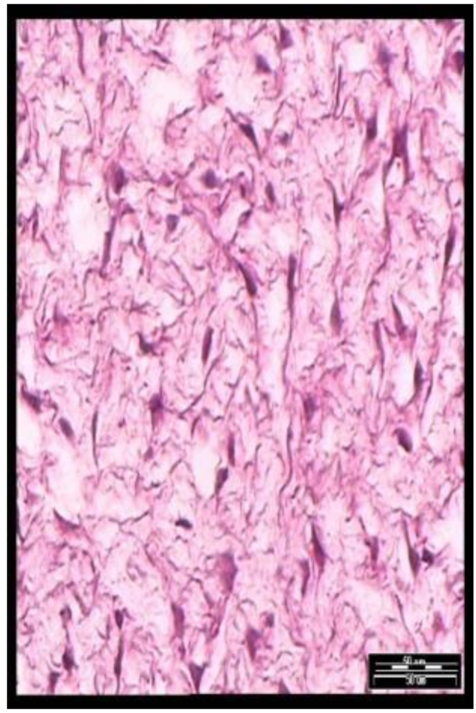
في الشكل التالي أنظر وتأمل في بنية العضلات المخططة إنها مثل البساط أو القماش المنسوج ولذا كانت تكسو العظام كساءً

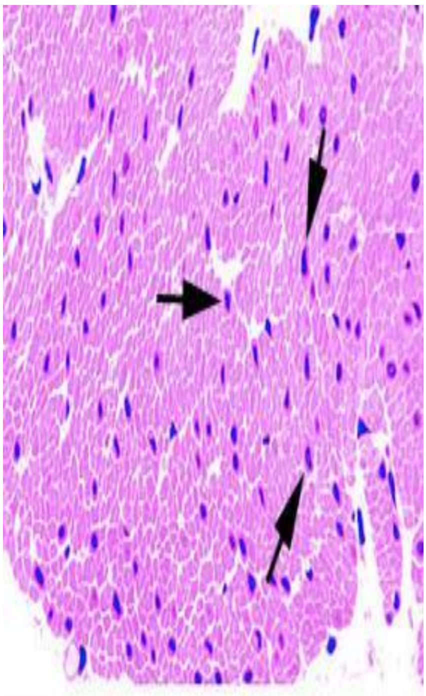


بينما نجد أن العضلات الباطنية أي عضلات الأعضاء الداخلية من مريء ومعدة ومثانة وغيرها لم تتكلم عنها الآية لأنها من طبيعة ملساء متداخلة مثل النسيج الضام العادي ولكن خلاياها العضلية ذات طبيعة تقلصية أي تستطيع التقلص ولكنها لا تشبه العضلات المخططة تلك وطبعاً هي مهمة وهي معبر عنها من ضمن حديثه صلى الله عليه وسلم بخلق اللحم عموماً قبل العظم وهو اللحم بصفته العامة منه هذه العضلات التي تبدأ بالتشكل فعلياً في بداية مرحلة العلقة أي مرحلة تشكل بداءات الاعضاء مما يتمم المعنى بشكل آخر مع الآية الكريمة فتأمل وصلي على النبي..

في الشكل التالي لاحظ في الأيسر صورة لليف العضلي الأملس ليس فيه هذه البنية المخططة التي تحدثنا عنها وإنما هي كبنية النسيج الضام العادي

أي خلايا قرب بعضها بجانبه في الأيمن صورة ملتقطة لنسيج ضام بسيط لاحظ التشابه بينهما.





نجد أن شكل العضلات المخططة الكاسية للعظام يتكون من مناطق نيرة وأخرى عاتمة وكأنها بساط مغزول دقيق جداً.

أما الخيوط فهي الألياف العضلية المشكلة لها والتي تتوضع بشكل خيوط متقاربة كما في الغزل القماشي تماماً وتمتد من بداية العضلة إلى نهايتها مع وجود معقدات وصل تصل الألياف مع بعضها بما يحقق ثبات البناء النسيجي لها ومتانته.

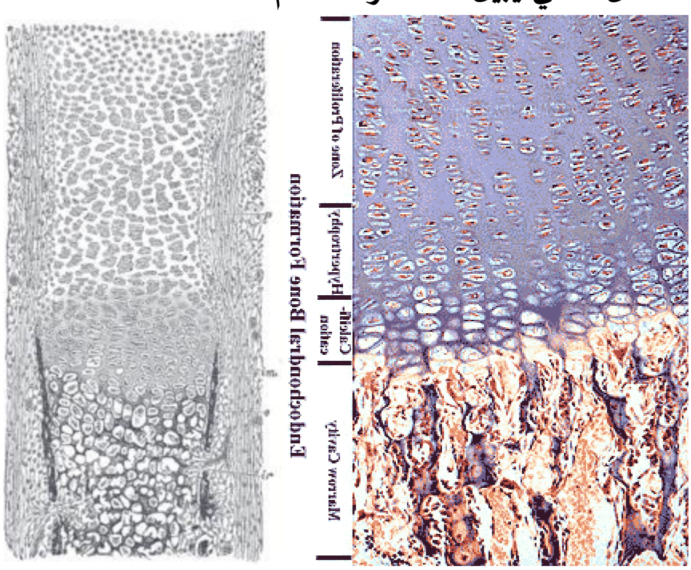
أما الليف العضلي فهو نفسه أيضاً مكون من لييفات صغير مرتبطة بدورها قرب بعضها مثل الخيوط تسمى بالأكتين والميوزين بحسب المصطلح الطبي لها.

الإعجاز في معنى ((كيف ننشزها))[١]:

ففي التفسير وكما ورد في معنى هذه الكلمة أنها تعني (رفع العظام) ولغة ننشزها أي نرفعها واستعمال هذه الكلمة هنا معجز بحد ذاته فهل كانت العظام موجودة ثم رفعت أو أن معناها فعلياً أنه أقام العظم أي أنشأه على قوالب أساسية خاصة وهو المعنى الحقيقي لهذا الأمر ولذا يكمن التساؤل التالي وهو كيف تم رفع العظم أو إقامته على أسسه ثم توضع عليها وتثبت وهي كلها كما نعلم ليست إلا بداءات لحمية الطبيعة أي نسج ضامة في كل الجسد ومنها أماكن التعظم وكيف تم توضع هذه البنى التي تعتبر صلبة داخل هذا الجسد اللحمي ؟؟

كما قلت أن رفع أو إقامة العظم تأتي من معنى رائع هنا وهو أن لهذا العظم قوالب تم رفعه عليها أي إنشاءه عليها وكأننا نتكلم عن بناء وضعنا قوالب لأسسه الحديدية وشيدنا أماكن توضع أعمدته من خشب وخلافه ثم أتينا بهذه الاحجار ووضعناها فوق بعضها بعضاً بحسب ترتيب قوالبها لكي تأخذ شكلها المطلوب وهكذا حجراً فوق حجر حتى نصل لرفع البنيان كما نريد.

الشكل التالي يبين لنا نشز العظام



---

[١] سورة البقرة آية ٢٥٩

لنلاحظ هذا التشبيه فهو أمر فعلي مطبق تماماً في تخلق العظام وإنشائها فهي بنية صلبة بالنتيجة ولكنها تتوضع على قوالب أساسية إما غضروفية أو عظمية غشائية وهنا نجد أن التعظم الغضروفي بالنسبة للعظام المرتبطة بالعضلات المحركة أي المتمفصلة هو ما يطبق عليه مباشرة شرحنا السابق حيث أن الخلايا أمهات العظام تتوضع لتحل محل الخلايا الغضروفية في مناطق محدودة أولياً مثل حجر البناء تماماً وهو ما وضحناه بالأشكال المرفقة وكأنها تبني بناء على قوالب مسبقة هي القوالب الغضروفية وبالتالي يكون الإنشاء تراكبي أي يرفع حجراً على حجر وهو المقصود بنشز العظام وهو معنى عميق جداً لهذه الكلمة

أما على مستوى التعظم الغشائي فنجد أيضا أنه يبدأ من نقطة ثم يتتالى بناء النسيج العظمي بما يعرف بالتعظم المباشر على نسج قالبية أولية هي أمهات العظام تدريجياً وكل قسم فوق ما سبقه وهكذا فتأمل مدى دقة كلامه تعالى سبحانه

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[١] فهو بكلمة واحدة مجملة دل على حقيقة علمية تلزمها المجلدات الكثيرة لشرحها ولعل في هذا كفاية لمن أراد الفهم قال تعالى : **((إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد))**[٢]

---

[١] سورة الملك آية ١٤

[٢] سورة ق آية ٣٧

<u>فصل:</u> معنى جميل لقوله تعالى :((ولقد خلقناكم ثم صورناكم))[١]

وقوله تعالى **((هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم))**[٢]

إذا ما قرأنا الآيات ننتبه إلى أنه تعالى يصورنا بعد تخليقه لنا وفي هذا قولين ومعنيين جليلين أذكرهما:

فالأول هو أن الخلق الاولي لنا كان في إيجاد ترابنا الخاص بكل منا والذي سنتصور منه بشراً وهو ما وضحناه سابقاً في باب الخلق من لاشيء ثم الخلق من التراب وأننا تحولنا بعد الخلق الأول لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام لسلالة من ماء (أي الأعراس أو النطاف) ولكن ما زال هذا الماء يتشكل فعلياً من التراب وهناك آيات مرتبة في هذا المعنى نجدها في قوله تعالى:

((ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون))[٣]

وقوله: **((وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً))**[٤]

فالمعنى هو إيجاد أصلنا وهو التراب الذي سيتحول في أصلاب بني آدم آلى نطاف تتحد لتشكل بداءات جسدنا ثم يتم إعطاؤها الشكل المطلوب وهو المظهر الخارجي للإنسان كما أراده ربنا لكل منا وقوله خلقكم يوضح لنا هذا بدقة فكل ابن آدم يخلق من بداية هي التراب ولكنه لايتصور إلا بإذنه تعالى وذلك بعد التقاء الأب والأم وحصول الإلقاح الذي سنتصور منه (من النطفة الأمشاج أو البيضة الملقحة) وفق سلسلة من التحولات الفيزيولوجية الحية والنسيجية التي يتحكم بها ربنا عز وجل ويقرر نفاذها أو توقفها كما يشاء.

أما المعنى الثاني لهذه الآية فهو التصوير الواقع للنسيج الخلوي البدئي والذي يتشكل في البداية بشكل غير متمايز (أي مجموعة من الخلايا غير المميزة وظيفياً) ثم يتم تخصصها نحو النسيج المطلوب لتصبح أمهات عظام أو عضلات أو

---

[١] سورة الأعراف آية ١١

[٢] سورة آل عمران آية ٦

[٣] سورة الروم آية ٢٠

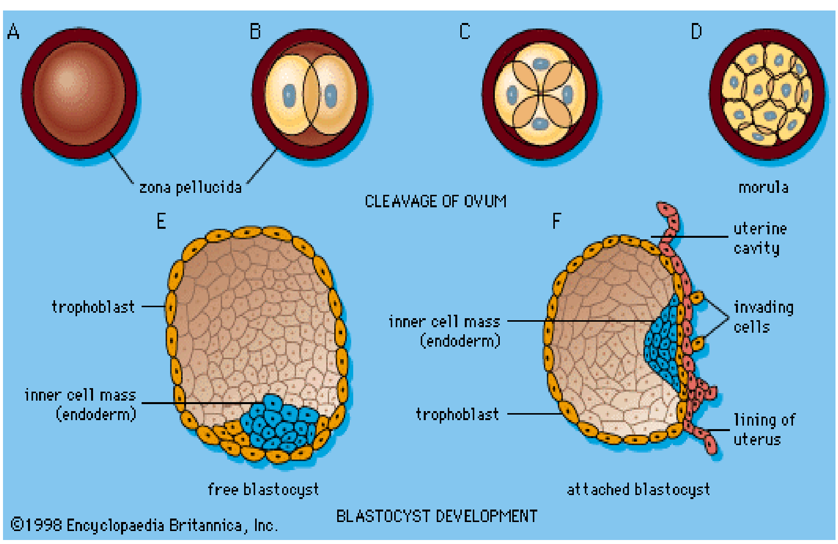
[٤] سورة الفرقان آية ٥٤

بشرة جلد أو غيرها ثم تتمايز فعلياً نحوالنسيج الخلوي المطلوب مثلاً نسيج غضروفي أو عظمي أوشحمي أو غيره وهذه النسج بدورها تشترك قرب بعضها وبتلاحم مدروس ومنسق بحسب التعليمات الوراثية الخاصة لكل منها لتشكل العضو المتمايز أيضاً الذي سيقوم بوظيفة محددة له ومع اجتماع هذه الأعضاء مع بعضها يتشكل جسد الانسان الذي يتم تصويره عندها فتدخله الروح ليجتمع الإثنان الجسد والروح فتبث الحياة الحقيقية فيه ويتحول لإنسان كامل تشكلياً بما يتلاءم مع الخلق الحسن والتكريم الذي أعطاه إياه ربنا عز وجل ومن هنا نذكر قوله تعالى: **((ولقد كرمنا بني آدم))**[1] وقوله **((لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم))**[2] وقوله **((الذي خلقك فسواك فعدلك))**[3]

ولنعود وننتبه فدوما سنجد الخلق أي إيجاد البدءاة قبل التسوية أي التصوير والتمايز.

إن هذا المبدأ محقق جنينياً من خلال التشكل النسيجي الموضح عنه فكل الأنسجة لها بداءة ثم تتمايز وهكذا.

لننتبه للأشكال حيث الخليط الخلوي الأولي يتمايز نحو بداءة وريقات الجنين الثلاثة وهي هنا الخلايا باللون الأزرق وثم يتتابع هذا:



[1] سورة الإسراء آية ٧٠

[2] سورة التين آية ٤

[3] سورة الإنفطار آية ٧

إن هذا بحد ذاته إعجاز علمي كبير جاء على لسان نبينا في قرآن ربنا عز وجل حيث ثبت كمبدأ عام في العلم الحديث هذا الأمر كما أوضحنا وهذه التدرجات في الخلق ثم الاقتران بالروح ودخول الجنين لمرحلة جديدة عبر عنها ربنا بقوله((ثم انشأناه خلقاً آخر)) سنبحثها في الباب القادم إن شاء الله مع أهم التغيرات فيها ..

وهنا أوضح أنني لا أريد من كل هذا إلا وجه الله وأدعو الله أن يكون هذا حجة لي لا علي لإظهار البلاغة والبيان والروعة في كتاب ربنا الذي يجب أن ندافع عنه ونتنبه لكلماته بدقة وبالتالي نصل لما يدلنا على أن الإسلام هو أعظم رسالة نزلت على العالمين وعلى البشر وأوضحت لهم أولهم وآخرهم إلى يوم الدين قال تعالى: **((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدء الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير))**[١].

[١] سورة العنكبوت آية ٢٠

الباب السادس

الإعجازات في الأعضاء الحسية

لنستعرض الآيات الكريمة ثم نقوم بالشرح:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

((الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون))[١]

((وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون))[٢]

((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون))[٣]

((ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اؤلئك كان عنه مسؤولاً))[٤]

((ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة))[٥]

((إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً))[٦]

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم:(**((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله عليها ملكاً فصورها وخلق لها سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما**

[١] سورة السجدة آيات ٧-٨-٩

[٢] سورة المؤمنون آي ٧٨

[٣] سورة النحل آية ٧٨

[٤] سورة الاسراء آية ٣٦

[٥] سورة البقرة آية ٧

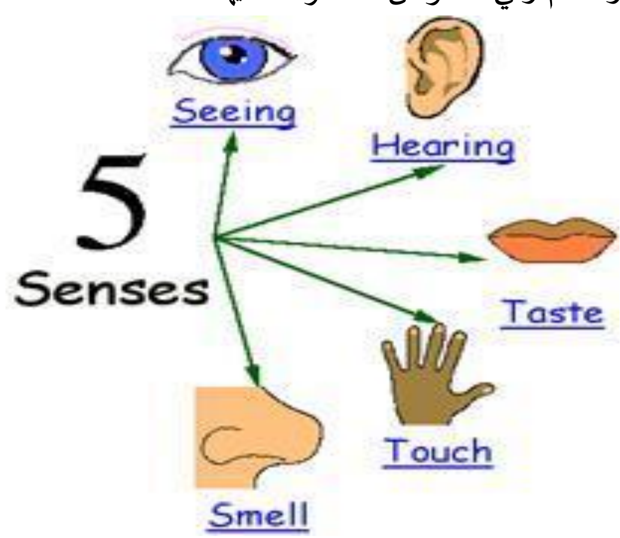
[٦] سورة الإنسان آية ٢

شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك.))[١]

وهذا الحديث ذكرناه مراراً وفيه الشيء العظيم من الإعجاز الذي وضحنا بعضه سابقاً ولنلاحظ فكرة الكتابة هنا وأنه تلحق بالتصوير والتخليق الأولي للأعضاء وهذا ما وضحناه أيضاً.

بملاحظتنا للآيات السابقة نجد دائما أن السمع يذكر قبل الأبصاروذكر أن الإنسان في خلقه جعله ربنا سميعاً بصيراً فالسبق للسمع.

وهنا لنقف وقفة سريعة مع الأبصار فربنا يذكر الأبصار أي ما يمكننا الرؤية من خلالها وهو بمعنى آخر الإحساس وكانت الأبصار هنا كناية عن الحواس الأخرى في الجسد وهي مما نتلقى بواسطتها التنبيهات من الوسط الخارجي وهي التي تنقل لنا ما حولنا وتنقله الى داخلنا حيث نفهمه ونعيه وقوله الأبصار أي يوجد حواس أخرى مختلفة غير السمع منها البصر والجلد المختص بحس اللمس والذوق والشم وهي الحواس المتعارف عليها.



وعندما **<u>جعل ذكر السمع قبلها كان هذا لتشكله قبلها عموماً</u>** وهذا ما سنفصل فيه أما حديث النبي الكريم فهو كان واضحاً في أن السمع يخلق قبل البصر على اعتبار أن الواو تفيد الترتيب على التراخي أي إذا أصر عليها العالم فهي

---

[١] صحيحي البخاري ومسلم

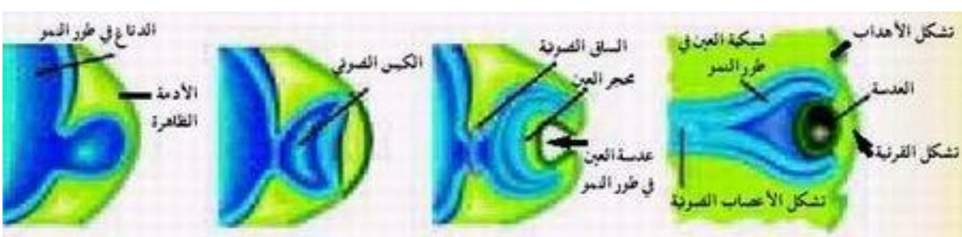
تشير لشيء يريده حول هذه المعلومة التي ينقلها وطالما أن البيان الإلهي في كل الآيات قد جعل السبق للسمع فلا بد أن هذا له دلالة السبق للسمع في التشكل أيضاً ِ

لنعد لكون السمع يسبق البصر فهنا وبحسب علم الأجنة ووفقاً للدراسات الحديثة فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن عملية تخلق الأذن وما فيها من عضيات السمع وآلياته تحدث قبل العين التي هي عضو البصر وهذا ما يوافق ما سبق وأوردناه بل إنه أي السمع يسبق تشكل الجلد بكثير.

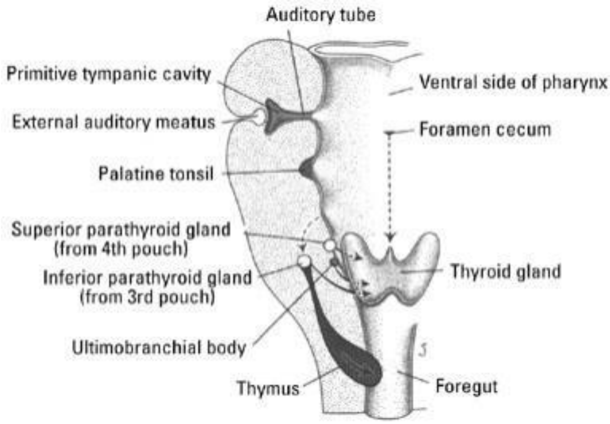
إن **<u>تشكل بداءات الاذن والبصركل منهما يبدأ بشكل شق سمعي وشق بصري</u>** أما الشق السمعي فهو عبارة عن إنطواء داخلي يتشكل في رأس الجنين ليس فيه أي عمل ولا يقوم بشيء وهو بمثابة الإلتواءات الجنينية التي ستهئ لتحول النطفة الى علقة هذا الشق يسمى الحويصل السمعي وهو منذ اليوم ٢٢ وهي مرحلة تحولات النطفة الى علقة كما أسلفنا وهما فيما بعد سيشكلان الأذن الداخلية التي سيسمع بها فعلياً الإنسان والتي تحوي عصب السمع وفيها البنى الأذنية الخاصة من قريبة وكييس وقنوات نصف دائرية وقناة حلزونية سيسكنها العصب السمعي ولكن لا تتشكل فيها الأعضاء الحسية الخاصة بالسمع والمسماة التيه الغشائي إلا خلال الأسبوع الرابع والخامس أي حتى تشكل بداءة الأذن فعلياً لا يكون هذا قبل نهاية الأسبوع الخامس وهي فترة تشكل بداءات الأعضاء..

بينما نجد أن الوريقة الخارجية المغطية للجنين وهي مكونة من خلايا أم للبشرة تنقسم لتشكل بداءة طبقات البشرة في نهاية الشهر الثاني.

الشكل التالي يبين لنا شق البصر الذي سيتشكل فيه تجويف العين تأمل وصلي على المصطفى العدنان صلى الله عليه وسلم

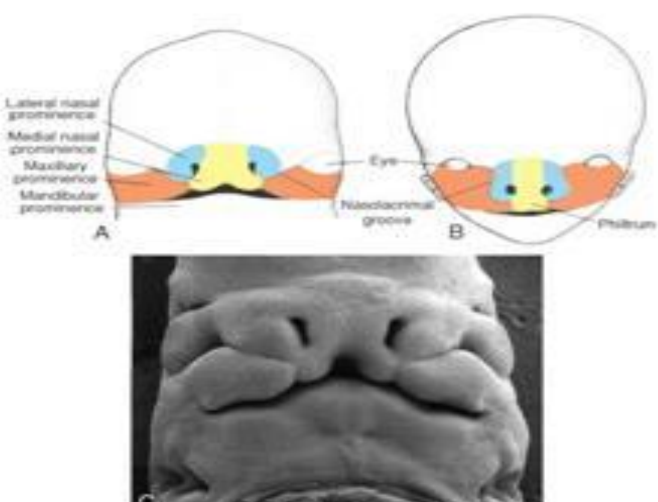


في الشكل هنا نجد شق السمع الذي ستنشأ منه الأذن تأمل وصلِّ على النبي



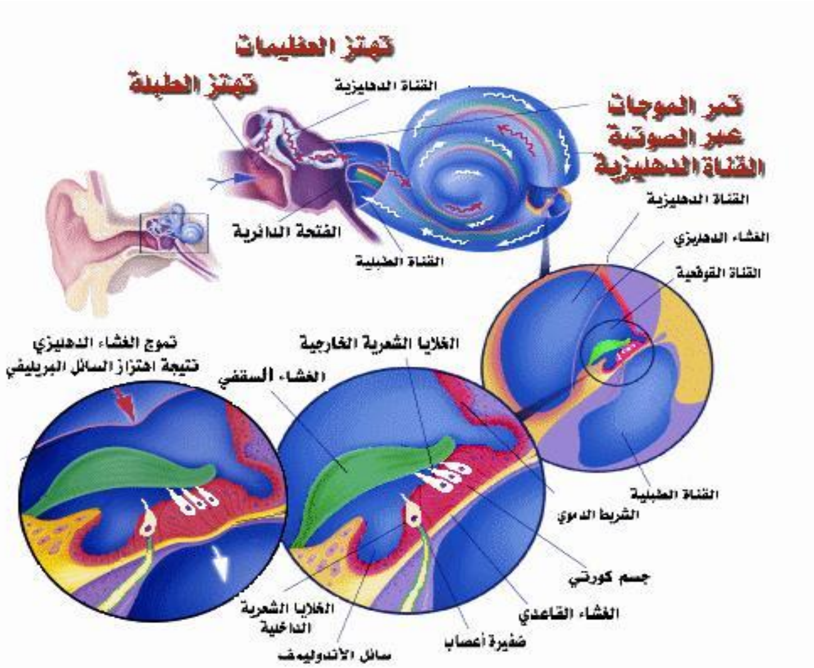


الشكل التالي هو صورة حقيقية توضح هذين الشقين وهنا يظهر شق العين



ولا يتم تشكل الكيس الحلزوني وعضو كورتي وهي أعضاء السمع الفعلية التي عليها ستتوضع الخلايا الحسية الخاصة التي تتوضع في عضو كورتي وتنقل الحس نحو ألياف العصي السمعي في الكيس الحلزوني الذي سينقلها بدوره الى الدماغ لا يتم هذا حتى الأسبوع الثامن وأجواف الحلزون الداخلية أيضاً تحتاج لإنهاء التشكل إلى الأسبوع العاشر.

الشكل التالي يوضح عضو كورتي مع المستقبلات السمعية حيث تحدث عملية السمع بآلية الاهتزاز الحاصل داخل عضو كورتي تأمل هذا وصلي على النبي العدنان صلى الله عليه وسلم





وهذا يتم قبل التشكلات العصبية داخل العين بكثير فالشبكية مثلاً لا تنضج قبل الاسبوع ٢٠ الى ٢٥ بشكل تقريبي وسطياً وهي تعتبر العضوالأساسي المتلقي للحس في العين ..

أي عموماً أن النضج في أعضاء السمع الأساسية يبدأ قبل نضج الأعضاء الحسية الأخرى للعين والجلد وغيرها من الحواس وتتابع تشكلاتها لتنضج حسياً أي كوظيفة حسية قبلها أيضاً.

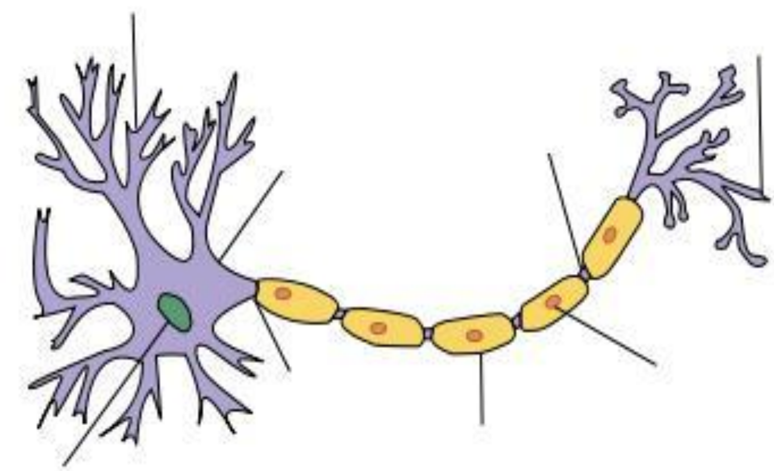
والآن لنتابع سوياً بعض التشكلات الأخرى فمجرى السمع الظاهر يظهر حوالي الشهر الثالث وبراعم الصيوان تبدأ بالظهور حوالي الايام ٣٧ الى ٤٠ وهو المرحلة لبدء التشكل الحقيقي الذي ذكرناه ويترافق مع كتابة الملك للحاسة السمعية وتتطور تدريجياً في الأيام اللاحقة ويكون مجرى السمع مسدوداً بسدادة صماخية لا تفتح وتكتمل قبل الشهر السابع ولا ينتهي تشكل الصيوان الخارجي قبل الأسبوع ١٦ حيث تبرز الأذن خارج سطح الجلد بوضوح وهذا يكون في نهاية الشهر الرابع حيث تمام التخلق اللازم لبث الروح في المضغة بينما العين لا تظهر فيها الرموش قبل الأسبوع ١٧ إلى ٢٠ ولا تفتح قبل الأسبوع ٢٨ تقريباً أي ما أقصده دلت هذه الدراسات على أن تشكل السمع كجهاز سمعي يسبق البصر أي تشكل العين فعلياً .. **لاحظ الاشكال:**

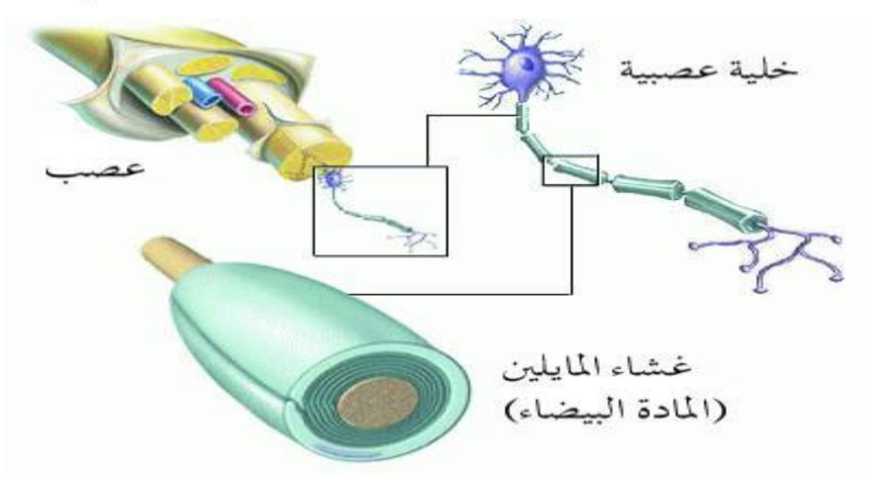
الشكل على اليسار الجنين بعمر أربعة أشهر لاحظ أنه لم تفتح العين بعد ولم تظهر الرموش بينما على اليمين جنين بعمر خمسة أشهر نجد العينين ما شاء الله قد أتمت تشكلها والرموش واضحة لنتأمل



وهذا ما ينطبق مع ما جاء في الحديث الشريف أما ما ورد في الايات فنجد منطوقه أن الحواس كفهم وإدراك حسي تسبق بعضها أيضاً أي أن الترتيب يشمل الحس نفسه أيضاً فالسمع كنضج عصبي يحدث مبكراً قبل البصر بوقت كبير بينما البصر يمتد لما بعد الولادة حوالي الأسبوع الثاني ومع ذلك تكون الرؤية مغشاة لأن الأعصاب غير مغمدة بمادة خاصة تسمى النخاعين وهي من مادة دسمة فوسفورية كثيفة تحيط بالألياف العصبية وتفيد في النقل العصبي السريع وفي عزل الألياف العصبية عن بعضها هي التي تجعل الرؤية مفهومة وهي لا تنضج قبل الشهر الثامن من العمر وقد تمتد الى السنة.

لننتبه للشكل التالي وهو يوضح هذا الغمد الهام جدا في آلية النضج العصبي





ولا أزال أذكر كلمات أستاذنا أحمد عثمان أستاذ علم الأجنة في جامعة دمشق عام ١٩٩٤م حيث قال (الطفل يولد بيسمع بس ما بشوف) وهذا فعلياً كآلية سمع ورؤية أما إدراك المحسوس فيأخذ وقتاً طويلاً وهو لا يكون إلا بعد الولادة وللتعلم والتجربة في حياة الإنسان الصغير القادم على الحياة دور كبير في صقل هذا الإدراك والفهم وتعلم معانيه ولذا قال تعالى**((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً))**[1]

ثم جعل لنا هذه الحواس لتكون طرق توصيل لما حولنا إلى أدمغتنا التي سنتعلم بها ونفهم ما حولنا ومن هنا كان قوله تعالى: **((وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة))**[2]

ونجد أنه ربط كل هذا بالأفئدة ولي عندها وقفتان أولها أنها مكان الفهم والوعي لما نراه ونسمعه ونحسه عموماً أي أن الحواس نفسها لا تعمل شيئا إذا كانت أماكن الفهم والإدراك لا تعمل وهي بحسب مفهومنا الطبي الدماغ فهو مكان الوعي والإدراك وهو الذي يقوم بآلية تخزين المعلومة وتحليلها ومقانتها بمثيلاتها لكي تصبح لدى كل إنسان في داخل عقله كم هائل من المخزون الذي بمقارنته مع ما حوله وما يحس به يستطيع إما أن يعرفه لأنه تعرض لمثيله سابقاً أو أن يجعل له قالباً جديداً ويعتبره علماً جديداً اكتسبه **ومن هنا كان قوله تعالى((فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور))**[3]

والأبصار هنا تعني مجمل الحواس التي ليست إلا ناقل فقط لما حولنا فعند إصابة الدماغ في مكان ما نجد أن الإنسان يفقد الحس الخاص به وأما علاقة الدماغ بالروح وآلية الوعي الحقيقية لهذه المحسوسات فهي أمرخفي لا يعلمه إلا الله لأنه يتعلق بربط آليات الجسد المادي بالروح التي هي فعلياً أداة الوعي الحقيقية وهذا أمر مخفي عنا **((قل الروح من أمر ربي))**[4]

---

[1] سورة النحل آية ٧٨

[2] سورة النحل آية ٧٨

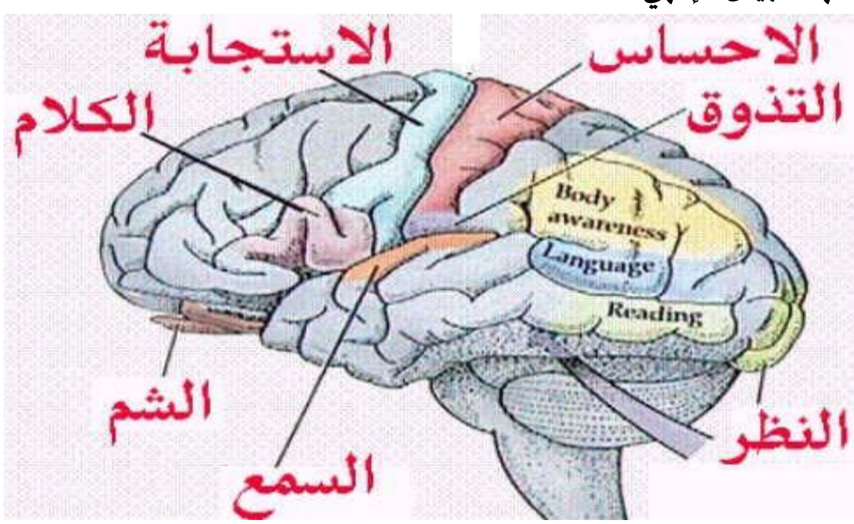
[3] سورة الحج آية ٤٦

[4] سورة الإسراء آية ٨٥

والوقفة الثانية عند قوله الأفئدة هي أنه ذكرها بالجمع فهل لدى الإنسان أدمغة أم هو دماغ واحد ؟؟

والجواب أن في هذه اللفظة أمر هام فهو يدل على حقيقة بديعة جداً لم تكشف إلا مؤخراً بعد تطور الطب وهي أن الدماغ مقسم لمواقع وأن كل موقع فيه له خاصية في فهم حس محدد له لا يتعدى على غيره ولا يمكنه أن يعمل عن غيره فمركز الرؤية في الفص القفوي للدماغ ومركز السمع في الفص الصدغى وهنالك في قشرة الدماغ مكان محدد للاحساسات الأخرى أمام شق في وسطه في الفص الجداري وهكذا أي إن دماغنا فعلياً مقسم لأدمغة كل منها له عمل محدد ومن هنا كان لفظة (الافئدة) أو(القلوب) ولم يقل القلب بالمفرد فتأمل وصلي على النبي صلى الله عليه وسلم..

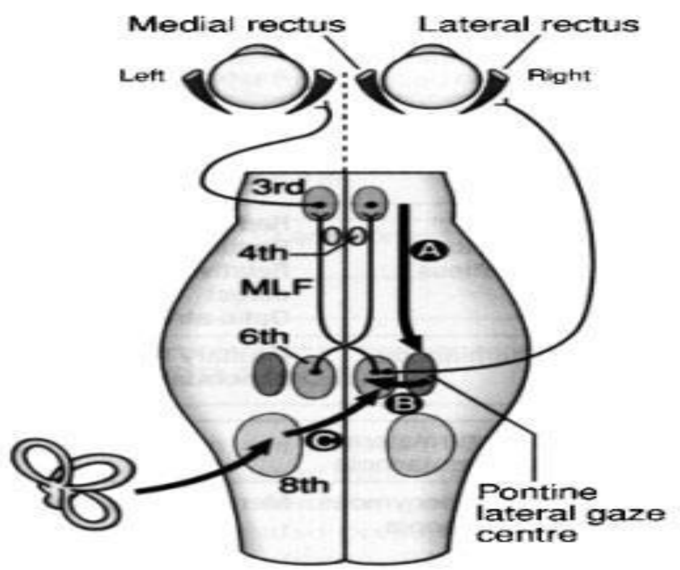
لاحظ مراكز الدماغ العصبية الحسية الحركية في الدماغ أي الأفئدة كما عبر عنها البيان الإلهي



ولم كان عطف السمع على البصر بالذات أقول إن هذه من الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثاً وفيها إعجاز بليغ جداً وهي في الصلة العصبية بين هذه الحواس حيث يتدخل السبيل البصري مع السمعي والتي ترتبط فيه نوى الأعصاب الثلاثة المحركة للعين وهي العصب المحرك العيني والعصب البكري الرابع والعصب المبعدالسادس ترتبط مع النوى السمعية في جذع الدماغ من خلال طريق عصبية تسمى طبياً الحزمة الطولانية الأنسية وهي طريق عصبي من

الألياف والنورونات العصبية الحسية الحركية الواصلة تساهم بربط هذه الحواس مع بعضها وبواسطة هذا الربط تتم حركة العين والرأس مباشرة بعد سماع منبه ما من قبل الانسان والذي يسبب التفكير بأجزاء من الثانية وبنفس الترتيب المذكور أي سمع ثم أبصار ثم فهم لهذا الصوت مما يسبب وعي الانسان للحالة التي هو فيها فيرد بجسمه أو عضوه المناسب بما فيه سلامته وكأن هذه النوافذ على الوسط الخارجي تتمم دور الدماغ وذلك كله لصحة الانسان وفائدته فسبحان الله **((الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين))**[1].

الشكل التالي يوضح الحزمة الطولانية الانسية وعلاقة السمع والبصر عصبياً وهذا امر مثبت علمياً



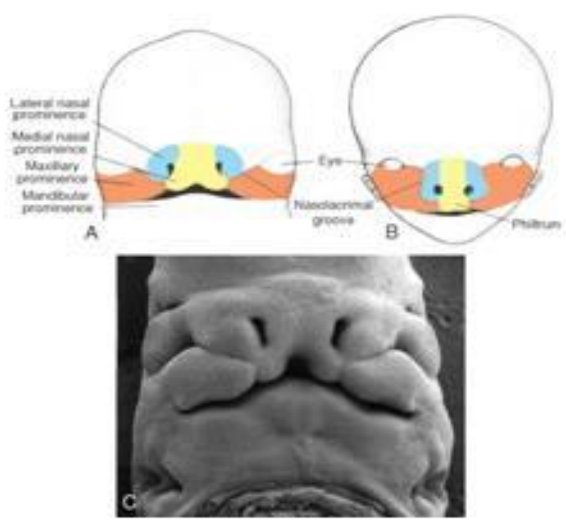
<u>الاعجاز الإلهي في تشكل العين (البصر):</u>

سأناقش هذا التشكيل من خلال حديث الـ٤٢ يوم وكيفية تشكل بداءة العين أيضا بنفس الطريقة مثل باقي الأعضاء بشيء من التفصيل فكما ذكرنا أنه تتشكل العين في كل جهة من شق وهو ما يسمى الحويصل البصري حوالي الأسبوع الر ابع ولكن كل ما يحدث قبل الأسبوع السابع ليس إلا التواءات تشبه الإلتواءات التي تحدث للجنين منها يتشكل شقي السمع ومنها شقي البصر ولكن

[1] سورة السجدة آية ٧

فعلياً بداءة العين كتشكلات وظيفية أقصد فعالة في عمل العين لا تبدأ قبل الاسبوع السابع وهو حوالي اليوم ٤٥ تقريبا وهو ما يتوافق مع روايات حديث مرور الملك الأخرى المعجز حتى في اختلاف مدته في هذه الروايات حيث كما ذكر العلماء المحققون أن هذا يتناسب مع اختلاف تشكل الأجنة وهو من إعجازه في كلامه عليه الصلاة والسلام وهو كما سبق وأوضحناه وكأنه يقول لنا إن الأمر واسع ويختلف من جنين لآخر وهو يعطينا رقماً متوسطاً قد يختلف بين جنين وآخر لذا سمى الجنين نطفة حتى بعد ٤٢ يوم وكأنها قد تمتد أحياناً وقد تقصر أحياناً أخرى وهذا من كمال كلامه ودقته عليه الصلاة والسلام ومن هنا أحياناً نذكر الأربعين وأحياناً ٣٧ او ٤٢ وهكذا وكما قلنا فان الحويصلين البصريين (شقي البصر)يتم تشكلهما كالتوائين بين اليوم ٢٢ الى ٢٥ ثم يتشكل لويحتين من النسيج المجاور في اليوم ٢٨ الى ٣٠ تسميان لويحتا الجسم البللوري ثم بين ٣٠ الى ٣٢ يوم ما يسمى بالكأس البصرية لا تتوضح بشكل واضح قبل اليوم ٣٧ الى ٤٢ ولنلاحظ أنها كلها أسس فقط مثل الأنبوب العصبي عند بداية تشكيله للجهاز العصبي ولكنها فعلياً عبارة عن تقسيمات ليس فيها تميز حقيقي أو تشكل فعلي ولذا نجد أن الجسم البللوري مثلاً لا تبدأ الألياف البللورية التي ستشكله كبللورة يمكن مرور الضوء منها لا تبدأ بالتشكل قبل الأسبوع السابع..

الشكل التالي يوضح تشكل العين في الأيسر نجد جنين بعمر حوالي الأسبوع السادس ثم بقربه ما بعد الأسبوع العاشر على الأقل



تعال الى الكأس البصرية التي ستعطي مشيمية العين والصلبة لا تظهر بشكل فعلي قبل الأسبوع السابع أيضاً حسب دراسات علم الأجنة.



أما الشبكية فلا تنتهي قبل الأسبوع ٢٥ تقريباً.

ومن الأحاديث الرائعة التي رأيت فيها إعجازاً رائعاً في قوله صلى الله عليه وسلم قوله في سجود التلاوة **((سجد وجهي للذي فطره وشق له سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين))**[١] تأمل وصلِّ على النبي.

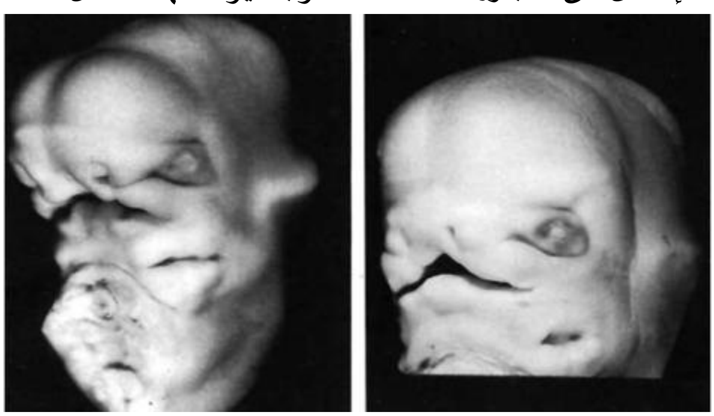
منذ قليل كنا نقول أن تشكل كل من السمع يكون بشقين صغيرين يشكلان بداءة اسمها الحويصلين السمعيين وكذلك العينين من التوائين صغيرين يشكلان شقين صغيرين أسميناهما الحويصلين البصرين ثم تأمل بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام أنه يقول لنا أن الله الذي فطر الوجه خلق فيه السمع والبصر من شق أي كل منهما قد شق شقاً في الوجه فسبحان الله فعلاً تبارك الله أحسن الخالقين الذي بيده الامر كله يسيره كيف يشاء وهاهو قد أوحى لنبيه صلى الله عليه وسلم بكل هذا الإعجاز الرباني فلنتأمل ونسبح بحمده عز وجل.

[١] صحيح الإمام مسلم ٧٧١

<u>فصل:</u> الإعجاز في قوله تعالى: ((ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين* وهديناه النجدين))[1]

إن هذه الآية من الآيات الرائعة في الإعجاز القرآني في خلق الحواس ودقتها العلمية الكبيرة تشهد لها بذلك من خلال الترتيب الذي ورد فيها فالله تعالى خلقنا ويعلم ماذا خلق وكيف خلق فهو أولى منا بالدقة في كل شيء **((أولا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))**[2]

فكما جعل الانسان سميعاً ً ثم بصيراً ً ثم بث فيه الوعي والإدراك من خلال ربط هذه الحواس بالدماغ ومن ثم بث الروح نجد أنه شكل له عينيه ثم شكل لسانه ثم شكله له شفتيه وفكرة العطف بالواو ذكرناها سابقا وتكررها هنا وارد أيضاً من ناحية الترتيب فأول ما يبدأ تشكل شقي العينين حوالي اليوم ٢٢ الى ٢٥ كما سبق وشرحنا <u>أما اللسان فيبدأ في نهاية الأسبوع الرابع قرابة اليوم ٢٩ الى ٣٠ تقريباً</u> حيث تتجمع قطعه الخاصة وهي براعم خاصة تنشأ من الجهاز الهضمي للإنسان من التبارزات المشكلة للوجه يوضحها الشكل:



فيكون له برعم أوسط وآخران وحشيان مع برعم خلفي هو ما يسمى العقيدة مع برعم خلفهما أيضاً وتدريجياً تنمو مع بعضها ونلاحظ تشكلها قبل اليوم ٤٢ حيث سيتقرر بعدها إذا كان سينضج عضل اللسان بشكل صحيح ام لا.

---

[1] سورة البلد آيات ٨-٩-١٠

[2] سورة الملك آية ١٤

ثم يتم الإلتحام بعد ٤٢ يوماً وبإذنه تعالى وبالشكل المناسب الطبيعي والا فانه سيحدث تشوه فيه لا محالة.

ثم تتقوى عضلات اللسان وتكسو العظام التي تحتها أي تتثبت عليها وتقويها وتؤمن حركتها وهذا يستمر حتى الأسبوعين ٢٦ إلى٢٨.وهنا نجد أنه في الأسبوع ٢٨ تكون العين مفتوحة كاملة وقد استكملت تشكلاتها قبلاً منذ الأسبوع ١٧ إلى عشرين عموماً.

وفي هذه الاية نجد أن الترتيب للخلق وليس للوظيفة ولذا قال عينين ولم يذكر البصر نفسه وصرح بالعضو ولم يصرح بالحس الخاص به.

حيث نعلم أن اللسان كوظيفة عضلية يصبح جاهزاً بعد اكتمال الإلتحام ونضج أعصاب حركته وهذا محقق قبل الولادة بعكس النضج العصبي الخاص بالعينين.

أما الشفتان فهما تنشآن مع الوجه وذلك نحو الأسبوع الرابع من خمس بداءات وهي:

-بروز جبهي انفي

-برعما فك علوي

-برعما فك سفلي

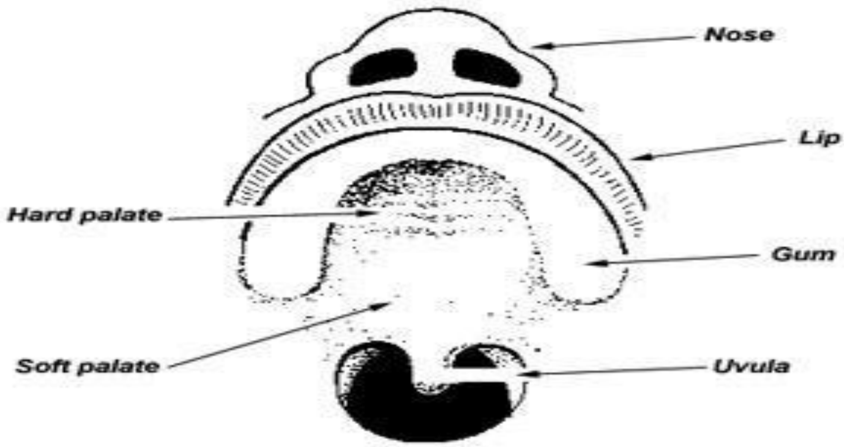
وكلها تتطور معاً بين الأسبوعين ٤ الى ٨ حيث أنه في نهاية الأسبوع الثامن ستعطي الشكل العام لوجه الجنين ولكنه لا يزال يحتاج وقتاً ليأخذ الشكل النهائي فالبرعم الجبهي الأنفي سيعطي خلال الأسبوع الرابع وبشكل متتالي حفرتين أنفيتين سينشأ منهما الأنف وبروز جبهي آخر يتطور كما في الأشكال.

لاحظ هذا الشكل الجميل لتتابع التشكل في الوجه مع الأزمنة سبحان الله إنه شيء معجز حقاً صلى الله على رسول الله لاحظ أنه بعد اليوم خمسين إلى اليوم ستين أي في الأسبوع الثامن لازال بحاجة إلى تشكلات أخرى ولكن الرسم العام عموماً واضح انظر لباقي الأشكال لتنظر الفروق والتطور المتلاحق



والأهم هو براعم الفك السفلي والفك العلوي حيث أنهما سيشكلان الشفتين موضوع بحثنا الآن وذلك خلال الأسبوعين ٦ الى ٨ نجد التحام البرعمين الأنفيين مع البرعمين الفكيين العلويين وتشكل قطعة خاصة تسمى قطعة بين فكية نجدها في الشكل السابق.

لاحظ براعم الفك العلوي والسفلي لنلاحظ بداءاتها ثم تتطور نحو الشكل التام رقم ١٦ عمر حوالي ٣٥ يوم ثم يليه عمر ٤٠ يوم ثم حوالي ٤٥ يوما تقريباً تأمل





لاحظ الوجه بعمر ١٦ اسبوع تأمل وصلِّ على النبي



تعطي هذه القطعة خلال الأسبوعين التاليين القسم الأوسط للشفة العليا أما القسمان الجانبيان فينشآن من البرعمين ذاتهما.

هذه القطع التي ذكرتها حتى الأسبوع السادس تكون موجودة ولكن غير متمايزة ثم تبدأ بتشكيل سماكة من الوريقة الخارجية المحيطة بالجنين (وهي خلايا أمهات الجلد) تشكل هذه السماكة ما يسمى بالصفيحة الشفوية ثم يتشكل رباط الشفة مع اللثة المقابلة وهذا يتم بالنسبة للبروزين الفكين السفليين

لاحظ وجه الجنين في عمر الأربعة أشهر تأمل هذا



ونجد من الشكل أنه لجنين بعمر حوالي خمسة أسابيع لا شيء ظاهر منها بعد ثم لا تبدأ البداءات بالإلتحام قبل الأسابيع ٦ إلى ٧ ثم التشكل شبه التام للمنطقة حوالي الأسبوع ١٢ وتتشكل

الشفة العليا قبل الشفة السفلى وبالتالي فالعينين أولا حيث تتشكل أسسها العامة حوالي الأسبوع التاسع ثم اللسان بين الأسبوع ٩ إلى ١٠ ثم الشفتين حوالي الأسبوع ١٢ ثم في نهاية الشهر الرابع بث الروح وفيه يبدأ يدخل التفكير الواعي المدرك الذي ينقصه العلم ولذا قال **((وهديناه النجدين))**[١] والله اعلم.

[١] سورة البلد آية ١٠

الباب السابع

مرحلة (ثم أنشأناه خلقاً آخر)

قال تعالى :(**(فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر))**[1]

وقال أيضاً: **((يا أيها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً))**[2]

إن هذه المرحلة لم يتكلم عنها النبي صلى الله عليه وسلم صراحة في حديث الأربعينيات حيث أنه كان يركز فيه على التشكل البدئي الذي يحصل قبل بث الروح أما بعدها فكان البيان الإلهي قد صرح بها بقوله: **((ثم أنشأناه خلقاً آخر))**

وقوله: **((ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً))** وتحديدها في مدة معينة أيضا كان من تصريح البيان الإلهي في القرآن الكريم وذلك من خلال المقارنة بين قوليه في آيتين منفصلتين أولاهما يقول تعالى فيها: **((وفصاله في عامين))**[3]

أي أن مدة فطام الولد القصوى هي عامين وذلك لمن أراد أن يتم الرضاعة ولذا قال تعالى: **((والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة))**[4] **البقرة(٢٣٣)**

ثم قال في الآية الأخرى: **((وحمله وفصاله ثلاثون شهراً))**[5]

---

[1] سورة المؤمنون آية ١٤

[2] سورة الحج آية ٥

[3] سورة لقمان آية ١٤

[4] سورة البقرة آية ٢٣٣

[5] سورة الأحقاف آية ١٥

أي كانت مدة الحمل والفصال معاً ثلاثين شهراً فكان الحمل وحده حوالي ستة أشهر كاملة وهذا خلاصة المقارنة بين المدتين في الآيتين وقد **كان الصحابة أسبق منا لهذا** في عهد سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه مرة والأخرى في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنهم حيث أنه في المرتين جاء أحد الناس يدعي أنه تزوج امرأته من ستة أشهر فقط وهاهي قد حملت وولدت وكاد في المرتين أن يقع عليها الأمرويحكم لصالح الرجل إلا أن فطنة الصحابة أسبق حيث أن سيدنا علي رضي الله عنه نوه لهاتين الآيتين في المرتين وأوضح أن أقل الحمل إتمام ستة أشهر والدخول بالسابع وهاهي الروايات كالآتي كما أوردها ابن القيم في كتابه تحفة المودود: ((في مقدار زمان الحمل واختلاف الأجنة في ذلك قال الله تعالى: **((ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كُرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)) الأحقاف ١٥**

فأخبر تعالى أن مدة الحمل والفطام ثلاثون شهراً وأخبر في آية البقرة أن مدة تمام الرضاع حولين كاملين فعلم أن الباقي يصلح مدة للحمل وهو ستة أشهر **فاتفق الفقهاء كلهم على أن المرأة لا تلد لدون ستة أشهر إلا أن يكون سقطاً** وهذا أمر تلقاه الفقهاء عن الصحابة رضي الله عنهم فذكر البيهقي وغيره عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي: أن عمر أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم عمر برجمها فبلغ ذلك علي رضي الله عنه فقال: ليس عليها رجم.

فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه فسأله. فقال :(**(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة))** البقرة(٢٣٣) وقال: **((وحمله وفصاله ثلاثون شهراً))** الأحقاف ١٥

فستة أشهر حمله وحولان تمام الرضاعة لا حدَّ عليها، فخلى عنها)) انتهى كلامه رحمه الله ورضي عن الجميع.

ومن هنا نستنتج أن تمام الحمل ستة أشهر أي أنه يلزمه فترة الإنشاء في خلق آخر على الأقل ليخرج بعدها طفلاً ومن هنا كان قوله تعالى **((ثم أنشأناه خلقا آخر ثم نخرجكم طفلاً))**[1]

[1] سورة الحج آية ٥

أي أن الإخراج للولد لا يكون إلا بتمام الحمل وبالتالي تكون هذه الفترة حوالي شهرين على الأقل بعد الشهر الرابع وقد تزيد وتنقص ككل المراحل بحسب الأجنة واختلافاتها فمنهم من يتمم حمله ويخرج طفلاً للحياة في نهاية الشهر السادس أي ضمن الشهرالسابع ويسمى في المفهوم العامي بين الناس (طفل سبيعي)

ومنهم من يكمل مرحلة الحمل ويكون قد لزمه كامل فترة الحمل وهو الأفضل طبعاً لأنه يكون قد أكمل فترة الحمل الأشمل ليكون طفلاً قادراً على الحياة ولعل الإشارة هنا إلى هذه المرحلة على أنها كما قال سيدنا علي رضي الله عنه هي أقل مدة للحمل أي أقل شيء يجب أن يكون الجنين قد أنهى السادس ودخل في السابع ليصبح قادراً على الحياة ولكن طبعاً ما من أحد ينكر أن إتمام مرحلة الحمل لأخرها (نهاية تسعة أشهر هي الأصلح والأفضل)

و هذا ما يحدث فعلياً حيث ثبت طبياً أن الولد عندما يُتم في بطن أمه ستة أشهرويدخل في الشهر السابع يمكن أن يخرج بسلام ويتابع حياته على الرغم من لزوم بعض العناية الخاصة له في هذه الفترة ولكن الأمور الأساسية اللازمة لحياته فعليا تكون قد اكتملت.

إن الجميل في هذه المرحلة أنها تتكلم عن خلق آخر للجنين البشري ولكن ما هو هذا الخلق الآخر؟

وما سر هذه المرحلة فعلياً؟

أجيب عن هذا بقليل من التفصيل حيث أن الجنين في بداية حياته وتشكله كان في مرحلة نشأة نسيجية بحتة بمفهوم الحياة البيولوجية للخلية والتي سنناقشها ونوضحها لاحقاً يقول إبن القيم ما أدهشني لشدة نباهته رحمه الله : **((فإن قيل: الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟**

قيل: كان فيه حركة النمو و الاغتذاء كالنبات ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالإرادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واغتذائه.))[1]

على أنها حياة كما يصطلح طبياً عليها باسم الحياة النباتية مثل تعبير ابن القيم رحمه الله أي أنها خلايا ونسج تتكاثر وتنمو وتتمايز بإذنه تعالى على أساس متابعة الملك الذي وكله الله تعالى بها ولكن بعد ١٢٠ يوم وعند انتهاء مرحلة المضغة نجد دخول الجنين البشري بمرحلة جديدة تدخل عليها أمران يميزانها:

أولهما التحولات النهائية للأعضاء التي كانت قد تشكلت أي مرحلة تمام التصوير لها وبواسطة هذه التحولات سيصبح الجنين بعدها قابلاً للحياة خارج بطن أمه وتتلخص بالنمو والتمايز أو التصوير التام الذي ستأخذه الأعضاء التي تشكلت وتمايزت فيما مضى

الشيء الثاني هو إضافة الروح على الجسد وهو العنصر الأهم حيث أصبح الإنسان هنا متكاملاً وزاد على صفاته وخصائصه الجسدية أمر هام هو الحس الحقيقي بما حوله والإرادة التي أصبح يقوم بواسطتها بالأمور على مزاجه وكما يشاء أي دخلت عليه فكرة أن يختار ويشاء ما شاء الله له أن يفعل ولكن باختياره وبحسب متعته الخاصة هو وهذا أمر هام سنبحثه بالتفصيل تباعاً ومن هنا كان الانسان المتكامل الذي بدأ نطفة صغيرة ثم تطور لعلقة ثم مضغة لقد أصبح إنساناً تاما الآن وها هو يستعد للخروج خارج بطن أمه.

أما **الأمر الأول وهو إتمام تمايزه ليصبح قادراً على العيش خارج بطن أمه** فيقسم لقسمين أيضاً:

منها أن يتمايز في بعض أعضائه مما يلزمها أن تنضج لتصبح قادرة على خدمته خارج جسد أمه ومنها أن تتمايز الأعضاء أكثر وأكثر لتصبح ناضجة

أما الأولى فمن **أهمها النضج الرئوي** الذي لا يحصل إلا بتشكل ما يسمى العامل السطحي الذي يسمح لها أن تنفتح وتدخل الهواء إلى داخلها وبالتالي تبدأ بالقيام بعملها وهذا ما يحدث بعد صرخة الولد الأولى التي هي زفير عميق يخرج

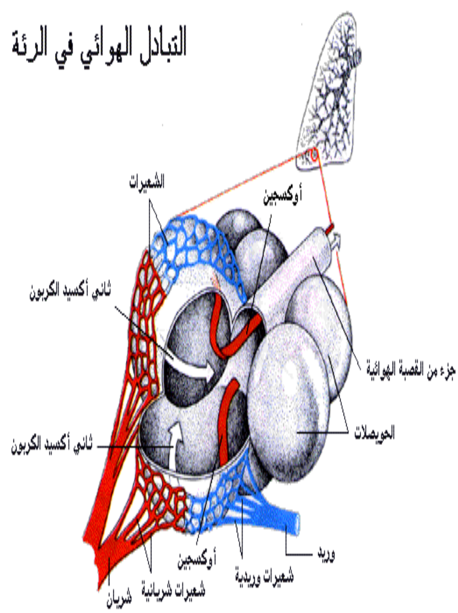
---

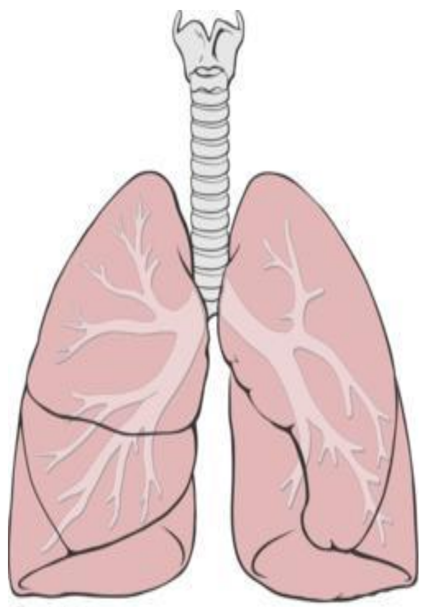
[1] التبيان في أقسام القرآن لابن القيم صفحة٣٥١

الماء من رئتيه ويسبب بعدها دخول الهواء إليها وهنا نجد أن أهمية العامل السطحي الذي يلعب دوراً كالزيت حيث يقوم بمنع إلتصاق النسيج الرئوي ببعضه.

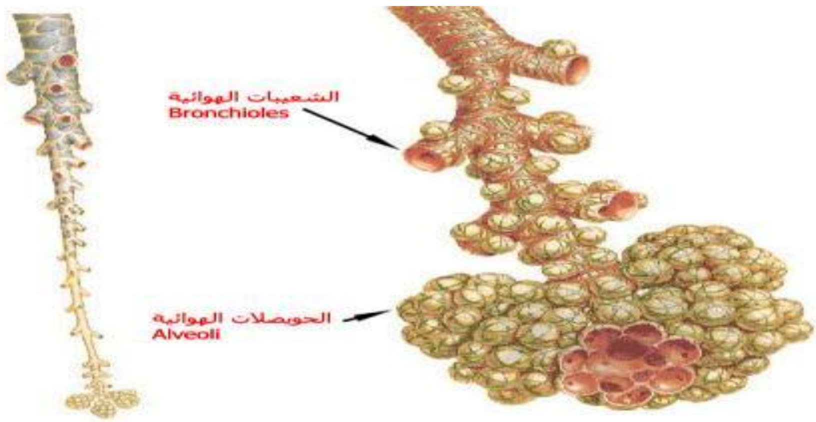
إن هذا العامل السطحي لا ينضح فعلياً قبل نهاية الشهر السادس كما ثبت جنينياً.

لاحظ الشكل التالي نجد فيه الرئتين عند الانسان كما نجد الحويصلات الرئوية وآلية عملها أنها إذا انطبقت على بعضها أدت لعدم القدرة على دخول الهواء والتبادل الغازي الذي يجلب الأوكسجين للدم من خلالها فتأمل أن العامل السطحي يمنع هذا الإنطباق.



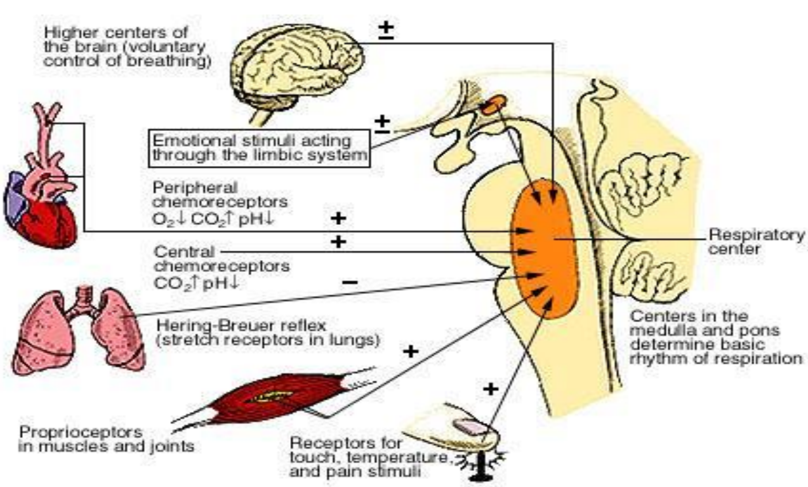


هذا منظر آخر للحويصلات الرئوية تأمل مظهرها وصلي على رسول الله



ومن الأمور المهمة لقيام الرئتين بعملها هي **<u>المراكز العصبية المشرفة على العملية التنفسية</u>** وثبات حرارة الجسم وهذه **<u>لا تنضج فعلياً قبل الاسبوع السادس والعشرين وهو ما يعادل نهاية الشهر السادس وبدء السابع</u>** ولذا يصبح الطفل إذا خرج للعالم الخارجي قادراً على السيطرة على حرارة جسمه وتنفسه من خلال دماغه لا انعكاسياً مما يجعله قادراً على العيش إذا ما خرج بعد هذا الوقت.

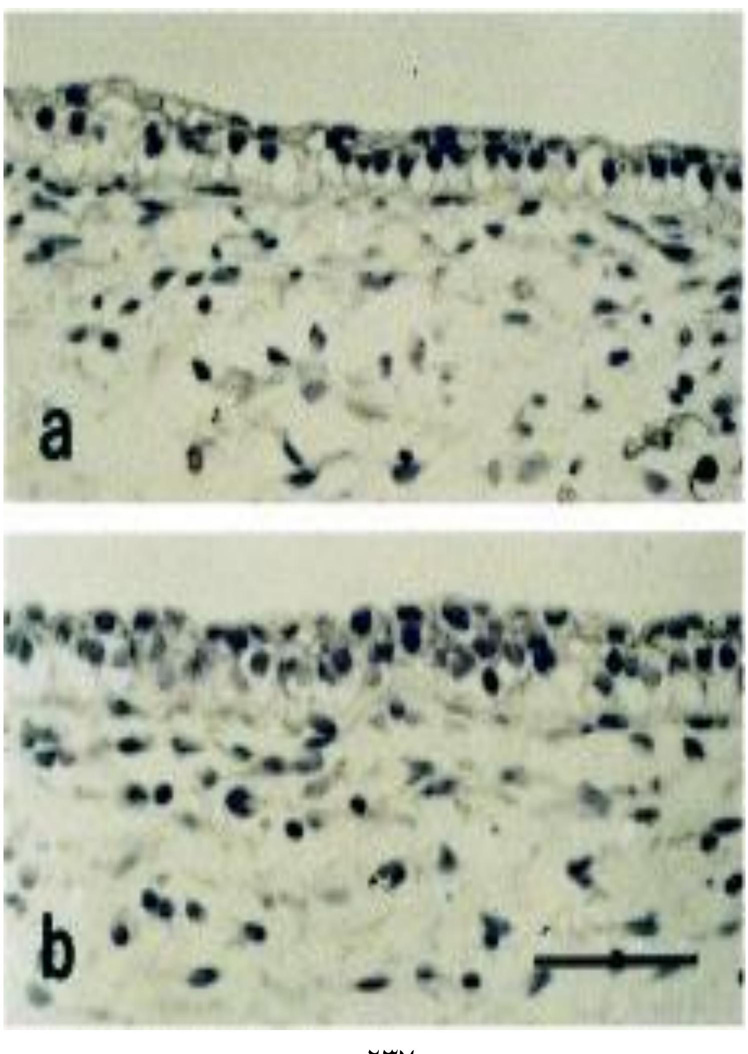
الشكل التالي يوضح المراكز العصبية في جذع الدماغ المسئولة عن التنفس وهي تنضج في نهاية الشهر السادس كما أوردنا لاحظ منطقة التنفس السهم عليها في الوسط أيمن الشكل.



ومن الأمور الهامة التي تحمي جسد الطفل عند ولادته **<u>الطلاء الدهني الذي يغلف الجلد</u>** ويلعب دوراً في إعطائه قدرات مناعية ضد الإلتهابات أو العوامل الممرضة.

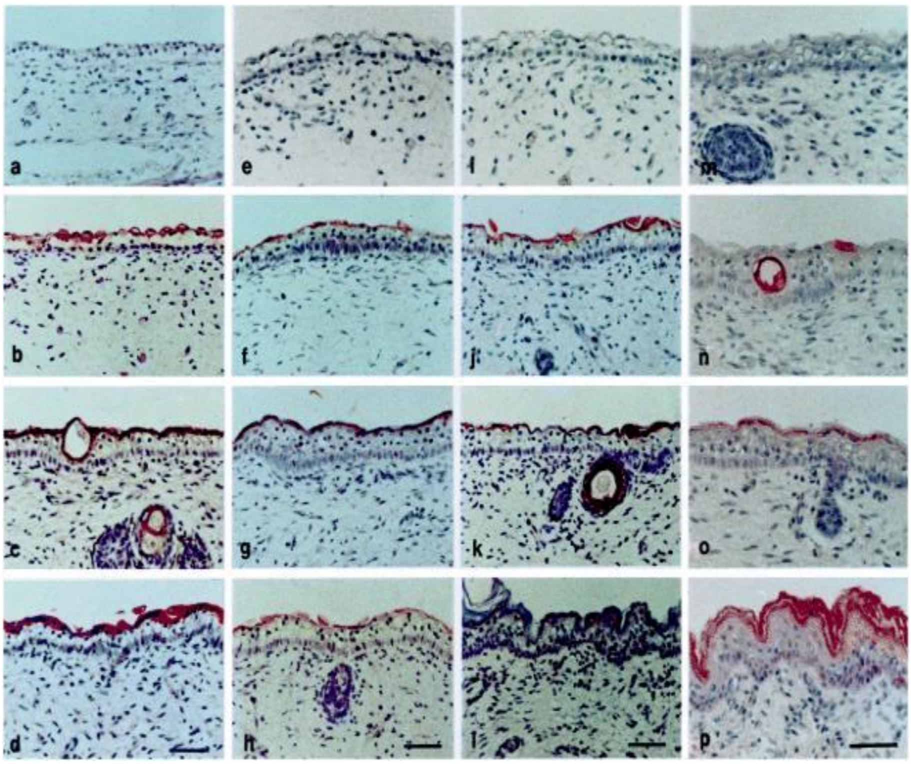
<u>إن هذا الطلاء لا يتواجد ويغلف الجسد قبل نهاية الشهر السادس وكأنه يهيئه للخروج نحو الخارج قبل ان يولد</u> فسبحان الله الذي سيعِدُّ هذا الجنين لما سيلقاه من عوامل خارجية قد تكون خطيرة عليه بدون هذا التغليف لجسده ولذا لا يحبذ إزالة هذا الطلاء بل نغسل المولود بالماء فقط ونتركه عليه لعظم فائدته فتأمل وصلي على النبي العدنان الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم.

لاحظ الشكل التالي يوضح جلد جنين بعمر ١٠ أسابيع رقم أ- وبعمر ١٢ أسبوع رقم ب- هذا في بداية تشكله لا تزال طبقات غير واضحة ولكن لا يوجد طبقات متقرنة فعلية أو حتى دهنية



لاحظ الشكل التالي نجد تتالي فترات التشكل للجلد مع الطبقة المتقرنة التي ستتطلى بالغلاف الدهني مؤخراً

الشكل وقربه العمر بالأسبوع أ-عمر ١٤أسبوع الشكل ب-٢٢ أسبوع ج-٢٦ أسبوع د-١٤ أسبوع هـ ١٦ أسبوع f- ٢٤ أسبوع g ٢٦ أسبوع



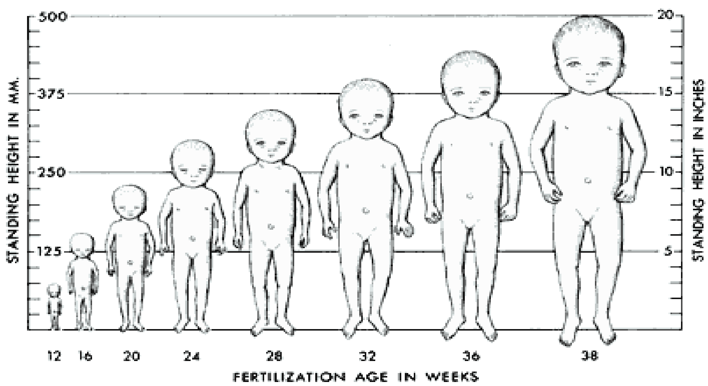
من الأمور الهامة أيضاً <u>**أن الدم نفسه يأخذ الشكل الطبيعي للتشكل من نقي العظم ويتوقف الطحال عن الإنتاج وهذا أمر هام**</u> من حيث حماية هذه المناطق المنتجة للدم حيث أنها مكنونة داخل العظام ومحفوظة بينما الطحال عضو داخلي صحيح لكنه بالنسبة للحياة العملية للإنسان سيكون معرض لأخطار كثيرة من حيث توضعه داخل البطن الذي قد يتعرض لرض ما في حياة الانسان فيصبح خطيراً جداً إذا ما سبب أذية الطحال الذي يحتوي في العادة على ما يقارب من نصف ليتر من الدم الذي يجعل نزفه خطيراً وقد يكون مودياً بالحياة فتخيل مع هذا أنه يكون مركز لصناعة الدم بعد الولادة لا شك أنه أمر خطير جداً ولذا كانت العناية الإلهية التي ستصنع هذا الإنسان في أحسن صنعة لا بد أن توقف نشاط

الطحال الذي كان مهما عندما كانت الحياة الجنينية ولكن ولظروف الحياة التي ستحيط بالانسان سيتوقف هذا ليعطي نقي العظام دوره في العمل فلنتأمل ونسبح بحمد ربنا..

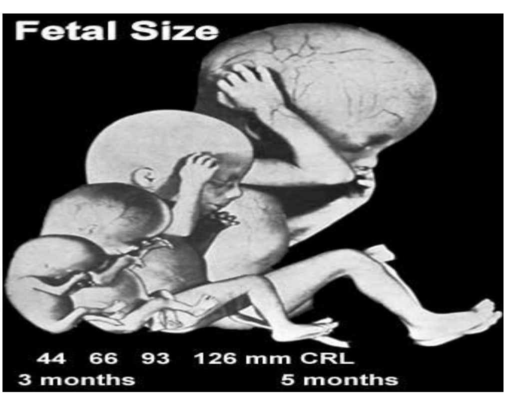
من الأمور المهمة التي تسبق نهاية الشهر السادس حوالي الأسبوع ٢١ الى ٢٥ هي **<u>الزيادة الملحوظة في وزن الجنين</u>** وهذا الأمر مهم جدا فقد لوحظ أن الأجنة التي تقل أوزانها عن ٥٠٠ غرام والذين عمرهم أقل من ٢٢ أسبوع لا تستطيع أن تعيش أما ما بين ٥٠٠الى ١٠٠٠غرام فيعتبرون غير ناضجين ولكن ممكن أن يكون لديهم أمل مع العناية الخاصة إذا ما ولدوا بعد الأسبوع ٢٢

أما الأطفال ما بين ٢٦ الى ٣٦ أسبوع ويزنون ما بين ١٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ فيكون لديهم حظ وافر بالحياة وهم ما يسمون الخدج وهم ما يأتون أحياناً في الشهر السابع وهنا لنلاحظ تلاصق أهمية الوزن مع العمر فالوزن من ناحية تشكلات الأعضاء ونموها والعمر من ناحية نضج أعضاء بعينها مثل العامل السطحي في الرئتين والنضج العصبي لمراكز التنفس في الدماغ وغيره مما نذكره في بحثنا هذا..

تأمل الأشكال التالية:



وتتناسق أجزاء جسم الجنين في هذه الفترة (حوالي الأسبوع ٢٢)



ونجد أن الجلد لا زال مجعداً وشافاً ليس فيه طبقة شحمية وهي لا تتشكل إلا في نهاية هذا الشهرأي الشهر السادس وبداية الشهر السابع أما الرئتين فرغم أنها تفرز عامل التوتر السطحي إلا أن النضج الرئوي لا يكون قد تم بعد لذا يموت الجنين إذا ما ولد في هذه الفترة ولا بد أن ينتظر الى نهاية الشهرالسادس حتى يحدث هذا النضج فلنتأمل.



أما الشعر الهام عصبياً والذي له دور هام في العديد من المواقع كالرموش والحواجب فضلاً عن تغطيته للجسم فلا نجد أنه يتوضح في الجنين قبل نهاية الشهر الخامس حيث يظهر في فروة الرأس ورموش العينين بشكل واضح..

لنلاحظ الشكل المجاورالجنين في الشهر الخامس

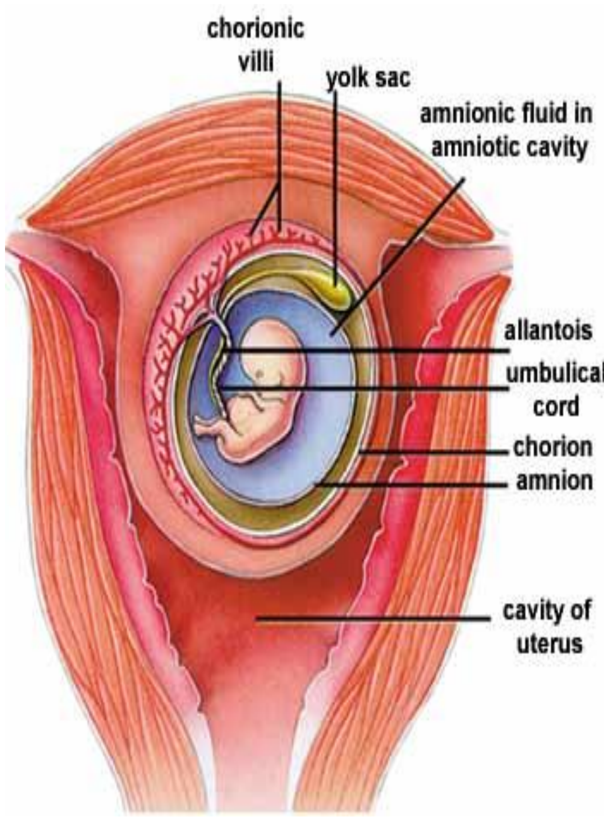
الشكل التالي يوضح جنيناً بالشهر السادس



أما الجهاز الكلوي فتتدرب على عملها بدءاً من الأسبوع الثاني عشر وهو أمر هام حيث أنها تتأهل شيئاً فشيئاً لدورها في العمل منذ ذلك الوقت.

ومن الأمور الهامة جداً السائل الأمنيوسي الذي إذا ما حافظ على كميته التي تكون حوالي ٢٥٠ الى ٢٠٠٠ مللتر في النصف الثاني من الحمل هذه الكمية إذا بقيت زائدة سبب مشكلةً في قدرة الجنين على ابتلاع كل هذه السوائل حيث قد تسبب موته حيث بعد الأسبوع ١٤ الى ١٨ يصبح مرورهذا السائل من خلال الفم والتنفس في الجنين نفسه ثم يصرفه عبر الكلى التي بدأت بالتدرب على هذا العمل مسبقاً بشكل بسيط فنجد الجنين يبول في السائل الامنيوسي ثم يعود ليبتلعه وطبعاً هنا ليس كالبول الآدمي المركز للكبير البالغ وإنما كله سائل مصلي بسيط كالماء بتركيبه تقريباً وهذا مهم من ناحيتين تجديد السائل نفسه وتدريب أعضاء الجنين على العمل من ناحية أخرى فنتامل هذا..

الشكل التالي لجنين بعد مرور حوالي ٤٥ يوما تقريبا لاحظ كيف أنه يسبح في السائل الأمنيوسي



لاحظ الجنين هنا بعمر ١٢ أسبوع كيف يحيط به الغشاء الأمنيوسي وهو يسبح داخل السائل الأمنيوسي



أما كمية السائل الأمنيوسي فنجد أنها تقل فعلياً شيئاً فشيئاً لتصبح بين ٢٢٠ الى ٥٠٠ مللتر في نهاية الاسبوع(٢٠) أنظر كيف أصبحت مجهزة كقوة سائلة تساهم في دفع الطفل إلى الخارج بعدئذ إذا ما جاء موعد الولادة وهو يستمر بالتناقص تدريجياً بما يتناسب مع هذه الوظيفة وهي تسرية الطفل عند الولادة خارج بطن أمه ومنعه من الالتصاق بأغشيتها الباطنية من الرحم بعدذلك فنلنتأمل..



لاحظ الشكل التالي كيف يقل السائل الامنيوسي كثيرا مع بقاء بعضه في نهاية الحمل

لاحظ في الشكل السابق أنه من الأمور الهامة وضعية الجنين داخل الرحم فكيف لجنين بعمر الأربعين أو بضع وأربعين لا

يتجاوز طوله ٧ مللمتر وسطياً أن يأخذ وضعيته كيف سيكون هذا وهو يسبح في سائل كالبحر الكبير المحيط به في السائل الامنيوسي كما نعلم ولذا كان كبر حجم الجنين له دور هام جداً في أخذ الجنين لشكله وتوضعه الذي سيؤمن بعد ذلك إخراجه بشكل سليم من الرحم ولذا نجد أنه في الأشهر الأربعة الأولى لا يكون له وضعية ثابتة وذلك لصغر حجمه ووفرة السائل الامنيوسي حوله وخلال الشهرين الخامس والسادس يطابق محور الجنين الطولي محور الرحم الطولي مع وجود الرأس أو المقعد في الأسفل لتعادل حجميهما خلال هذه الفترة ولا يكون التصحيح إلا في الأشهر الثلاثة الأخيرة حيث يصبح الرأس نحو الأسفل ولكن يمكن أن يكون الرأس في الأسفل في بداية السابع لأنه كما أسلفنا يكون مساوياً في حجمه للمقعد ولذا إذا ما حدث هذا فقد يكون له دور في تحريض المخاض والوضع في هذا الوقت فلنتأمل ونسبح بحمده تعالى حيث أن هذا ما ذكره علماء الصحابة بدقة من كون أقل الحمل ستة أشهر وهو مما ورد في الآيات الكريمة فلنتأمل كيفية تعليم ربنا لنا سبحانه هو الخالق العالم بما خلق ورحمهم الله كيف كانوا يستقرئون القرآن والحديث بذكاء وفطنة ما لها مثيل رضي الله عنهم وارضاهم..

الباب الثامن

مناقشات مفتوحة

الروح والبيولوجيا الحية

وهنا سأوضح الفرق بين مفهوم الروح التي لا نعلم عنها شيئاً والتي حصرها الله تعالى في علمه وبين الفيزيولوجية التي خلقها الله تعالى والتي تتميز بها الأشياء ومن ضمنها الخلايا والنسج والمكونات الجسدية عامة والتي تتحرك بها المخلوقات بأمره تعالى وهي تختلف عن الروح التي تبث في نهاية الشهر الرابع حيث ترتبط مع الجسد المادي لتكون الإنسان الكامل بإذنه تعالى وهي المسؤولة بدورها عن الحياة ذاتها وتسيطر بعدها على هذه الفيزيولوجيا الحية للجسد وعند خروجها تبدأ عمليات تفسخ الجسد كما سبق وأسلفنا..وهنا أوضح بأن الكلام في ماهية الروح وطبيعتها أمر لا يجب أن ندخل به أصلاً لأن ربنا عز وجل قد حصرها بنفسه بقوله: **((قل الروح من أمر ربي))**[١]

فالروح هي من علم الله الذي لم يطلع أحداً عليه وهو هنا يحصر الأمر في ماهية الروح وطبيعتها كما أسلفنا أما بعض أمورها فقد ذكرها لنا ربنا عز وجل من كونها تدخل وتخرج وتُسحب من الجسد وغيرها من الصفات التي أراد لنا بمعرفتها أن نعلم بأن الروح هي مادة ولكن من طبيعة غير متشابهة مع الجسد وهنا لأطرح هذا المثال البسيط بين يديك أخي القارئ الكريم فلو افترضنا أن مصباحاً يحوي الأسلاك والمكونات الخاصة المختلفة به وعندما نكبس زر التشغيل نجد أنه يجعل الطاقة الكهربائية تمر بهذه الأسلاك وتصل إلى المصباح وذلك بسبب الكهرباء التي سببت إنارته أما عند إطفائه فنجد أن كبسة زرالإطفاء تسبب أن يُطفئ المصباح إن هذا يطرح أمامنا التساؤل التالي:

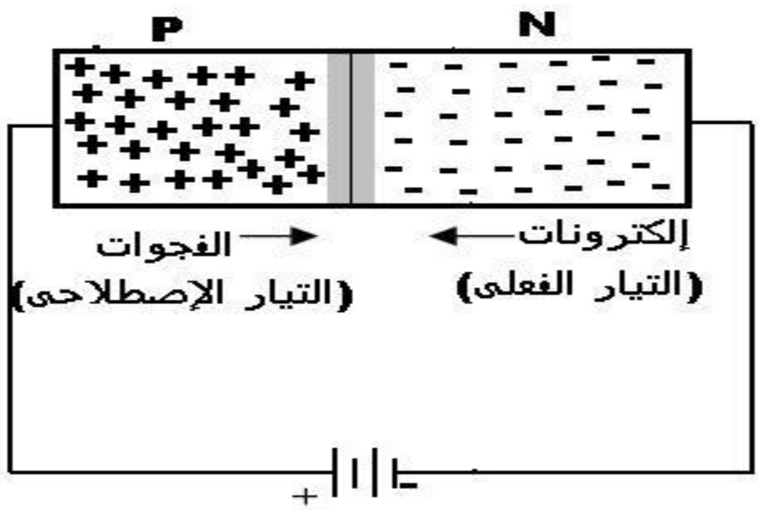
تُرى أين ذهبت هذه الكهرباء ولا سيما أن الأسلاك لا تزال مكانها ولكن عدم مرور الكهرباء بها سبب انطفاء المصباح ولبست الكهرباء إلا حركية للالكترونات السالبة كما أوضحَت هذا المكتشفات الفيزيائية فهي تتحرك من جهة إلى أخرى وهي لا

---

[١] سورة الإسراء آية ٨٥

تزال موجودة داخل ذرات الأسلاك وقادرة على الحركة ولكن لم تعد تتحرك حيث تم إيقافها

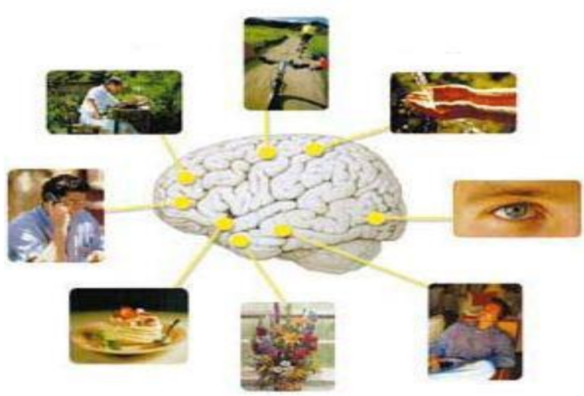
لاحظ الشكل التالي يوضح آلية نشوء التيار الكهربائي لاحظ حركية الإلكترونات



ومثلها الروح فهي بيد الله وإن حركتها المتسببة بحد ذاتها لا يمكن تفسيرها فهي عندما يضعها ربنا وينفخها الملك بإذن الله داخل الجنين يصبح له خصائص مختصة فهو إنسان كامل ويتابع حياته وتطوره بـ ط ٥ يسشض

أما عندما تخرج من الإنسان فنجد عندها أن جسده بوظائفه المختلفة ستتوقف ويمر بمراحل متتالية تسبب تفسخه وانحلاله وكأن هذه الروح كانت العنصر الذي أوقد عنصر الحياة فيه وحافظ عليها وبنفس الوقت أدخل عنصر الوعي الحقيقي عند هذا الإنسان كما أدخل عنصر الإرادة فيه أيضاً

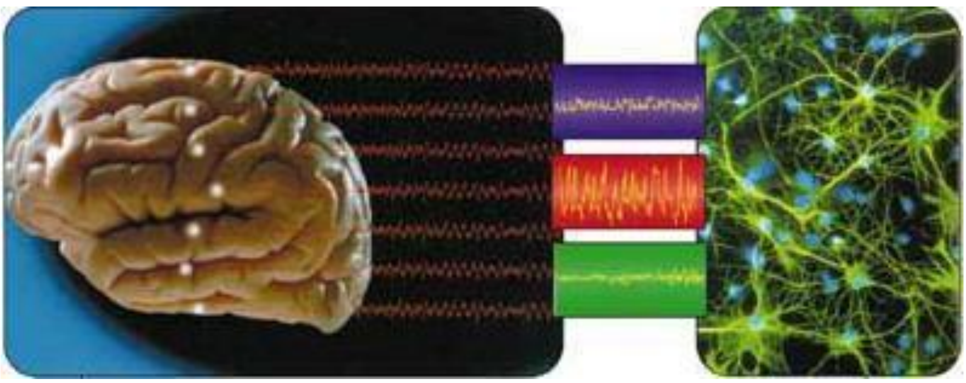
الشكل التالي يوضح علاقة الدماغ بالمحسوسات وكيفية حصول الوعي الذي لا يزال غامض الكيفية حيث أن نسيج الدماغ المادي ليس إلا طريق موصلة أيضاً للنفس البشرية بذاتها تأمل هذا المعنى



أما طبيعة ما جرى فعلياً فلا نعلمها ولا ندري كيف ترتبط هذه الروح مع الجسد لتولد هذه القدرة على الحياة.

حتى الآن آلية الإدراك غير مفهومة سوى أننا نعلم أن الدماغ يحول هذه المحسوسات إلى كهرباء في الألياف العصبية ثم ندرك ماهيتها إنه أمر غريب ومبهم علينا؟؟؟؟

تأمل الشكل التالي وهو يوضح هذا وقل (ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[1]



أما الفيزيولوجية الحية أوما تسمى بالحياة النباتية فهي أمور وخصائص جعلها ربنا في كل خلية حية وهي أمور منتهاها غيبي لا نعلم كنهه ولكن مبدؤها عموماً واضح لنا كآليات لنشوء الحركة العامة لكل وظائف الخلية الحية وهي أيضاً من أمره تعالى بالنتيجة ولكنها كآليات ممكن شرحها وربطها ببعضها وهنا أريد بشرحي القادم أن أرد على الذين يعدون البيضة الملقحة نفسها هي روح أو فيها روح وينفون أن الروح تخص شهراً معيناً تُبثُّ فيه مناقضين بذلك العلم الشرعي والعديد من الحقائق التي ثبتت حول ما يضاف إلى الإنسان في مرحلة النشأة كخلق آخر وكذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم حول بث الروح والتي جمهور العلماء على أنها تبث في نهاية ١٢٠ يوم أي نهاية الشهر الرابع..

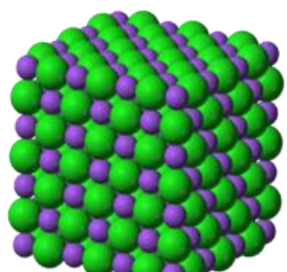
وهنا لأضرب بعض الأمثلة الهامة في هذا الأمر:

[1] سورة آل عمران آية ١٩١

<u>المثال الأول:</u>

إن الطبيعة أو الخصائص الخاصة بكل جزيء في الكون هي صفات وضعها الله سبحانه وجعلها متمثلة في هذا الجزيء أو ذاك ولكن فعليا هي ليست روح أي لا تمت لموضوع الروح بصلة وهنا لننظر إلى الشوارد المعدنية مثلاً فالله تعالى خلق الكربون وخلق الأوكسجين والهيدروجين والكلور والصوديوم وغيرها من الذرات ولكل منها خصائصه الطبيعية التي إن جاز التعبير أراد الله لها أن تخصه دون غيره وهذا إن دل على شيء فهو يدل على براعة الخالق سبحانه من خلال التخصص الجزيئي والذري في كل منها وقد ثبت علمياً أمر يسمى الولع أو الحب الشاردي فالكلور مثلاً يحب الإرتباط مع الصوديوم وله ولع به بحيث إذا وجد معه لا يتفاعل إلا معه وهذا من مثبتات الفيزياء

لاحظ جزيئ ملح كلور الصوديوم أي ملح الطعام

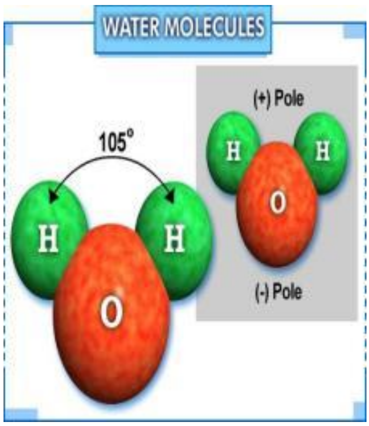




كذلك الهيدروجين يحب الإرتباط مع الكربون والأوكسجين في مركبات من أهم ما وجد على سطح الارض بل يعتبرها البعض أمهات المادة الحية أي الأحياء هذه المركبات هي الكربوهيدرات

لنأتي الى الأوكسجين والهيدروجين وحدهما أيضاً لكل منها ولع بالآخر دون غيره من الذرات..

لاحظ جزيء الماء في الشكل التالي إنه كما قال تعالى: ((صنع الله الذي أحسن كل شيء))[1]





وكذلك عند تواجد الكربون مع الأوكسجين وهكذا سنجد أن هناك فيزيائية معينة تتحكم بها جميعاً وتؤدي إلى إعطاء كل منها طبيعته الخاصة وذلك كي تتخصص ببعضها وتشكل المركبات المختلفة ضمن شروط خاصة ومحددة بها بحيث إذا تواجدت هذه الشروط وكان هناك ذرات أخرى فإنها ستنحو نحو ما تحب من الذرات التي ضربنا أمثلة عليها ولولا هذه الميزات والخصائص لبقيت ذرات منفردة أو مركبات خليط لا تمايز فيها وهنا لو أردنا الكلام عميقا في سبب هذا الأمر لوجدنا أنه عائد بالأساس إلى البروتونات والالكترونات الخاصة بكل منها والتي شاء الله سبحانه أن تتلاقى بشكل معين وبقوانين محددة اكتشفنا بعضها وربما الكثير منها لم يكتشف حتى الآن ..

أما في مجال العضوية الحية وهو موضوع بحثنا فلو نظرنا لأمر الشوارد المعدنية في الليف العصبي مثلا لوجدنا أنها تتوضع بشكل متوازن في الطرفين داخل خلايا الألياف العصبية وخارجها وهذا من الأمور المثبتة علمياً ولكن لننظر إلى هذا التوازن الحاصل في الجدول التالي ثم لنعود لنقاش كيفية هذا التوازن ودقائقه:

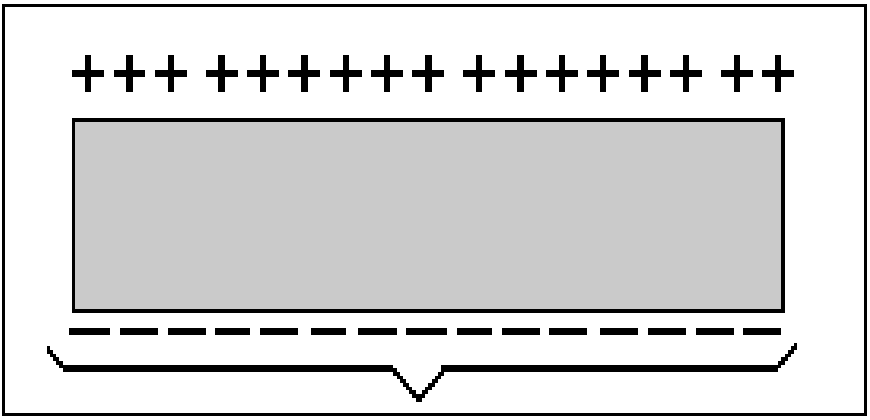
---

[1] سورة النمل آية ٨٨

الشاردة المعدنية	التركيز خارج الخلايا ميللي مكافئ /الليتر	التركيز داخل الخلايا ميللي مكافئ /الليتر	كمون توازن كل شاردة أي المحصلة
البوتاسيوم	٤	١٥٥ شاردة الراحة	٩٥-
الصوديوم	١٤٥	١٢ شاردة التنبيه	٦٥+
الكلور	١٢٠	٣.٨ شاردة حيادية	٩٠-
الهيدروجين	٣.٨	١٣ شاردة حيادية	٣٢-
البيكاربونات	٢٧	٨ شاردة حيادية	٣٢-
شوارد اخرى	٧	١٥٥	-
المحصلة	٠	٩٠-	-

لاحظ هذا التوازن الحاصل على الرغم من وجود فرق في الكمون سببه أن الغشاء البلاسمي للخلايا في حالة الراحة يكون اصطفائي النفوذية أي نفوذ لبعض العناصر دون غيرها وفق بوابات تفتح لها فقط ولا تفتح لغيرها فهو نفوذ للبوتاسيوم ولكن غير نفوذ الآن أي في حالة الراحة للصوديوم وكذلك الكلور والشوارد الأخرى التي لا يمررها في الوقت الذي يمرر فيه الكلور بنسبة ضئيلة فإن هذا فَرَضَ وجود فرق في الكمون يحافظ على توازن الغشاء والشوارد في الراحة بسبب هذه الإصطفائية التي لا تتغير إلا بالتنبيه الذي يأمر به الباري عز وجل عند الضرورة وهو المبدأ نفسه في عمل كل الأعصاب والعضلات وحتى القلب..

نتوضح في هذا الشكل أنه داخل الليف يوجد بوتاسيوم وبيكربونات وخارجه يوجد صوديوم وكلور وأنها بتراكيزها متوازنة كهربائياً وكيميائياً،
في الشكل لاحظ أن داخل الخلية سالب بالنسبة لخارجها كمون راحة (- ٩٠)



ولكن تنبيه بسيط من الخارج يسبب دخول الصوديوم وخروج البوتاسيوم وهنا نجد أن هذه الآلية هي فيزيولوجيا بحتة فالصوديوم له قنوات خاصة والبوتاسيوم كذلك والسؤال هنا في التنبيه الذي نطبقه نحن فما مصدره وما كيفيته إنها مجهولة.

ونفس الأمر يتم في تسلسل الأفكار في دماغنا ونفسه في إبداع أفكار جديدة فما هو سر هذا التنبيه أو الإلهام كما نسميه وهل هو تيار كهربائي خاص بنا هنا لو بحثنا به سنصل دوماً لنقطة واحدة وهي وجود شيء ما لا نعرفه يسبب الشيء الذي وصلنا إليه فالشوارد متزنة ولكن هناك ما ينبهها ويسبب لها الحركة التي ليست إلا طبيعة جبلها الله عليها ولكنها ليست الأساس في العمل الحاصل فيها بعد الراحة وإنما الأساس لهذا هو التنبيه المجهول الذي له مصدر غامض عموماً.

أي إن هناك شيء مادي هو **<u>الطبيعة أو الفيزيولوجية التي هي كمعنى تعني الخصائص التي تخص كل شيء مخلوق من كرهه لأمر أو محبته له في الفيزيائية الحية أي الآلية الديناميكية للشيء ولكنها لاتعني أسباب هذه الآليات التي تسببها وتطلق فتيل عملها في ميلها هذا</u>** ولكن حتى هذه الفيزيولوجية في الواقع تكون بيده تعالى والغالب أن المسؤول عنها هم الملائكة

حيث تحركها بإذنه تعالى وهذا يمكن استنتاجه من خلال عملية سوق السحاب وجزئياته والتي تزجرها الملائكة وكذلك حادثة الرعد والبرق



وهنا نتذكر قوله تعالى :(**(فالزاجرات زجراً))**[١] والزاجرات هي الملائكة الزاجرة للسحاب والذي يتحرك بأمرها بإذن الله



---

[١] سورة الصافات آية ٢

وذلك على الرغم من أن آليته ليست إلا جزيئات من بخار الماء المتكاثف مع أنواع خاصة من الغازات التي تشكل نواة الغيم الأساسية التي تتجمع عليها جزيئات البخار المائي وهو ثابت علمياً وعبر عنه البيان الإلهي بقوله : **((وينشئ السحاب الثقال))**[١] وهو ليس ميدان بحثنا الآن كما أن شحنها موجودة وهي تزجر بواسطة الملائكة أي تؤمر وتساق حيث يريد ربنا عز وجل وكأنها تأتمر بأمر الملائكة وفقاً لأمره تعالى وبعد إذنه وهذا واضح في الآيات الدالة على أمر السحاب وسوقه إلى حيث أراد الله..

تأمل كيف تساق هذه السحب الى حيث أراد الله تعالى لتتنزل على من يشاء بإذنه سبحانه وتعالى عما يشركون



[١] سورة الرعد آية ١٢

تأمل كيف تنْزل هذه القطرات من الماء على من يشاء ربنا بأمره هنالك ملك موكل بها يوصلها إلى حيث يريد الله



وكذلك كل الأشياء التي في الكون وهناك من الأدلة على ذلك الكثير ومما يتعلق بنا وبنوعنا البشري الملائكة المخصصة للإنسان وهناك العديد من الآيات الدالة على ذلك ومنها قوله تعالى: **((وإن عليكم لحافظين *كراماً كاتبين *يعلمون ما تفعلون.))**[1]

ولعل من هذا الحفظ الموكل به هؤلاء الملائكة ليس بعض الأعمال التي تسبب ما يسمى بالحفظ الذي هو من أمر الله واقع في الإنسان ولكن آلية هذا الحفظ هي من خلال تدخُّل الملائكة الحافظين بسيطرتهم على هذه الفيزيولوجيا الجسمية وهي نفسها نجدها في كل مخلوق ذو فعالية ونشاط معين سواء كان روحانياً أو جامداً مادياً.

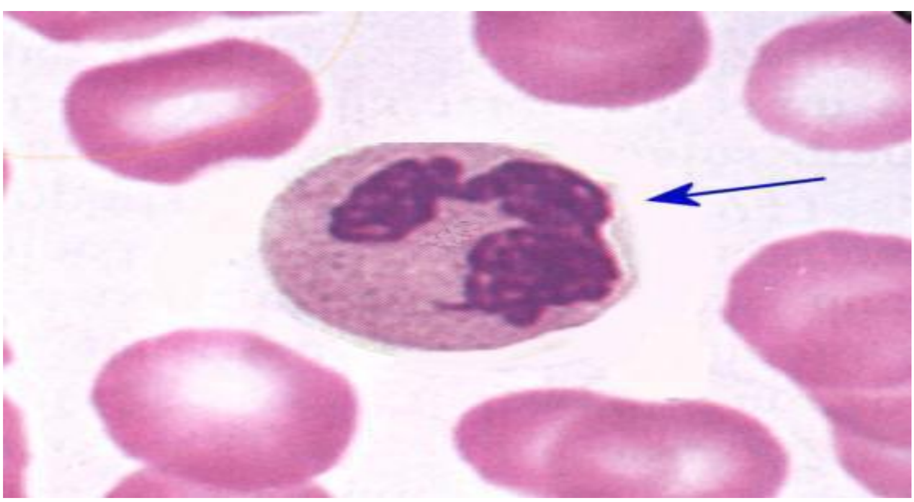
[1] سورة الإنفطار آيات ١٠-١١-١٢

مثال آخر آلية الالتهاب في الجسم البشري:

في الالتهاب الذي يعد الوسيلة الأساسية للدفاع عن الجسم نحو الأجسام الغريبة التي تدخله نجد أنه في بدايته غالباً ما يكون حاداً حيث تتجه الكريات البيضاء (نوع كثيرات النوى المختصة بالالتهاب الحاد) نحو الجسم الغريب وتقوم بمهاجمته مباشرة وكأنها تعلم أنه وسيط غريب عن الجسم وذلك وفق المعلومات التي خزنت في نواها ضمن المادة الوراثية الخاصة بها وهي مادة الDNA وبالنظر إلى هذا التنسيق نجد أنه أول من يبدأ العمل الإلتهابي هو الكريات البيضاء كثيرة النوى (المعتدلات).

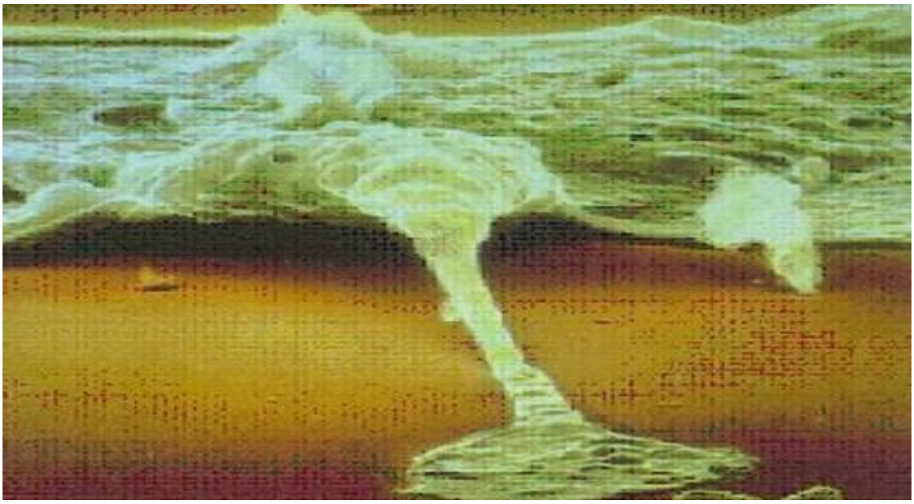
لنتابع الأشكال التالية:

في الشكل التالي لنلاحظ صورة الكرية البيضاء المعتدلة أوكما تسمى كثيرة النوى



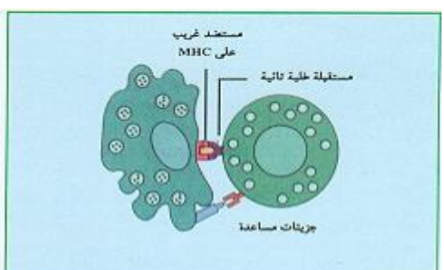
وعندما تعجز هذه الأخيرة عن العمل تحول نفسها ووفقاً لعملية فيزيولوجية متسلسلة إلى كريات بيضاء من نمط يسمى البالعات الكبيرة تهاجم الكائن الغريب وتفتك به

لاحظ الكريات البيضاء البالعة للجسم الغريب في الشكل التالي

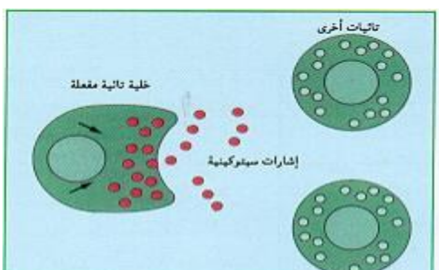


وفي بعض الحالات تعجز عن عملها فتحيله وبواسطة سلسلة من الوسائط الكيميائية والتي تعتبر مراسيل بين الكريات البيض تسمى الإنترلوكينات أو الوسائط بين الخلوية ومنها الإنترفرون غاما إنها تحيل عملها هذا إلى كريات بيضاء من نمط جديد هي اللمفاويات التي تقوم بالعمل الإلتهابي الذي يتحول عندها إلى ما يسمى بالإلتهاب المزمن وذلك عند استمراره لمدة أكثر من أسبوع إلى عشرة أيام تقريباً.

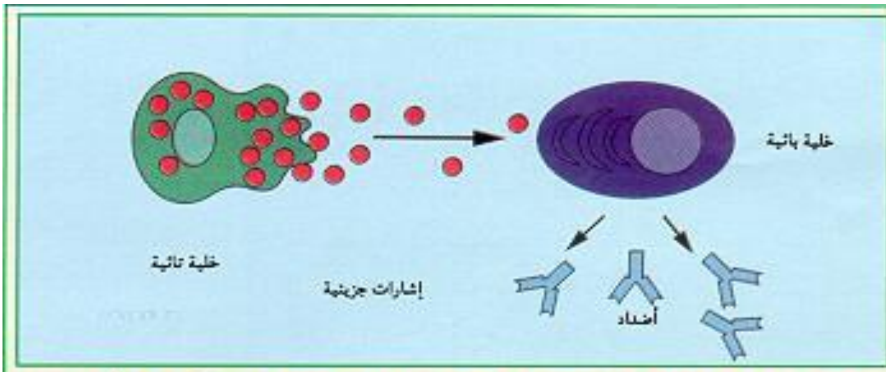
لنتأمل كيفية إرسال الرسائل بين الخلايا الدفاعية هذه في الشكل التالي لاحظ كيف كل منها تسلم الامر للأقوى منها في حال عجزها



شكل (4): خلية مقدمة للمستضد مع مستضد غريب معروض بالتوافق مع المركب MHC يتم تعرفها من قبل خلية تائية بمساهمة الجزيئات المساعدة



شكل (5): بعد تفاعل الخلية التائية مع الخلية المقدمة للمستضد تتفعّل الخلية التائية مرسلة إشارات سيتوكينية إلى خلايا أخرى.



شكل (6) ترسل الخلية التائية مراسيل جزيئية إلى الخلية البائية التي تبدأ بإنتاج الأضداد

وقد يقول قائل إن العمل السابق يتم تحت إشراف هذه الوسائط الكيميائية فنكون وصلنا له بآلية فيزيولوجية مادية ويأخذ هذا الامر علينا وذلك بأن هذا العمل مادي بحت ولا علاقة للروح فيه.

أقول إن هذا الكلام صحيح ظاهرياً إذا نظرنا له بسطحية وبدون عمق في التفكير ولكن في الواقع ما هو سبب تحسس الكريات البيضاء وفق تسلسل معين لا ينعكس أبداً حتى لو قصرت المدة الأولى لتواجدها أي مدة وجود الكريات البيضاء كثيرة النوى في بعض الحالات مثل مرض السل مثلاً أي تواجد جرثومة السل في النسيج حيث يكون رد الفعل عليها من الكثيرات أولاً وسرعان ما يصبح باللمفاويات وهو المميز لمرض السل أي أن تواجد الكريات اللمفية مثلاً بين غشائي الجنب المغلفين للرئة في حالة الإلتهاب الدرني هو المميز للدر ن أو السل والسؤال الذي يتكرر ما دام أن هذه الكريات كلها دفاعية فلم هذا التنظيم التسلسلي الذي يحصل بنظام بديع وكأن حاسوباً يسيطر عليه من ناحية تسلسل ردة الفعل من الكريات الدفاعية الأضعف نحو الأقوى أو الأمتن في حالة عجز الأولى والسؤال الذي يخطر في البال هو لم لا يحدث هذا بعد الموت أي لا يحصل أبداً رغم وجود نفس الخلايا في المرحلة الأولى قبل تفسخ الجسد؟؟

إن هذا صحيح له تنظيم مادي بحت ولكنه فعلياً هو فيزيولوجيا حية لها نظام تسير حسب ما تمت عليه برمجتها ونجد هذا في النسيج الحي عموماً على الرغم من ارتباطه نسبيا بوجود الروح لأنه بعد الموت لن نجد أي رد فعل إلتهابي بل نجد تنخر وأكل للجراثيم والعوامل الممرضة لجسد الميت في مرحلة التحلل.

وإن هذا التنظيم في رأيي يسيره ربنا بما يسمى طبيعية سيرورة الخلايا أي الفيزيولوجيا وهو مظهر على حياة النسيج فعلياً ولكنه غير روحاني بحت كما في الوعي والإرادة التي تمنح للجنين بعد بث الروح فيه أي أنه أمر خلوي حيوي مثل نسج النباتات وغيرها مما لا يعتبر شرعاً ذو روح فهو سيحصل فعلياً ويسير بإذنه تعالى ولكنه متعلق بوجود حياة في البدن وربما وغالباً أنه يتم بواسطة الملائكة وبالتالي يأمرها ربنا عز وجل كيف يشاء ويمكن في أي لحظة أن تتغير طبيعة المادة ضمن شروط معينة تؤدي بها إلى سلوك شاذ وهذا مثبت علمياً فعند حصول ابيضاض الدم وهو ورم سرطاني في الدم نجد أنها تفقد تنظيمها هذا بسبب عوامل خاصة تفقدها هذا الأمر الذي يؤدي إلى أنها تتكاثر بدون فائدة بل تصبح مؤذية للجسم نفسه بعد أن كانت تدافع عنه..

وهنا يطرح التساؤل التالي فلم لم تقم هذه الكريات بالإنقسام وحدها هكذا منذ البداية في حالة سلامة الجسم وما هو سبب أنها استدلت على وجود الجراثيم وتكاثرها فبدأت بالتكاثر أيضاً لتقضي عليها لأنها حسب ما قرأت عليها أنها غريبة عنها (تقرؤ هذا على المستقبلات السطحية النسيجية الخاصة بكل خلية حيث يوجد هناك رمز خاص يساهم في هذا التعرف) ؟؟

ثم إنها عند قيامها بعملها منذ البداية لم تستنفر نفسها فقط عندما عجزت بل إنها استنفرت عدداً من أنواع جديدة من الخلايا الكريات الأقوى منها فلم لم تقم بنفسها بهذا الأمر بل فهمت إنه الآن حصلت نقطة تدوير لا بد أن تولي بالمهمة لغيرها؟؟

وكأن لديها حاسوبا دقيقاً يسيرها بأمره تعالى لا يمكن أن يعمل وحده دون سيطرة خارجية تعطيه صفة عمله هي بالواقع ومهما توصلنا لوسائط كيميائية بين خلوية أو خارج خلوية بالنتيجة سنقول طيب لم هذا الوسيط حرض العملية الفلانية ولم يقم بتحريض غيرها والجواب دوماً سيكون أننا لانعلم فكما يحب الصوديوم الإرتباط مع الكلور في بيئة معينة ولن يرتبط مع غيره أيضاً هذا الوسيط سيقوم بعمله المحدد منه دون أية قفزات لغيره وهكذا نقف أمام الجواب التالي وهو أننا لن نعلم سبب حقيقي لهذا الطبع الذي يسبب انطباع كل منها بوظيفته سوى أن الله فطرها على هذا وهو حقيقة **ما أسميناه**

<u>الطبيعة أو الفيزيولوجيا أي سيرورة العمل الخلوي الذي أودعه الله في هذه الخلية أو تلك أو هذا الوسيط الكيميائي او ذاك</u>..وهذا كله تحت أمر السلطة الإلهية المطلقة لربنا عز وجل قال تعالى: **((وإن من شيئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم..))**[١]

وهو ذاته التحكم الذي يسيطر به ربنا على كل شيء وهو ما نفهمه من قوله **((قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.))**[٢] أي هداه بعد خلقه وإيجاده وهو معنى الخلق وبعد أن تمايز نحو الصورة النهائية الوظيفية له (أي لهذا الشيء) وهو معنى قوله **(أعطى كل شيء خلقه)** أي أجمل الخلق والتصوير معاً هنا بكلامه عندها **(ثم هدى)** أي أصبح هذا الشيء مسيراً في تنفيذ ما أمره الله به وما جبله عليه وهذا الأمر يقضي أن جميع المخلوقات مسيرة مجبرة في كل شيء وأنا أتكلم هنا عن كل شيء مادي بحت إلا أن الثقلين أي الانس والجان لأنه ربنا قد أعطانا بعض التخيير في أمور اختيار الطريق الذي سنسلكه فكنا مخيرين في هذا ولكن في مادتنا وأمور أجسادنا تابعين للفيزيولوجية التي أودعها ربنا في أجسادنا قال تعالى فيما يخص الثقلين عموماً **(إن السمع والبصر والفؤاد كل أؤلئك كان عنه مسؤولاً)**[٣] وقال **(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)**[٤]

أي إن ربكم هو الذي أعطاكم القدرة على الإختيار ولولا هذا لكنتم مجبرين منقادين كغيركم حيث أن كل هذا بأمره عز وجل ومن هنا كان قوله للسماء والارض **((فقلنا ائتيا طوعاً أم كرهاً قالتا أتينا طائعين))**[٥]

---

[١] سورة الإسراء آية ٤٤

[٢] سورة طه آية ٥٠

[٣] سوقرة الإسراء آية ٣٦

[٤] سورة التكوير آية ٢٩

[٥] سورة فصلت آية ١١



وإن كل هذا الأمر الخاص بالمخلوقات بعد بث الروح له علاقة بالروح التي تبث بالجسد ولكنها تكون ضمن حدود معينة ومن هنا نجد أن هذه الفيزيولوجيا أو الطبيعة ستكون موجودة بنسبية ما سواء كان هنالك روح أم لا فمثلاً حياة البيضة الملقحة أو النطفة الأمشاج وهي التي تمثل كرة الحمل وهي مجموعة خلايا بلا شك ولم تبث فيها روح بعد باتفاق العلماء على الأقل حتى الأربعين الأولى بحسبا الرأي المخالف رغم مخالفتنا له وأن جمهور أهل العلم على غيره (أي بث الروح بعد ١٢٠ يوماً) إلا أن هذه النطفة لا تزال تتصرف وفقاً لطبيعتها طيلة المدة فنجد أنها لا تستقر في بوق الرحم حيث حصل الإلقاح وإنما تهاجر نحو جسم الرحم وتحاول بعد ستة أيام أن تعشش في بطانة الرحم المخاطية ولو أنها أخطأت مثلاً وعششت في بوق الرحم لأدى هذا إلى أمر خطير جداً هو ما يسمى الحمل خارج الرحم وهو خطير على الأم فضلاً عن أن الجنين لن يتمكن من متابعة نموه وسيسقط أو يستأصل بواسطة الأطباء جراحياً ثم إنها حتى عند تعشيشها نجد أنها تتوضع على الوجه الخلفي للرحم وتفضل التثبت به وهذا كله وهي لم تبث فيها الروح بعد طبعاً طبياً لا بد من وجود وسائط كيميائية تساعد على إرشادها ولكنها بالواقع لا تكفي لأن الرحم بالنسبة لها جوف واسع جداً فمن هداها لهذا الأمر؟؟؟

هنا نجد الجواب إنه الله سبحانه.

طيب وما هو الدليل شرعاًعلى هذا؟

أقول إننا نجده في حديث الملك الذي وكله الله بالرحم والذي يتسور حولها ويعتني بها ثم في كل مرحلة يخاطب الرب عز وجل ليسأله عن التالي بالنسبة لها وهذا مانجده في قوله صلى الله عليه وسلم:

((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعين يوما أرسل الله إليها ملكا فصورها وخلق لها سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها.))[1]

إن النطفة الأمشاج لو كان فيها روح مثلاً افتراضاً لما لزمها وجود الملك لحركتها وتطورها بل يكون فقط لحفظها كما في الإنسان الكامل حيث قال ربنا عز وجل **((وإن عليكم لحافظين))**[2]

ولكانت تخيرت لوحدها المكان الذي تريد والأنسب لها دون أن تخطئ لأنها عندئذ ذات وعي وإرادة وهو ما قاله ابن القيم عند بث الروح وأورده بشرح بديع بقوله في كتابه الرائع تحفة المودود ص ٢٢٤ :**((قلت :<u>الحركة حركتان حركة طبيعية غير إرادية فهذه تكون قبل تعلق الروح به وأما الحركة الإرادية فلا تكون إلا بعد نفخ الروح</u>))**

ولو قارنناها بالطفل الرضيع الذي هو مرحلة متقدمة طبعاً من تسلسل التشكل البشري لوجدنا أن فيه روحاً طبعاً وهو لا يطلب إلا الغذاء وهو حليب أمه فأول ما تضعه أمه للرضاعة نجد أنه يستدل على ثدي أمه وبشكل غريزي فطري بحيث يتلقف حلمته مباشرة ويباشر الرضاعة وكأنه يعلم المكان سابقاً ومنذ زمن بعيد وهذا بإرادته الواعية فعلياً مع اختلاف نسبة وعيه تلك طبعاً بالنسبة لسنه.

وبالمقابل نجد أن البيضة صحيح أنها تهاجر نحو مكان التعشيش ولكن بشكل منفعل تتبع فيه الطبيعة والجذب الكيميائي للبطانة الرحمية ليس إلا بوساطة وسائط خاصة بآلية يقوم بها الملك بإذنه تعالى ليثبتها مكانها.

---

[1] صحيح مسلم

[2] سورة الإنفطار آية ١٠

والنتيجة من هذا النقاش:

هي أننا نجد الكثير من الوظائف الجسمية والتي تميز الأحياء تتشابه مع الوظائف الكيميائية للمواد غير الحية وتفسيرنا لذلك كان بتعبير اصطلحنا عليه باسم الطبيعة التي فطرها الله عليها أو الفيزيولوجية ولكن الروح التي تميز الاحياء من ذوات الأرواح تختلف عنها بما يسمى الإرادة الحقيقية للعمل وليس الميل له فضلاً عن الغرائز التي تشده لما حوله وهي الولع بشيء دون آخر وتسمى أحيانا الفطرة أيضاً وهي التي تصبغ هذا المخلوق الحي بسلسلة من الرغبات التي يحتاجها ولا يكون عيشه إلا بوجودها فهي لا توجد في البيضة الملقحة أو النطفة الأمشاج ولذا نجدها تسير وفق جذب كيميائي خاص بها أما الرضيع فبإرادته الحقيقية يتبع ثدي أمه..

فالطبيعة لها علاقة بالروح في بعض الأمور وتنفصل عنها في مراحل أخرى ضمنياً حسب ما يمكن أن نستنتج مما شرحناه ولعل أهم ما يميزها بالإضافة إلى الإرادة الفهم والوعي لما يجري والذي يأتي بعد تعرُّف الحواس أو الأبصار على الوسط الخارجي والتي تعمل بآلية الفيزيولوجيا فعلياً ولكنها في الجانب الآخر ستحيلها إلى الدماغ الذي يحولها بدوره بآلية ارتباطه مع الروح إلى القلب الروحي الواعي الذي يفقهها ويقوم بمقارنتها مع ما تعلمه سابقاً لينتج عن هذا علم حقيقي يخزن فعلياً داخل الروح نفسها ولو أنه ظاهرياً كآليات يكون مادياً في الدماغ ومن هنا كان قوله تعالى((**أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ..**))[١]

فهذه الحواس بالواقع هي نوافذ الروح للإتصال مع العالم الخارجي ولو أنه قدر غيابها لأصبحنا كتلة مادية جسدية لا تستطيع التعرف على ما حولها.

وما ينتج عن هذا هو أيضاً غرائز تحبها النفس أو الروح تنزع لتحقيقها وبنتيجة هذا تكون ما يسمى بالمتعة الحقيقية التي يشعر بها ذوي الأرواح على عكس الجوامد والأحياء من غير ذوي الأرواح.

ولذا تعتبر الحيوانات كائنات تملك روحاً لأنها لديها إرادة وغريزة حية ومتعة تنتج عنها وإن كل غريزة فعلياً يكون لها دور فعلي باستمرار الحياة وليس فقط الإمتاع لصاحبها فغريزة الجوع والعطش تؤمن استمرارية الحياة للكائن الحي نفسه وغريزة

---

[١] سورة النحل آية ٧٨

الجنس تؤمن بقاء النوع وتكاثره واستمراريته وهكذا أما النباتات وهي مجموعة من الخلايا الحية ليست من ذوي الأرواح فنحن نجد انها تتبع الأمر الطبيعي الذي جبلت عليه خلاياها وهي بيده تعالى وتحت سيطرته ومن هنا كانت مسخرة لنا كما نشاء في غير مضرة طبعاً ولذا قال ربنا((**وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعاً منه))**[1]

وهي من الأحياء طبعاً ولكن ليس فيها إرادة حقيقية وإنما هي تتبع الطبيعة الخاصة بها بكل دقة ولا تغادرها لأنها المنظم الأساسي لها فعلياً..وهي فعلياً لا تتحسس ما حولها مع إرادة فعلية وإنما فقط بتواصل كيميائي هرموني بينما ذوي الأرواح تحس بما حولها فعلياً وسمعها وبصرها وغير ذلك من حواسها كلها تعتبر من صفات الله التي أسدل علينا منها القليل ليكون تواصلنا هذا واعياً فعلياً كما أسلفنا،ولعل هذا ما دعى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندما نهى عن ضرب الوجه أن يقول : **(إن الله خلق آدم على صورته)**[2]

أي يملك من في صفاته ما يجعله متميزاً عن غيره بالروح والعقل التي تميزه عن كل مخلوقات الباري عز وجل ولذا كان آخر الحديث مفسراً لأوله بحيث قال صلى الله عليه وسلم **(سميعاً بصيراً)** أي خلقه وفيه جزء من صفات الباري من القدرة على السمع والبصر وغيره مما به يصبح واعياً وبعقله البطن القادر على التمييز يصبح لديه فكره وخطة عقلية مدروسة تميزه عن غيره وسيسأل عنها إذا لم يستثمرها بما فيه قيامه بوظيفته المنوطة به من ربه ولذا قال تعالى **(إن السمع والبصر والفؤاد كل أؤلئك كان عنه مسؤولاً)**[3]

والروح في جسد الإنسان وباشتراكها معه تشكل الكائن المتكامل ذو الإرادة والوعي والذي يتحكم بتصرفاته بحسب مشيئته التي أهداها الله تعالى له ليعرف طريقي الخير والشر ويكون مخيراً في انتقاء ما يريد منهما وهو أيضا من مميزات الروح ولذا قال تعالى: **((ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين))**[4] أي الطريقين فهو أوضحهما لنا وتركنا لنختار.

---

[1] سورة الجاثية آية ١٣

[2] أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة

[3] سورة الإسراء آية ٣٦

[4] سورة البلد بيات ٨-٩-١٠

فالإنسان له طبائع وخصوصيات تتمثل بيديه ورجليه وغيرها من الحواس التي تصله بالعلم الخارجي والجوارح التي يؤثر بواسطتها بالخارج ولكن العمل فيها وتسييرها لايكون إلا بالجانب الآخر الروحاني الذي هو من أمر ربه عز وجل وهي أي الروح سبب كل حياة ينبض بها الجسد بعد اتصاله بها فعلى الرغم من الجانب الطبيعي الذي أسلفنا شرحه إلا أن له فعلياً ارتباطاً نسبياً بالروح هو ما يحافظ حتى على الطبيعة الحية التي تحدثنا عنها فمثلاً الجنين قبل بث الروح يكون في بطن أمه ويعيش فيه ويتابع نموه داخله وهي أي الأم فعلياً جسد وروح أي انسان متكامل ولذا كان ارتباط الروح بالجسد لدينا هو الذي يؤمن استمرار الطبيعة الحية في عملها والعكس صحيح فبعد خروج الروح من البدن والموت نجد التبدلات التفسخية تبدأ بالظهور فوراً وخلال ساعات كما سبق وفصلنا فيها في باب سابق ونجد أن الدليل على أن الروح نفسها هي مادة ولكن من طبيعة خاصة لا يمكن أن نتحسسها هو أنها تدخل عند النفخ في الجنين وتخرج من الإنسان عند موته وعندها تعلن توقف الفيزيولوجية عن العمل ويبدأ الجسد المادي البحت بالذوبان والضمور وعندها نجد موت الدماغ الذي هو أصبح فعلياً يعبر عن الموت الحقيقي حسب آخر الدراسات في علم الموت وتعريفه ثم يتوقف القلب ويتوقف الدم عن الجريان ومعه تتوقف المغذيات الضرورية للإستمرار بحياة الخلايا الحية بالجسد فتبدأ بالإنحدار والتلاشي..

ففعليا حياة النسج كلها تتعلق بوجود الروح فيها وقيامها بوظائفها التي تعبر عن حياتها فعلياً وهنا لاحظ أن حياة الخلية الحية هي حياة ليست فيها إلا استمرارية لمجموعة تفاعلات تؤمن بقائها لتقوم بوظيفتها وفي حال توقفت هذه التفاعلات تتوقف عن القيام بعملها وهذا لا يعني بالضرورة أن الحياة النباتية متعلقة بأرواح كالبشر وإنما تحدث استمراريتها من خلال شيء يسيطر عليها في آلياتها الطبيعية على مستوى الخلية نفسها أوضحنا أنه قد يكون من ملازمة الملائكة التي تأتمر بأمر الله في تسييرها لشؤون الكون وقد تكون من عالم الأمر الذي هو عالم مخفي عنا لا نعرف أي شيء فيه حتى آلياته وقوامه الأساسي **كلمة يقولها الله تعالى هي (كن)** فيكون كما أراد سبحانه..

فالخلية الحية لها وظيفة تقوم بها مثل أي مادة أو جزيء أو ذرة أما الجسد مع الروح فنجد أنه لا يحقق وظيفة مادية بحتة فحسب بل فيه متعة ونشوة حتى في ما يقوم به من وظائفه وفي هذا معنى عميق يحتاج منا أن نذهب عميقاً في تأملنا للموضوع.

إن مظاهر **الموت الخلوي** الذي هو لحظة نظرية غير محددة تعاني فيها الخلية من تبدلات غير عكوسة في بنيتها ووظيفتها بعد سلسلة من التبدلات الأولية التي تكون عكوسة ثم ينتج عن هذا أنها ستتموت وتسبب تلف الأنسجة التي كانت قد شكلتها مع غيرها سابقاً ثم يحصل تنخر نسيجي بعد الوفاة وتلاشي متسلسل للجسد هذه المظاهر نفسها تمثل مفتاحاً لمعرفة الحياة نفسها وأنها ذات برمجة دقيقة تتواجد في نواتها يتم مرورها بمراحلها المتسلسلة ضمن تنظيم محكم وضعه الباري عز وجل ويسيطر عليه وعلى سيره في كل ما يتعلق به فتأمل هذا وسبح بحمد ربنا ذي الجبروت والملكوت..

إن كل المناقشة السابقة كانت لأبين وجود شيء آخر غير الروح وهو تحت سيطرة الخالق طبعاً وهذا الأمر أو الطبيعة خاضع في سيره لوجود الروح في البدن وهي تحت سيطرة الله المباشرة هذه السيطرة هي التي تتحكم في الأشياء والأحياء التي لا روح فيها ولكن يمكن أن نسميها شكل من أشكال الحياة وذلك كله مما أثار انتباهي أثناء دراستنا لمادتي الفيزيولوجية وعلم الخلية التي تتكلم عن وظائف الخلايا والأعضاء أما الروح كمعنى فهي من المغمضات في ماهيتها ولذا نتذكر قول ربنا: **((ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً))**[١]

فسبحان الله الذي لا إله إلا هو أبدع في خلقه الذي نكتشف فيه كل يوم العجائب مما يزيدنا خشوعاً بين يدي ربنا اللهم تقبل منا هذا واجعله في صحائف أعمالنا هدية لنا لا عارية عندنا آمين والله أعلم.

---

[١] سورة الإسراء آية ٨٥



كتاب

الإعجاز القرآني في الخلق الإنساني

للطبيب المتخصص
(الدكتور حيدر محمد الجدي)

يعد من الإصدارات المهمة لرابطة التدريسيين الجامعيين في نينوى.. تضمن تفصيلاً نادراً ودقيقاً لمراحل خلق الإنسان بحسب معطيات القرآن الكريم والسنة المطهرة..

فرصة القارئ في التعرّف على كثير من أسرار خلق الإنسان تكمن في هذا الكتاب..

رابطة التدريسيين الجامعيين
في نينوى

دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - الموصل
ص. ب. 11019
المجموعة الثقافية
07701664335
mashky2019@gmail.com

I.S.B.N
9 789922 959610